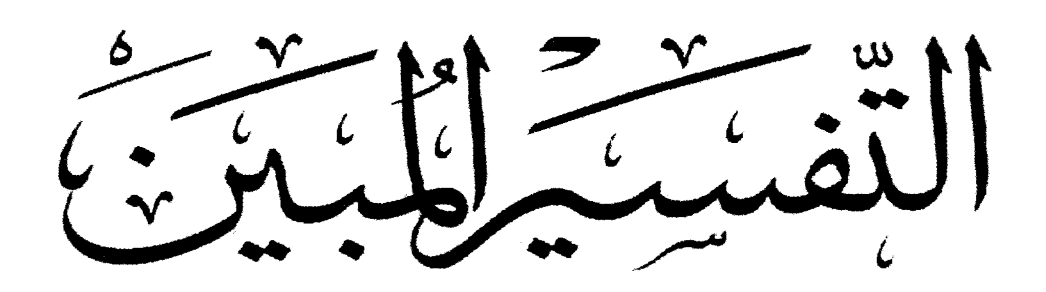


التفسير المبين

ألّفه وكتبه :

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد التاسع

ح عبد الرحمن حسن النفيسه، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين - المجلد التاسع. / عبد الرحمن حسن النفيسه . -

الرياض ، ١٤٢٩هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك : ١-١٤٣٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٩ / ٥٧٨٦

رقم الايداع : ١٤٢٩ / ٥٧٨٦

ردمك : ١-١٤٣٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة

مكية وآياتها ست وتسعون آية

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: إذا قامت القيامة، والواقعة من أسماء يوم القيامة والمراد أن القيامة واقعة، لا محالة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: أن وقوعها ثابت لا ريب فيه، أما وقتها فمرده إلى الله ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: ينخفض بقيامها المشركون والطغاة، ومن على شاكلتهم، ويرتفع بقيامها المؤمنون الذين أدركوا بعقولهم أن القيامة واقعة، فعملوا لها فهم في ذلك اليوم قد ارتفعوا إلى المنزلة العليا في الآخرة ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: إذا حركت وزلزلت ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: تحولت إلى فتات ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ أي: غبارا متطايرا

في الهواء، ففي تلك الحال ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام كما قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ وهم أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون كما قال تعالى ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ فهؤلاء يؤخذون ذات اليمين إلى الجنة ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ وهؤلاء يؤخذون ذات الشمال إلى النار ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ أي: السابقون في الدنيا إلى إقامة الصلوات، والسابقون إلى بذل الزكاة، والسابقون إلى الجهاد، والسابقون إلى كل عمل أمر الله به عباده ﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ أي: هم بسبب أعمالهم تلك ورحمة الله لهم هم المقربون عنده في جنات النعيم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القيامة سوف تقع، وأن وقوعها صادق وليس بكاذب كما قال تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[2]. وفيها: تقرير التفاوت بين المؤمنين والكافرين عند قيام الساعة، فالمؤمنون يكونون في أعلى المنازل، والكافرون يلاقون العذاب. وفيها: تقرير حقيقة

---

(١) سورة الشورى من الآية ٤٧ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٧٣ .

الكون عند قيام الساعة فترتج الأرض، وتتحرك حركة شديدة كما قال تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[1]. أما الجبال فتتحول إلى فتات يطير في الهواء، وينقسم الناس حينئذ إلى أقسام ثلاثة هم: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون؛ فأصحاب اليمين هم الذين يؤخذون إلى الجنة جزاء أعمالهم في الدنيا برحمة الله لهم، وأصحاب الشمال يؤخذون إلى العذاب؛ بسبب كفرهم ومعاصيهم. أما السابقون فهم أكثر قربا من الله، ومنهم: الأنبياء والرسل والصديقون والشهداء.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لما ذكر الله عز وجل في الآية السابقة المقربين بيّن أنهم ثلة من الأولين أي: جماعة منهم وقيل: المراد أنهم

(١) سورة الزلزلة الآية ١ .

من الأمم الماضية، وأن المراد بقوله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أنهم هذه الأمة ولعل الأصح -والله أعلم- أن الأولين ثلة هذه الأمة ممن كانوا على المحجة البيضاء الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وجاهدوا في الله حق جهاده، وفي هذا دليل على فضلهم على المتأخرين من هذه الأمة لقول رسول الله ﷺ: (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن**)[1]. ومن المحتمل أن هذه الآية تعم - كما يقول الإمام ابن كثير- جميع الأمم كل أمة بحسبها[2] قوله ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة من الذهب ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي: تتقابل وجوه بعضهم إلى بعض ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: يقوم بخدمتهم شبان لا يشيبون ولا يتغيرون ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الأكواب هي الكؤوس التي ليس لها عرى والأباريق هي التي لها عرى، والكأس الذي من معين هو الخمر اللذيذة الجارية من العيون ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تتصدع منها رؤوسهم كحال خمر الدنيا، ولا تنزف عقولهم بسبب شربها ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يطوف عليهم الولدان بما يختارونه ويشتهونه من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم (٦٤٢٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٢٤٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٥ .

الفواكه ولحم الطيور ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ أي: وللمقربين زوجات حور، وهن اللاتي يغلب بياض عيونهن على سوادها، أو واسعات الأعين فيكون فيهن بهاء وحسن وجمال ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي: كأنهن اللؤلؤ في بياضه ونضارته وصفائه المستور عن الأعين ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا الذي وصف لهم من الثواب هو مجازاة لهم على حسن وإخلاص عملهم في الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: لا يسمعون في إقامتهم في الجنة كلاما لا خير فيه أو لا فائدة منه إذ إن سماعهم فيها تسليم بعضهم على بعض ومحبة بعضهم لبعض كما قال تعالى ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن السابقين المقربين هم من صدر هذه الأمة ولا يمنع هذا أن يكون ذلك في كل أمة بحسبها. وفيها: ذكر ما في الجنة من أنواع النعيم خاصة للمقربين. وفيها: الحكم بأن المرء يجزى بمثل ما عمل إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وهذا هو عدل الله وحكمه بين عباده، فاقتضى هذا محاسبة الإنسان لنفسه في الدنيا قبل أن يدركه الأجل وهو مفرط ثم يعطى كتابه بشماله فيقول حينئذ ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[1]. ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[2].

---

(١) سورة الحاقة من الآية ٢٥ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٢٦ .

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾[١]. ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾[٢]. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[٣].

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ (٢٧) فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ (٢٨) وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ (٢٩) وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ (٣٠) وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ (٣١) وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ (٣٢) لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ (٣٣) وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ (٣٥) فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتۡرَابٗا (٣٧) لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ (٤٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ لما ذكر الله حال المقربين وما أعد لهم من النعيم المقيم ذكر شأن أصحاب اليمين وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم وما أعد الله لهم من الجزاء والثواب فقال ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ أي: السدر الذي لا شوك فيه ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ المراد به الموز ومعنى منضود أي: متراكم ومتناسق ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ أي: ظل متمدد لا ينقبض ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾ أي: مصبوب ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ أي: ولهم فاكهة كثيرة متعددة

(١) سورة الحاقة الآية ٢٧ .
(٢) سورة الحاقة الآية ٢٨ .
(٣) سورة الحاقة الآية ٢٩ .

الألوان والأصناف لا تنقطع ولا تمنع عنهم ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: عالية ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ المراد بهن الحُور العِين، حيث دل على ذلك السياق في ذكر الفرش ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ أي: لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من أصحاب اليمين ﴿عُرُبًا﴾ أي: متحببات إلى أزواجهن عاشقات لهم ﴿أَتْرَابًا﴾ أي: متماثلات في أعمارهن على قدر ثلاث وثلاثين سنة ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: خلقن هؤلاء الحور لأهل اليمين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أن أصحاب اليمين هم جماعة من صدر أمة محمد ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: من آخرها، ويحتمل أن يكون المراد من الأمم السابقة كما ذكر آنفا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان ما أعد الله للمتقين أصحاب اليمين من الجزاء والثواب العظيم؛ جزاء لعملهم في الدنيا، وهذا يقتضي عدم التفاضل بين البشر إلا في تقواهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ

(١) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ لما ذكر الله حال المقربين، وحال أصحاب اليمين ذكر أصحاب الشمال منددا بهم، ثم ذكر مآلهم يوم القيامة وهو أنهم ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي: أنهم يلاقون السموم وهو الهواء الحار ويلاقون الحميم، وهو الماء الحار ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ أي: يستظلون في دخان أسود ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: ليس ببارد يقيهم من الحرارة ولا هو كريم في منظره ورائحته ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: كانوا في الدنيا يتنعمون مع إعراضهم عما جاءهم من الحق والهدى بواسطة رسلهم ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: كانوا في الدنيا يصرون على الشرك بالله ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي: يتساءلون بينهم على سبيل الإنكار، ويقولون

إنهم إذا تحولوا إلى تراب وعظام لن يعودوا إلى الحياة مرة أخرى ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: وينكرون أيضا بعث آبائهم فرد الله عليهم وكذبهم بقوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ﴾ أي: قل لهم يا رسولنا محمداً إنكم وآباءكم ومن قبلكم ومن بعدكم ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: سوف تجمعون يوم القيامة في وقت واحد وعلى صعيد واحد ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: إنكم أيها الذين ضللتم عن الحق واتبعتم الباطل وكذبتم بالبعث ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ أي: من شجر في النار أخبث ما يكون في طعمه ومذاقه ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: يجبرون على الأكل من هذا الشجر رغم خبثه ﴿فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: ويشربون على هذا الزقوم من الماء الحار الشديد الحرارة كما تشرب الإبل الهيم التي لا تروى من شدة عطشها كما قال تعالى ﴿فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قوله ﴿هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: هذا العذاب الذي أعد لهم هو مكانهم ونزلهم يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان ما لأصحاب الشمال من العذاب يوم القيامة وهؤلاء هم كل من كفر بالله، وجحد آياته وكذب رسله، وعصى ما أمره الله ورسوله به وارتكب ما حرماه عليه. وفيها: تحريم الترف

الذي يصد عن طاعة الله، ويشمل ذلك الإسراف في الملذات والتباهي بها، وصرف المال في غير مسوِّغه، ولو كان حلالا بدليل قوله تعالى ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]. وفيها: أن الكفرة يستبعدون البعث ويتساءلون في سذاجة عن عودتهم إلى الحياة وقد تحولوا إلى تراب وعظام بالية. كما قال تعالى عنهم ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ لما قال منكرو البعث: كيف نحيا مرة أخرى وقد تحولنا إلى تراب وعظام بالية ؟ ردّ الله عليهم بأنه هو الذي أنشأهم من العدم وأوجدهم من غير خالق آخر ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث وتدركون أن الذي خلقكم من العدم قادر

(١) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

(٢) سورة التغابن الآية ٧ .

على أن يحييكم مرة أخرى ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: أخبروني عما تضعونه في أرحام أزواجكم من المنيِّ الذي يتحول إلى ولد ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: هل أنتم الذين تخلقون الولد ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ والجواب نحن الخالقون له، وليس أحد قادراً على خلقه غيرنا ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: قضينا به عليكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لسنا عن ذلك بعاجزين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: نجعل لكم صفات غير صفاتكم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: علمتم أن الله هو الذي أنشأكم بعد أن كنتم في العدم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة وصوركم فأحسن صوركم ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: هلا تذكرون وتعرفون أن الذي خلقكم ويميتكم قادر على أن يحييكم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أنّ الله هو الذي خلق الخلق وأنشأهم، وأنه هو الذي يميتهم ثم يحييهم، وكل ذلك بقدرته وعظمته وقوله للشيء كن فيكون كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1].

وفيها: بيان أن الله عز وجل كما قَدَّر الخلق والحياة قَدَّر الموت وقضى

---

(١) سورة الروم من الآية ٢٧ .

به على عباده كما قال عز ذكره ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾[١]. وفيها: أن الله قادر على أن يبدل الإنسان ويغير صورته إلى صورة أخرى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي: أخبروني عن حرثكم الأرض ووضعكم البذور فيها ليكون زرعا وطعاما لكم ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: هل أنتم الذين تنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي: بل نحن الذين ننبته ونكوّنه ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أي: لو نشاء أيبسناه وجعلناه هشيما أو أغرقناه بالماء، أو بالمرض فلم تستفيدوا منه بشيء ﴿فَظَلْتُمْ

---

(١) سورة الملك من الآية ٢ .

تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تندمون وتتعجبون من الحال التي آل إليها وتقولون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذبون بما آل إليه زرعنا ورزقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: محرومون من رزقنا هذا.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ أي: أخبروني عن هذا الماء الذي تشربونه ليرويكم من عطشكم ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: هل أنتم الذين أنزلتموه وصرفتموه من السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ والجواب ﴿نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ أي: نحن الذين قدرناه وأنزلناه ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي: لو أردنا لجعلناه مالحا لا تستطيعون شربه، ولا تستفيدون منه في زرعكم أو في سقي بهائمكم ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم، وتتركون الشرك به وتصدقون برسوله ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي تشعلونها ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أي: هل أنتم الذين أنشأتم شجرتها وهي المرخ والعفار، أم نحن المنشئون والجواب: نحن الذين أنشأناها وليس أحد غيرنا ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: جعلنا النار تذكرة لكم؛ لكي تتذكروا النار يوم القيامة ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: جعلنا فيها فائدة للمسافرين؛ لطبخ طعامهم وتدفئتهم وكثير من منافعهم.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لما ذكر الله قدرته العظيمة وبعضا من نعمه وفضله على عباده بما سخره لهم من الحرث وإنزال الماء، وإنشاء الشَّجرة التي تنتج نار الدنيا أمر رسوله محمدا ﷺ أن يُسَبِّح ربه ويقدسه ويعظمه على ما أنعم به على عباده. والأمر لرسول الله أمر لأمته أن تسبح لله، وترفع أكف الشكر والضراعة له على ما خصها به من النعم، وفي مقدمتها أنه رضي لها الإسلام دينا وبعث لها رسولا من نفسها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حقيقة البعث وبيان الأدلة عليه، وأن الله هو الذي خلق هذا الكون وأنشأ الخلق من العدم إلى الوجود، ويسر لهم ما في الأرض لطعامهم وشرابهم وراحتهم قادر على إحياء الموتى، وهذا من مقتضيات العقل السليم، ولكن المشركين ومن في حكمهم من الجهلة يعجزون عن إدراك هذه الحقيقة كما قال عز وجل عنهم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١]. وفيها: وجوب شكر الله على نعمه، فبالشكر تدوم النعم وما هلك قوم وما هلكت أمة إلا لأنها كفرت بنعم الله ولم تشكره عليها. وفيها: أن في نار الدنيا تذكرة للعباد ليعرفوا مدى عظم هذه النار وحرها رغم أنها أقل سبعين

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٧١ .

مرة من نار الآخرة؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم**) فقيل: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: (**فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا**)[1]. وفيها: وجوب تسبيح الله وتقديسه؛ لأن كل من في الكون العلوي والسفلي يسبح له كما قال عزوجل ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الآية[2].

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ (لا) يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسما به على منفي، أو هي توكيد للقسم والمراد أقسم بمواقع النجوم أي: مطالعها ومغاربها ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٨٠ . وفي رواية مسلم (فضلت عليها).

(٢) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

أي: أن هذا القسم قسم عظيم لو كنتم تعقلون لعظَّمتم المُقْسَمَ عليه وهو القرآن كما قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ أي: أن هذا الكتاب الذي أنزلناه على نبينا ورسولنا محمد قرآن عظيم في ألفاظه ومعانيه وغاياته ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ أي: أنه كتاب معظم في لوح معظم هو اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ أي: لا يمسه أحد من الملائكة أو البشر إلا طاهر من الحدث الأكبر والأصغر ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: أنزله الله جل وعلا فوجب تعظيمه ومن ذلك ألاَّ يمسه إلا طاهر ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ أي: هل أنتم بهذا القرآن متهاونون أو مكذبون؟ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تقابلون إنعام الله عليكم بالرزق بالتكذيب وتنسبون الفضل إلى غير أهله فتقولون حينما تمطرون: مطرنا بنوء كذا وكذا، مع أن الله هو الذي ينزل الغيث.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يقسم بما يشاء من خلقه، ولكن المخلوقين لا يقسمون إلا به، وهذا يقتضي تحريم القسم بالنبي أو الكعبة أو حياة فلان أو نحو ذلك مما يفعله بعض الجهلة. وفيها: الحكم بأن القسم الذي يقسم الله به قسم عظيم. وفيها: وجوب تعظيم القرآن، وعدم

تدنيسه، ووجوب التطهر قبل مسِّه، ويشمل ذلك تحريم امتهانه بأي صورة، فمن فعل ذلك عامدا فهو كافر. وفيها: تحريم مداهنة الكفرة وممالأتهم، ويشمل ذلك في هذا الزمان اعتساف النصوص بقصد التفاهم معهم وترضيتهم بالتنازل عن كثير من فروع الشريعة وثوابتها ومسائلها بحجة حسن العلاقة معهم. كما يشمل ذلك المداهنة وعدم الأمر بما يجب الأمر به من أمور الدين، أو المداهنة خشية قوة العدو ونحو ذلك مما يؤدي إلى إضعاف الدين كما قال تعالى ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[1].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٨٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلق ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: تنظرون إلى المحتضر ولا تستطيعون

(١) سورة المائدة الآية ٥٢ .

أن تعملوا له شيئا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بقدرتنا وعلمنا وقيل: المراد الملائكة الذين يقبضون الروح ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا ترونهم ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: إن كنتم غير مصدقين بالبعث وأنكم تجزون وتحاسبون على أعمالكم، فارجعوا النفس إلى الجسد الذي خرجت منه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما زعمتم من عدم بعثكم وعدم مجازاتكم على أعمالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الملائكة الموكلين بقبض الأرواح أقرب إلى من يحتضر ممن حوله من أسرته أو أصدقائه. وفيها: أن الإنسان لا يرى الملائكة إلا إذا كانوا في صورة الإنسان، أما إذا كانوا في صورتهم فلا يستطيع أحد رؤيتهم. وفيها: أن الله تحدَّى المنكرين والمكذبين بالبعث أن يردوا الروح إلى البدن الذي خرجت منه.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن كان المحتضر من المقربين وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات فهؤلاء هم الأعلون درجة ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي: له راحة كبرى من الدنيا وريحان أي: رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ فتبشرهم الملائكة بما أنعم الله عليهم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: المحتضر من أصحاب اليمين، وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات وحصل منهم شيء من التقصير الذي لم يؤثر على إيمانهم ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: تبشره الملائكة وتقول له: سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: كان المحتضر من الذين كذبوا بالحق لما جاءهم وضلوا عن سواء السبيل ﴿فَنُزُلٌ﴾ أي: ستكون ضيافته ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: الماء الشديد في حرارته ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: له نار جهنم يصلاها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: أن هذا الذي ذكرناه عن حال المحتضرين الثلاثة لهو القول الحق اليقين الذي لا مراء فيه ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لما ذكر الله أحوال السابقين والمقربين والمكذبين عند احتضارهم أمر رسوله محمدا ﷺ -وهو أمر لامته- أن يسبح باسمه ويقدسه فهو العظيم في ملكوته، العزيز في

سلطانه، المستحق وحده للتسبيح بحمده في الركوع والسجود وفي كل لحظة من اللحظات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل السابقين من المؤمنين الذين أجهدوا أنفسهم في فعل ما أوجب الله عليهم، واجتنبوا ما حرم عليهم كما اجتنبوا ما كره لهم أن يفعلوه وتورعوا عن بعض المباحات فاستحقوا بذلك صفة السابقين. وفيها: تقرير فضل أصحاب اليمين الذين أدوا الواجبات واجتنبوا المحرمات، وتمسكوا بإيمانهم واستقاموا على طاعة الله ولو حصل منهم شيء من التقصير الذي لم يتعمدوه فهم كما قال الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]. ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[2]. ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[3]. وفيها: تقرير عذاب المكذبين الذين كفروا بالله وجادلوا بالباطل واتبعوا أهواءهم وصدوا عن سبيل الله. وفيها: فضل التسبيح لله.

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٠ .
(٢) سورة فصلت الآية ٣١ .
(٣) سورة فصلت الآية ٣٢ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحديد

مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١) لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٢) هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات وسائر المخلوقات تسبح بحمده وتقدسه وتنزهه عن سائر النقائص ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: القوي في ملكوته وسلطانه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبيره وتصريفه لكل مافي ملكوته من المخلوقات ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو المالك لهما والمتصرف فيهما والمدبر لهما بحكمته وسلطانه ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ أي: هو الذي يحيي الخلائق في آجالها ويميتها في آجالها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ أي: قدير على كل شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ﴾ أي: هو ﴿ٱلۡأَوَّلُ﴾ الذي ليس له سابق ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء

كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾[١]. ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: أحاط بكل شيء في ملكوته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر ولا أكبر من ذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كل من في الكون يسبح بحمد الله كما قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٢]. وللتسبيح فضل عظيم، ففي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)**[٣]. وفيها: الحكم بأنه لا أحد قبل الله، ولا أحد بعده، ولا أحد فوقه، ولا أحد دونه، وأن علمه قد أحاط مطلقا بكل ما في الكون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

(١) سورة مريم من الآية ٤٠ .
(٢) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ برقم (٧٥٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥٤٧ .

وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه خلق السموات والأرض وكونهما في ستة أيام متتالية ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: استوى عليه بعد خلقهن استواء يليق بجلاله وعظمته ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما يدخل فيها من الأموات والأمطار ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ أي: من النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ما ينزل منها من المقادير والأمطار والرياح ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ أي: رقيب وحفيظ وشاهد عليكم بعلمه وقدرته ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ أي: بصير بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافية ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: المالك المتصرف فيهما وكل من فيهما عبيده وتحت تصرفه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي: إليه المآل والمصير يوم القيامة ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ أي: يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل في تعاقب محكم لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما تكنه القلوب من الأسرار والوساوس والنيات.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن مدة خلق السموات والأرض كانت ستة أيام. وأن الله يعلم بعلمه المطلق ما يدخل في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها كما قال عز وجل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١]. وفيها: أن الله يكون بعلمه مع خلقه في برهم وبحرهم ومنامهم ويقظتهم وسرهم وعلانيتهم كما قال تعالى ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[٢]. ولما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان قال: **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[٣].

وفيها: الحكم بملكية الله للسموات والأرض ومن فيهن من المخلوقات كافَّة كما قال عز وجل ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[٤]. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[٥].

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٢) سورة الرعد الآية ١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ برقم (٤٧٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٣ .

(٤) سورة مريم الآية ٩٤ .

(٥) سورة مريم الآية ٩٥ .

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

بيان الآيات:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لما بيَّن الله جل وعلا قدرته العظيمة في خلق السموات والأرض وإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وبيَّن ملكيته المطلقة للسموات والأرض ومن فيهن، أمر عباده المؤمنين أن يؤمنوا به ورسوله وذلك بأن يزدادوا إيمانا مع إيمانهم، ليكون ذلك زيادة في أجورهم. كما أمر من لم يؤمن أو كان منافقا أن يتوب إلى الله من كفره أو نفاقه ويؤمن إيمانا صادقا بما أوجب الله عليه من الإيمان به وبرسوله ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: أنفقوا من المال الذي منحكم الله واستخلفكم

فيه، وهذا الإنفاق: إما أن يكون على سبيل الزكاة المفروضة أو الصدقة على الفقراء والمحاويج ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا وعد من الله بأن من آمن بالله وصدَّق رسوله وأنفق مما هو مستخلف فيه له أجر كبير .

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هذا استفهام إنكاري، والمراد لماذا لم تؤمنوا بالله والرسول بين ظهرانيكم يبيِّن لكم الآيات والأدلة والبراهين الدالة على وجوب الإيمان بالله ورسوله مع ما أُخِذ عليكم من الميثاق وأنتم في صلب أبيكم آدم ؟

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: أن الله هو الذي أنزل على عبده الآيات الواضحات ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ أي: ما كان الله لينزل هذه الآيات إلا لمنفعتكم وهي إخراجكم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: أن الله رؤوف ورحيم بكم حين أرسل لكم الرسول معه البينات؛ ليكون في ذلك نجاتكم من العذاب ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذا الاستفهام للتوبيخ والمراد لماذا أيها المؤمنون لا تنفقون في سبيل الله؟ وهو الذي أعطاكم المال وهو الذي له ﴿مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: أن

أموالكم وما تملكون ملك له، فإذا أنفقتم من ماله في سبيله ضاعف عطاءه لكم ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ الفتح: فتح مكة، أو صلح الحديبية والمراد أن من أنفق وقاتل قبل الفتح أفضل من الذي أسلم بعده؛ ذلك أن الذي أنفق وقاتل قبل الفتح عانى من المشركين الكثير من الأذى فكان أجره أعظم، ولهذا قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ ثم قال عز وجل ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: وعد الله المنفقين قبل الفتح والمنفقين بعده بالجنات، وإن كان بينهم بعض التفاوت بسبب الأسبقية ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما تنفقون من أموالكم وخبير بنواياكم وأعمالكم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي: أن من ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضاته فإن الله سيضاعف ما ينفقه إلى سبعمائة ضعف ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: يوفَّى أجره يوم القيامة وذلك بإدخاله في جنات النعيم.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات: وجوب الإيمان بالله ورسوله قولا وعملا وتصديقا، فإن كان العبد مؤمنا بالله ورسوله وجب عليه تثبيت إيمانه وزيادته كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١). وإن لم يكن العبد مؤمنا أصلا، أو كان منافقا وجب عليه التوبة مما هو فيه قبل حلول أجله. وفيها: وجوب الإنفاق في سبيل الله وذلك بإخراج الزكاة والصدقة على الفقراء وكل نفقة في سبيل الله كالجهاد، وتعليم العلم، ومداواة المرضى ونحو ذلك من أعمال البر. وفيها: تقرير فضل الأسبقية في عمل الخير من جهاد ونفقة ونحو ذلك كما قال تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢). وفيها: تقرير مضاعفة الحسنة إلى سبعمائة ضعف في الإنفاق في سبيل الله كما قال تعالى ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣).

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا

(١) سورة الأنفال الآية ٢ .
(٢) سورة النساء الآية ٩٥ .
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٦١ .

نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ لما ذكر عز وجل في الآية السابقة عن مضاعفة القرض والأجر الكبير للمقرض ذكر حال المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة يتقدمهم نورهم حسب أعمالهم فيضيء لهم طريقهم إلى الجنة التي وعدهم الله بها، فتبشرهم الملائكة بما أُعِدَّ لهم في الجنة من ثواب الله ونعيمه؛ جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة في الدنيا كما قال تعالى ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقيمين فيها أبداً ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: أن دخول الجنة هو الفوز الذي لا فوز بعده إلا رؤية الرحمن.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ المنافقون والمنافقات هم الذين كانوا يظهرون في الدنيا

بمظهر الإيمان وهم كفرة في دواخلهم، ففي عرصات القيامة يجعل الله للمؤمنين والمؤمنات نوراً بين أيديهم وبأيمانهم ويجعل للكافرين ظلاما من بين أيديهم وشمائلهم فيذهبون إلى المؤمنين والمؤمنات يطلبون منهم الاقتباس من نورهم، لإزالة ظلمتهم ووحشتهم ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ أي: يقول لهم المؤمنون والمؤمنات على سبيل التوبيخ: ارجعوا إلى ظلمتكم فالتمسوا منها النور؛ لأن النور الذي تطلبونه الآن قد ضيعتموه في الدنيا؛ بسبب نفاقكم وكفركم فاليوم ليس لكم إلا الظلام ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ أي: وضع حينئذ حاجز بين الجنة والنار كما قال تعالى ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾[1]. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ أي: الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: النار ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ أي: يقول المنافقون للمؤمنين: ألم نكن معكم نصلي الصلوات، ونحضر الجمع والجماعات ونتصدق كما تتصدقون؟ فيرد عليهم المؤمنون بقولهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ بالنفاق والتلبيس على الناس بظهوركم بمظهر الإيمان، وأنتم على خلاف ذلك ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ أي: كنتم تنتظرون النوائب بالمؤمنين ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم بالبعث والحساب ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ أي: غرتكم الدنيا وزينتها ونسيتم الآخرة ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: عاجلكم الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ أي: خدعكم

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٤٦ .

الشيطان وزين لكم ما كنتم تعملون ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: في هذا اليوم لا يؤخذ منكم ولا من الذين كفروا فدية أي: مال تفتدون به أنفسكم من العذاب ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: هي مصيركم ومرجعكم ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: تعس المقام.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن للمؤمنين في عرصات القيامة نوراً يمشي بين أيديهم وبأيمانهم وهم على الصراط، وأن الملائكة تبشرهم بمقامهم في الجنة وخلودهم فيها. تقرير: أن المنافقين يستنجدون في يوم القيامة المؤمنين الذين كانوا يعرفونهم في الدنيا مساعدتهم في الاقتباس من نورهم؛ بسبب ما هم فيه من الظلمة والوحشة فيسخرون منهم. تقرير: صفات المنافقين، ومنها: ظهورهم للناس بمظاهر الإيمان وهم في دواخلهم كاذبون كما قال تعالى ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. ومنها: تربصهم الدوائر بالمؤمنين والانقضاض عليهم إذا تعرضوا للنوائب وارتيابهم بالبعث والحساب، ومن صفاتهم: اغترارهم بالحياة الدنيا ومباهجها. واستجابتهم لأمر الشيطان وما زينه لهم من النفاق. تقرير: أنه في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة ينتفي الفداء، وتنتفي الشفاعة إلا للمؤمنين، أما الكافرون فيلاقون العذاب.

---

(١) سورة النساء من الآية ١٤٢ .

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية: أن المزاح والضحك كثر في أصحاب رسول الله ﷺ بعدما استقروا في المدينة وترفَّهوا فيها، ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: **(إن الله يستبطئكم بالخشوع)** فقالوا عند ذلك: خشعنا[1]. والمراد ألم يجئ الوقت الذي تلين فيه قلوب المؤمنين فتخشع قلوبهم عند سماع المواعظ والآيات والوعيد ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو كلام الله فيتعظوا بما فيه من المواعظ ويستهدوا بما فيه من الهدى ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: لا يكونوا كاليهود والنصارى لما تطاول عليهم الزمان وغرتهم الحياة الدنيا ومفاتنها نسوا ذكر الله ومواعظه وآياته، فأصبح الإيمان يزول من قلوبهم شيئا فشيئا ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم يعودوا يقبلون موعظة ولا ينتفعون بذكر من أذكار الله وآياته ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٤٩ .

فَٰسِقُونَ ﴾ أي: تاركون للحق متبعون للباطل ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ أي: أن الله برحمته ورأفته بعباده يحيي الأرض التي أصبحت بمثابة الميتة بعد أن يبس نباتها بعد انقطاع الغيث عنها فكما أنه عز وجل يحيي هذه الأرض بإنزال الغيث عليها فهو يلين القلوب إذا خشعت لذكره، ويزيل عنها غشاوة الغفلة إذا استذكرت ما نزل من آيات الله وبراهينه كما قال عز وجل ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب خشوع قلب المؤمن لذكر الله والتحذير من اللهو الذي يغشى القلب فينسيه ذكر الله. تحذير المؤمنين من مشابهة من سبقهم من أهل الكتاب الذين طال عليهم الزمان وهم في غفلة عن ذكر الله فأصبح إيمانهم يتناقص شيئا فشيئا حتى صار أكثرهم فاسقين معادين للحق متبعين للباطل كما قال تعالى في حقهم ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[1]. تقرير: أن الأرض الميتة كما تحيا بنزول الغيث عليها، فإن القلوب تحيا بذكر الله، وتلاوة كتابه، وتدبر آياته وأوامره ونواهيه.

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٣ .

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ أي: أن الذين يتصدقون على الفقراء والمساكين والمحاويج ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: كانت صدقاتهم بنية خالصة لله، ليس فيها منٌّ ولا أذى ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ أي: تضاعف لهم أجورهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: سيكون لهم أجر وثواب عظيم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أي: الذين اكتسبوا هذه المرتبة العالية عند ربهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا كلام مبتدأ أي: أن للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أجرهم ونورهم أي: ثوابهم ومقامهم في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: الذين كفروا بالله وكذبوا آياته سوف يلاقون العذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الصدقة كما قال عز وجل ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة**) الحديث[2].

تقرير: أن الذين يتصدقون على المحاويج ويقرضون أموالهم في طاعة الله تضاعف أجورهم، وأن الذين يؤمنون بالله ورسوله هم الصديقون والشهداء والمؤمنون بالله ورسله. فيكون الصديق أعلى رتبة من الشهيد؛ لما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**)[3].

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ

---

(١) سورة الحج من الآية ٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، برقم (٢٤٤٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص١١٦ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، برقم (٢٨٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٢٩ .

فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ لما بيَّن الله في الآية السابقة فضل الذين يؤمنون بالله ورسله وما أعد الله لهم من الأجر العظيم ذكَّر المؤمنين وعلّمهم أن الحياة الدنيا مجرد لعب ولهو أي: تسلية عارضة وزينة موقتة ﴿وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: مباهاة فيها بكثرة المال والولد ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي: أن مثل الحياة الدنيا كمثل غيث أعجب الكفار أي: الزراع نباته بعد نزول الغيث عليه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ أي: يتغير لونه فيصير مصفرّاً، ثم ما يلبث أن يكون حطاما أي: يبسا بعد أن كان خضرا نضرا. وهذا هو مثل الإنسان في الحياة الدنيا حيث يولد ثم يتطور في مراحله حتى يصير شابا ثم يصير كهلا ثم شيخا ثم ينتهي بانتهاء أجله ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ أي: ليس في الآخرة إلا عذاب شديد

لأهل الشرك والمعاصي الذين كفروا بآيات الله ورسوله وغرتهم الحياة الدنيا ومغفرة من الله ورضوان للمتقين الأبرار الذين فضلوا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: ليست الحياة إلا متاعاً زائلاً يغتر بها السفهاء.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا أمر من الله لعباده أن يتسابقوا إلى فعل الطاعات وترك المنهيات، وأن يتسابقوا كذلك إلى التوبة من ذنوبهم حتى يغفر الله لهم ويدخلهم الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: هيئت للذين آمنوا بالله إيمان حق وصدق، واتبعوا رسوله وائتمروا بما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: أن من حصل له هذا الإيمان فقد وفَّقَهُ الله إلى هذا الفضل ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: المتفضل على عباده بجوده وكرمه ورحمته لهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في الآيتين: تقرير أن الحياة الدنيا مجرد لهو ولعب، سرعان ما يزول دون أن يستفيد منه صاحبه بشيء كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ

أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[1]. وهذا يقتضي عدم الاغترار بها. وفيهما ذم التباهي بكثرة المال والولد كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2]. تقرير: أن المعيار في الحياة الآخرة إما النعيم جزاء الإيمان، وإما العذاب جزاء الكفر. وفيهما: الحث على المسارعة إلى فعل الأعمال الصالحة للفوز بالجنة.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: ما حدث من حادث في الأرض من قحط أو غرق أو زلزال أو خسف وما أصاب العبد من مصيبة في نفسه كمرضه، أو فقد ذريته أو ذهاب ماله إلا وقد كتبه الله في كتاب المقادير قبل خلق الخلق كما قال تعالى ﴿إِلَّا

(١) سورة يونس من الآية ٢٤ .

(٢) سورة التغابن من الآية ١٥ .

﴿فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: قبل خلقها ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل على الله عز وجل ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ ولأن الله قدر المقادير وكتبها في اللوح المحفوظ فقد وجب عدم الأسى على ما فاتكم مما تحبون فقد يكون في فواته خير لكم ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: لا تفرحوا فرح بطر بما آتاكم من المال أو الولد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: لا يحب كل متكبر يتباهى بما أوتي من المال أو الولد ويتطاول بذلك على الناس ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ كما لا يحب الله صنفين من الناس هما الذين يبخلون بما يجب عليهم الوفاء به كإيتاء الزكاة وبر الوالدين وصلة الأرحام. والذين يأمرون الناس بالبخل أي: يمنعونهم من الوفاء بما يجب عليهم، فإثمهم في هذا أكبر؛ لأنهم لايكتفون ببخلهم أنفسهم، وإنما يأمرون غيرهم بالبخل ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: من يعرض عن عبادة الله وطاعته بالإنفاق في سبيله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الغني في ذاته وقوته وقدرته، وعدم حاجته إلى خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود من خلقه على إنعامه وفضله عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: وجوب الإيمان بالقدر كما قال عز وجل ﴿إِنَّا كُلَّ

شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[١]. وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**)، وقال: (**عرشه على الماء**)[٢]. ومنها: النهي عن الأسى على ما فات الإنسان في دنياه لقول رسول الله ﷺ: (**لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**)[٣]. ومنها: النهي عن فرح الإنسان بما أوتي من نصيب الدنيا كما قال قوم قارون له فيما حكاه الله عنهم بقوله ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[٤]. والمراد من النهي عن الأسى والفرح إذا كانا يؤديان إلى فعل ما هو منهي عنه أصلا كاليأس والقنوط من رحمة الله عند نزول النوائب، أو الفرح الذي يؤدي إلى الفساد كتبذير المال في أعمال السفه. ومن الأحكام: تحريم الاختيال والفخر والتباهي كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾[٥]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ

---

(١) سورة القمر الآية ٤٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٦٧٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٠٧ .

(٣) أخرجه البرهان فوري في كنز العمال، برقم (٦٢٦)، ج١ ص١٣٢، السنة لابن أبي عاصم ج١ ص١١٠، وحسنه الألباني -رحمه الله- في السلسلة.

(٤) سورة القصص من الآية ٧٦ .

(٥) سور الإسراء الآية ٣٧ .

لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[١]. ومنها: ذم البخل والأمر به بما يؤدي إلى منع الحقوق عن أصحابها والمنع عن الإنفاق في سبيل الله؛ لأن سوء عاقبة البخل ترتد إلى صاحبه، أما الله فهو غني عن خلقه وإنفاقهم كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[٢].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: أرسلنا معهم المعجزات والبراهين القاطعة ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهي: الكتب التي تحمل أحكام الله ﴿وَٱلْمِيزَانَ ﴾ أي: العدل الذي جاءت به الرسل والكتب ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: يقوموا باتباع الرسل فيما أمروهم به ويعدلوا فيما بينهم في تعاملهم. ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: كما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب أنزل الحديد فيه قوة ومنافع عظيمة؛ ذلك أن الله أمر رسله ومنهم نبينا ورسولنا

---

(١) سورة لقمان من الآية ١٨ .

(٢) سورة محمد من الآية ٣٨ .

محمد ﷺ بإبلاغ الناس بوجوب توحيده وطاعته واتباع شرعه، ولكن الإنسان قد يتبع هواه فلا يأتمر بأمر ولا ينتهي عن نهي، بل يحارب الرسل وينازعهم ويؤذيهم كما فعل المشركون مع رسول الله ﷺ وهو يدعوهم في مكة ثلاث عشرة سنة إلى أن أمره الله بالجهاد، ولهذا شرع الله الجهاد، وهذا لا يكون إلا بآلات الحرب التي تصنع من الحديد كالسيوف والرماح والدروع وغيرها إلى أن تطورت فأصبحت كما يراها الإنسان طائرات ومدافع وصواريخ وقنابل، كل ذلك من الحديد الذي سخره الله للإنسان ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: وفي الحديد كذلك منافع للناس في معايشهم وأحوالهم مما هو معلوم لهم. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: بإنزال الحديد يعلم الله من ينصرونه بالدفاع عن شرعه وينصرون رسله بتصديقهم والإيمان بما جاؤوا به بالغيب وهم لم يروهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: قوي في أخذه للظالمين، عزيز في ذاته العلية وغالب على أمره.

أحكام ومسائل الآية:

بيان فضل الله على خلقه بأن بعث فيهم الأنبياء وأرسل لهم الرسل يبينون لهم طريق الهدى، ويأمرونهم بما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة. وفي الآية: أيضا بيان هذا الفضل بإنزال الكتب التي تبين للخلق شرائع الله وأحكامه ليكونوا على بينة من أمرهم كما قال عزوجل ﴿لِّيَهْلِكَ

مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1]. وفيها: تقرير منافع الحديد للإنسان، وهذه المنافع لا تحصى، فمنذ أن خلق الله خلقه وهم ينتفعون بهذه المادة في معاشهم وفي سفرهم وإقامتهم وسائر شؤون حياتهم وقد تطور هذا الانتفاع مع مرور الزمان إلى الحد الذي يعرفه الإنسان اليوم متمثلا في الطائرات والسفن والسلاح وأنواع البضائع وغير ذلك مما لا يحصى من المنافع.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ لما بيّن الله عز وجل في الآية السابقة أنه أرسل الرسل والكتب بيّن أنه أرسل نوحا وإبراهيم ثم أرسل الأنبياء والرسل من ذريتهما وسلالتهما، وآخرهم عيسى بن مريم الذي بشر بأن

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٤٢ .

محمدا ﷺ سوف يأتي بعده. قوله ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذريتهما أناس مهتدون اتبعوا سننهما، ومنهم فاسقون -وهم الكثير- عصوهما واتبعوا غير سبيلهما ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: اتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسل أرسلوا واحدا بعد الآخر حتى عيسى ابن مريم ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ أي: أنزلناه عليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: شفقة ومودة بينهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعوا مغالاة في الدين من عند أنفسهم وفي هذا ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن الملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤونها ويدعون إلى دين الله فقال أناس لملكهم: لو قتلت هذه الطائفة لكونهم كانوا على خلاف معهم في دينهم فقال المؤمنون: نحن نكفيكم أنفسنا فتفرقوا في الجبال والبراري وابتعدوا عن الناس وكانوا على منهاج عيسى وطريقته[1]. وقد خلف من بعدهم قوم ممن غيرّ الكتاب فقالوا: نسيح ونتعبد كما تعبد أولئك، وكانوا جهلة لا علم لهم بإيمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم، فتفرغوا للعبادة في الصوامع والأديرة ولكنهم على جهل وضلال فلم ينتفعوا بالرهبنة قوله ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لم يكتبها الله عليهم؛ لأن فيها تشديدا على أنفسهم والله لا يشدد على عباده ﴿إِلَّا

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٦٣-٢٦٤ .

﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما ابتدعوها إلا طلبا لرضوان الله ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ أي: لم يرعها المتأخرون حق رعايتها ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ أي: أعطينا المؤمنين الأُول الذين فروا بدينهم أجورهم ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة أي: الذين جاؤوا من بعدهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس إلى ما فيه نفعهم في دينهم ودنياهم. فمنهم: من اتبع الحق الذي جاءت به الرسل، ومنهم: من اتَّبع الباطل وكذب ما جاؤوا به. ومن الأحكام: أن كل محدثة بدعة، تقرير: مشروعية العزلة عن الناس إذا فشا فيهم الفسق والظلم ولا يستطيع العبد تغييره، أما إن كان الاختلاط بهم لا يؤثر عليه في دينه فهو أفضل من اعتزالهم؛ لما رواه أبو أمامة الباهلي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال: فمر رجل بغار فيه شيء من ماء فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا، ثم قال: لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل، فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا قال:

فقال رسول الله ﷺ: **(إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة)**[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المراد بهم الذين آمنوا بموسى وعيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ أي: اتقوا الله في أنفسكم وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أي: يعطكم أجرين عن إيمانكم بنبيكم، وإيمانكم بمحمد ﷺ ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ أي: يجعل لكم نوراً تمشون به يوم القيامة إلى الجنة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ ما سبق من ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه ويرحمهم من عذابه ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (لا) صلة تؤكد الكلام بعدها والمعنى: ليعلم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٢٦٦ .

أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يستطيعون منع ما يعطيه الله ولا عطاء من يمنع الله عطاءه ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: ليس بأيدي أهل الكتاب فيجعلون النبوة في غير محمد ﷺ؛ ذلك أن سبب عدم إيمانهم به عليه الصلاة والسلام هو حسده، وحسد أمته على هذا الشرف الرفيع والمنزلة العظيمة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: هو صاحب الفضل على خلقه المنعم والمتفضل عليهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نداء الله لأهل الكتاب أن يؤمنوا برسول الله محمد ﷺ؛ ليحصل لهم أجر إيمانهم به وأجر إيمانهم بأنبيائهم، ولكنهم أعرضوا عن ندائه فلم يكن في ذلك خير لهم في الدنيا ولا في الآخرة. تقرير: أن أهل الكتاب لا يقدرون على منع النبوة عن محمد ﷺ وأن عدم إيمانهم بهذه النبوة سيكون وبالا عليهم وخسرانا لهم في الآخرة. ومن الأحكام: أن من لم يؤمن بنبوة ورسالة محمد رسول الله ﷺ، فلا إيمان له ولو كان مؤمنا بدينه ونبيه لقول الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المجادلة

مدنية وآياتها ثنتان وعشرون آية

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾.

بيان الآية:

نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين قال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، وكان الظهار حينذاك طلاقا فجاءت خولة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها قائلة: أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بقول الله عز وجل ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾[1] أي: سمع قول المرأة في زوجها ومجادلتها فيما فعل بها ﴿وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: تجأر إليه بحالها ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ أي: يسمع ما كان يجري بينكما من التحاور في شأنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع أقوال عباده وشكاواهم، وهو بصير بأحوالهم.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٤٥-٦٤٦، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب الظهار، برقم (٢٠٦٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٦٦ .

أحكام ومسائل الآية:

تقرير إجابة الله لعباده وسماعه لشكواهم كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ الآية[1]. وتقرير أن الله يسمع ما يجري بين عباده من القول.

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ﴾ الظهار: مشتق من الظهر وكان الجاهلي إذا أراد طلاق امرأته قال: أنت علي كظهر أمي ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ ﴾ أي: ليست زوجة الرجل أمه إذا قال لها: أنت علي كظهر أمي، وإنما أمه التي ولدته، ولهذا قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ ﴾ أي: أن هذا

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

القول الذي كانوا يقولونه في الجاهلية قول فاحش وباطل ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: اجتنبوا هذا القول وسيعفو الله عنكم ويغفر لكم ما كان منكم في الجاهلية إذا تبتم إليه ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: إذا قال الرجل هذا القول ثم أراد جماع زوجته فلا تحل له حتى يكفِّر لقول الله تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاق رقبة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أي: يحصل النكاح بينهما ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي: تزجرون بتغليظ الكفارة عليكم حتى لا تفعلوا الظهار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: يعلم مافيه خيركم وصلاحكم ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أي: على المظاهر صيام شهرين متتابعين قبل النكاح.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ أي: يعطي لكل مسكين مدّاً من بر أو مدين من التمر ونحوه من قوت المكان ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: هذا الذي أمرتم به من الكفارة لكي تؤمنوا أن الله أمركم به، وأن عليكم ألا تتعدوا حدوده ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي بينها لكم وهي أن الظهار معصية والكفارة طاعته فيما أمركم به. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: حين يتعدوا حدود الله التي بينها لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: تحريم الظهار بوصفه منكرا من القول وزورا ويجب

التوبة منه إذا حدث. ولفظ الظهار صريح وكناية؛ فالصريح أن يقول لزوجته: أنت علي كظهر أمي، والكناية أن يقول أنت علي مثل أمي فتعتبر في هذا النية، فإن كان يريد الظهار كان ذلك له وإن لم يرده لم يكن مظاهرا. ومنها: أن الظهار في حال الغضب لا يسقط حكمه وهو الكفارة كما سيأتي. ومنها: أن على المظاهر ألا يمس امرأته حتى يكفر؛ لأن وصفه لها بظهر أمه يقتضي تحريمها عليه حتى يتم كفارته. ومنها: إن طلق وظاهر لزمه الطلاق والظهار معا، فلم يكفر حتى يراجعها إذا لم تكن مبتوتة، فإن كانت كذلك لم يكفر حتى ينكحها بعد زوج آخر في نكاح صحيح. ومن الأحكام: أن المظاهر لو جامع زوجته قبل إخراج الكفارة لا يلزمه إلا كفارة واحدة، وعليه أن يستغفر الله، لما روي أن رجلا ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: (**ما حملك على ذلك؟**) فقال: يا رسول الله رأيت بياض حِجليها في القمر فلم أملك نفسي أن وقعت عليها. فضحك رسول الله ﷺ وأمره ألا يقربها حتى يكفر[١].

ومن الأحكام: أن على المظاهر عتق رقبة، فإن تعذر ذلك لأي سبب صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع لأي سبب كالعجز أو المرض أطعم ستين مسكينا كلَّ واحد منهم مدا من البر أو مدين من

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب المظاهر يجامع قبل أن يكفر، برقم (٢٠٦٥)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٦٦، والنسائي في كتاب الطلاق، باب الظهار، برقم (٣٤٥٧)، سنن النسائي ج٦ ص٤٧٩ .

قوت المكان الذي هو فيه كالأرز وما في حكمه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ المحادة: المعاداة والمراد أن الذين يعادون الله ورسوله فلا يأتمرون بما أمروا به ولا ينتهون عما نهوا عنه ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: هُزموا وذُلّوا كما هزم الذين من قبلهم ممن عادوا الله ورسله من الأمم الهالكة، وفي هذا بشرى لرسول الله ﷺ أن أعداءه من المشركين سوف ينهزمون وهذا ما حدث بالفعل في غزوة بدر والأحزاب وغيرهما ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: أنزلنا البراهين والحجج الدالة على صدق رسولنا ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: سيحيق العذاب المهين بالكافرين الذين لا يصدقون ما أنزل الله من الآيات ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يوم يجتمعون كلهم في عرصات القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ أي: يخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من الحسنات أو السيئات مما أحصاه الله عليهم ودوّنه في صحائف أعمالهم فنسوه كما قال تعالى ﴿أَحْصَىٰهُ

﴿ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ أي: شهيد وحفيظ لأعمالهم التي كتبتها الملائكة الحفظة ودونت في صحائف أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الذل والهوان والخزي يقع لكل من عادى الله ورسوله كما قال عز وجل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1]. تقرير: أن الله يحصي أعمال العباد فينبئهم يوم القيامة بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من الحسنات أو السيئات ويجازيهم عليها بحسبها، وهذا يقتضي منهم الخشية والحياء منه.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾.

بيان الآية:

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا توكيد من الله بأنه كما أحصى أعمال الخلق، فإن علمه يحيط بكل ما في السموات والأرض ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ أي: مايتناجى ثلاثة نفر إلا وعلمه محيط بهم وما يتناجون فيه ﴿وَلَا

(١) سورة الأنفال من الآية ١٣ .

خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ أي: لا يتناجى كذلك خمسة نفر إلا هو سادسهم بعلمه وقدرته ﴿**وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ**﴾ أي: كالاثنين ﴿**وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟**﴾ أي: لا أكثر من الأربعة أو الخمسة إلا يعلم سرهم وما يتناجون فيه، سواء كانوا في البر أو في الجو أو في ظلمات البحر ﴿**ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ**﴾ أي: يخبرهم بما كانوا يعملون وما يتناجون فيه ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ أي: لا يحد علمه حد، ولا يصفه وصف بل هو محيط بما في الكون علوه وسفله.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن التناجي في عمل الخير ينبغي أن يكون بين ثلاثة أو خمسة أو سبعة؛ فإذا اختلف الاثنان رجح الثالث وإذا اختلف الأربعة رجح الخامس.

ومنها: النهي عن تناجي الاثنين دون الثالث لقول رسول الله ﷺ: (**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجْلَ أن ذلك يحزنه**)[1] وهذا من آداب الإسلام إذ أن انفراد اثنين بالتناجي بينهما مما يؤذي نفس الثالث، إذ قد يظن أنهما يتحدثان عنه بسوء.

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، برقم (٦٢٩٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٨٥ .

بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ هذه الآية نزلت في اليهود والمنافقين في المدينة، فقد كان بين رسول الله ﷺ واليهود موادعة، فإذا مر باليهود رجل من المسلمين صاروا يتناجون بينهم تخويفا وإيحاشا له، فيتجنب طريقهم فنهاهم رسول الله ﷺ عن سلوكهم هذا ولكنهم لم ينتهوا[1] ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: يتناجون بينهم بعمل الإثم والعدوان على المؤمنين، ومن ذلك معصية الرسول والكيد له والتواصي بينهم بالعداء له ومن معه من المؤمنين ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: أنهم إذا دخلوا على رسول الله ﷺ قالوا: السام عليكم أي: الموت يلوون بها ألسنتهم حتى ليظن السامع أنهم يقولون السلام عليكم ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبي لعذبنا الله بما نقول ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مآلهم وكفايتهم جنهم ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: تعس المصير الذي يصيرون إليه في جهنم.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٤٨ .

أحكام ومسائل الآية:

تقرير كيد اليهود والمنافقين لرسالة رسول الله ﷺ وهذا الكيد لم ينقطع منذ بداية الرسالة إلى يومنا هذا. تقرير: تربية الإسلام للمسلمين وتهذيبهم في سلوكهم وفي علاقتهم مع أعدائهم، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام والذام واللعنة فقال رسول الله ﷺ: (**يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**) قلت: ألا تسمعهم يقولون السام عليك فقال رسول الله ﷺ: (**أو ما سمعت أقول وعليكم**). وفي لفظ: (**إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك أي: عليك ما قلت**)[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، برقم (٢١٦٥، ٢١٦٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٨٣٨-٥٨٣٩ .

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ هذا نهي من الله للمؤمنين بأنهم إذا تناجوا فيما بينهم ألا يتناجوا بما فيه إثم أو معصية للرسول كما هو حال اليهود والمنافقين، بل يجب أن تكون مناجاتهم في عمل البر وفي تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: خافوه واخشوه فإنكم ستحشرون إليه يوم القيامة، وسوف يحاسبكم على أفعالكم ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ النجوى هي: التسارّ وهي من عمل الشيطان وعمل المنافقين ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لكي يصيبهم الهم والغم ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: هذا التناجي من المنافقين، ومن الشيطان لن يضر المؤمنين إلا بإذن الله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يجب أن يكلوا أمورهم واعتمادهم عليه فهو المنجي والحافظ، ومن يتوكل عليه فهو حسبه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم التناجي بالإثم والعدوان ووجوب التناجي بالبر والتقوى كما قال عز وجل ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]. ومن الأحكام: -كما سبق ذكره- عدم جواز تناجي اثنين دون الثالث.

---

(١) سورة النساء الآية ١١٤ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ ﴾

هذا من آداب الإسلام وتربيته للمؤمنين وقيل: إن هذه الآية نزلت في مجالس الذكر؛ ذلك أن المؤمنين إذا كانوا عند رسول الله ﷺ وأتى رجل يريد الجلوس شَحُّوا بمجالسهم فأمرهم الله أن يفسحوا في المجلس بعضهم لبعض[1] لقوله تعالى ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: يوسع لكم في دنياكم وأخراكم ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ أي: إذا قيل لكم: قوموا للصلاة أو للجهاد أو لأي عمل من أعمال البر فقوموا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي: يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، ويرفع العالم على من ليس بعالم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أي: عليم بما تعملون فاخشوه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير التوسع في مجالس الذكر أو أي مجالس مماثلة لتكون هذه المجالس أكثر نفعا لأكبر عدد من الناس. والتوسع في المجالس لا يعني

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١٤٠٨ .

أن يقوم آخر ليجلس آخر مكانه، وإنما المراد أن يوسع له ما لم يكن في ذلك أذى له. وفي حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه**)[1]. تقرير: أن الله يرفع المؤمنين وأهل العلم درجات، فالمؤمن يرتفع على من لم يؤمن والعالم يرتفع على من ليس بعالم وهكذا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ في هذا أمر من الله للمؤمنين إذا أرادوا مناجاة الرسول أن يقدموا قبل المناجاة صدقة ولهذه الصدقة فائدتان: أولاهما: أنها سوف تدفع للفقراء من المسلمين. وثانيهما: أنها تخفف على رسول الله ﷺ عبء المناجاة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: في تقديم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، برقم (٦٢٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٦٤ .

الصدقة قبل المناجاة خير لكم لما سينالكم من الحسنة ولما في ذلك من طهارة أنفسكم وأموالكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: إذا لم يكن لديكم ما تدفعونه صدقة فلا جناح عليكم إذا في مناجاته. وقد نسخ الله هذه الآية بقوله ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أي: أشقَّ عليكم أن تقدموا هذه الصدقة؛ ذلك أنهم قللوا من المناجاة بعد نزول هذه الآية ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: رفع عنكم هذا التكليف وهو نسخ هذا الحكم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: حافظوا عليها وأدوها في أوقاتها بأركانها وشروطها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أخرجوها طيبة بها نفوسكم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: الزموا طاعتهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: خبير وعليم بأعمالكم فاخشوه وخافوه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نسخ حكم أراد الله بحكمته نسخه كما قال عز وجل ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[1]. ومن الأحكام: أن نسخ الحكم يراد به مصلحة المكلَّفين. تقرير: أن المؤمن إذا فاته خير أو فضل عوَّضه بفضل آخر، وذلك بما يتقرب به من زيادة في الأعمال الصالحة كالبر والصدقة.

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٦ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ هذه الآية نزلت في المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول وعبد الله بن نبتل وكان هذا يجالس النبي ﷺ ثم ينقل حديثه إلى اليهود[١] والمراد ألم تر يا نبينا محمداً إلى الذين يوالون ويمالئون قوما غضب الله عليهم وهم اليهود ﴿ مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ أي: ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا هم من اليهود كما قال تعالى ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾[٢]. ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وفي هذا روي أن رسول الله ﷺ كان جالسا تحت ظل شجرة فقال:

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٥١ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٤٣ .

(يجيئكم الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر شيطان) فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق فدعا به رسول الله ﷺ فقال: (**علام تشتمني أنت وأصحابك؟**) قال: دعني أجئك بهم فجاء بهم فحلفوا جميعا أنه ما كان من ذلك من شيء[1]. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: أرصد الله لهم عذابا أليما جزاء نفاقهم وكذبهم ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئس الصنيع صنيعهم ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: اتخذوا من أيمانهم التي يحلفون بها ستارا يسترون به نفاقهم وعداوتهم للمؤمنين ويقون بها أنفسهم من العقاب ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بسبب كفرهم ونفاقهم لبَّسوا على الناس فصدقوهم فحصل بسببهم صد لهم عن سبيل الله. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: سيلاقون يوم القيامة العذاب والإهانة والذل ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم العذاب يوم القيامة، فليس لهم من فدية يفتدون بها، وليس لهم ولي يواليهم، أو ناصر ينصرهم من دون الله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أي: سيجزى هؤلاء بالخلود في النار فلا يخرجون منها. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يوم يحشرهم يوم القيامة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أي: يحلفون بالله أنهم كانوا مؤمنين كما كانوا يحلفون في الدنيا لرسول الله ﷺ أنهم كانوا معه على الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٥١، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٦٧ .

أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: يظنون أن حلفهم هذا على هدى ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ أي: إنهم كاذبون في حلفهم ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ أي: غلب عليهم وسيطر على عقولهم فنسوا أي: تركوا أوامر الله واتبعوا الباطل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: هؤلاء هم جند الشيطان وأتباعه ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ أي: إن أتباع الشيطان وجنوده هم المهزومون الخاسرون في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بالمنافقين وتوعد الله لهم بالعذاب الشديد كما قال عزوجل ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[١]. ومن الأحكام: أن المنافقين ليسوا من المؤمنين وإن تظاهروا بالإسلام وصلوا وصاموا. ومنها: أن الحلف بالكذب من صفات المنافقين وعلاماتهم لقول رسول الله ﷺ: (**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب..**) الحديث[٢]. تقرير: أن الشيطان يستحوذ على المنافقين، فيزين لهم أعمالهم فيظنون أنهم على الحق بينما هم على الباطل. ومن دلائل سيطرة الشيطان على أصحابه موالاتهم لأعداء الإسلام وممالأتهم لهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: إن الذين يعادون الله ورسوله فلا يأتمرون بما أمرا به ولا ينتهون عما نهيا عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ أي: لهم الذلة والخزي يوم القيامة ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ أي: قدَّر الله وكتب في اللوح المحفوظ أن النصر والغلبة والعزة لله ولرسله وكتبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ أي: له القوة التي لا تضام والعزة التي لا ترام.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن المعادين لله ولرسوله بمخالفة أوامرهما ونواهيهما سيلاقون الذل والمهانة يوم القيامة. الحكم بأن الله قضى في الأزل بأن النصر لرسل الله وأنبيائه والمؤمنين، ومنهم رسول الله محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[1]. ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2].

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة غافر الآية ٥٢ .

حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾.

بيان الآية:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ أنك لن تجد قوما يؤمنون بالله حق الإيمان، وهم يحبون من كفر بالله وعاداه ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة بن الجراح فقد كان الجراح يتصدى لولده أبي عبيدة، وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله[1] ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ المراد أبو بكر الصديق حين همّ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ نزلت في مصعب بن عمير حين قتل أخاه عبيد بن عمير ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المراد به: عمر بن الخطاب يوم قتل قريبا له وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث حين قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة[2] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: كتب الله الإيمان في قلوب

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٥٣، وتفسير البغوي ص١٢٨٩ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٥٣ .

هؤلاء وقلوب من لا يوادون من كفر بالله ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: جعل لهم قوة وبرهانا ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: يدخلهم الجنات بكل ما فيها من النعيم المقيم والخلود الأبدي، ومع ذلك تحقق رضا الله عنهم حين امتثلوا لطاعته ورضاهم عنه حين جازاهم ورحمهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: هؤلاء هم حزب الله أي: أهل رضاه وكرامته ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هم السعداء المفلحون في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

تحريم موالاة الكافرين وممالأتهم ومحبتهم، ولو كانوا أقرب الأقرباء؛ لأن محبة الله وطاعته ومحبة رسوله وطاعته مقدمة على كل ما سواها كما قال عز وجل ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1]. تقرير: أن الله يكتب الإيمان في قلوب أوليائه، ويؤيدهم بقوته ويجعلهم من حزبه. تقرير أن حزب الله هم الذين يسعدون في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحشر

مدنية وآياتها أربع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قدس الله وعظّمه كل من في الكون العلوي والسفلي من المخلوقات والكائنات كل منهم بلسان حاله أو مقاله يسبح له ويعظمه وينزهه عن الشريك والولد ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز بقوته وعظمته، الحكيم في تدبيره

وتصريفه لخلقه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ المراد بهم يهود بني النضير لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري، فبينما كان في طريقه إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد مع رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع إلى المدينة -كما سبق ذكره- أخبر رسول الله ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: (**لقد قتلت رجلين لأدِيَنّهما**) وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين، فقالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - وكان رسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي الصخرة، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة وأخبر أصحابه ثم تهيأ لغزوهم فتحصنوا في الحصون وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة أي: السلاح فخرجوا إلى الشام ومنهم من ذهب إلى خيبر[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٤٦-٤٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٣٣١-٣٣٢.

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ أي: إلى الشام ثم حشرهم مرة أخرى إلى الشام بعد أن أجلاهم عمر من خيبر ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ أي: في المدة التي حاصرتموهم فيها وهي ستة أيام ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: ظنوا أنها ستمنعهم؛ بسبب منعتها ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: جاءهم أمر من الله لم يكونوا يظنونه ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: ألقى فيها الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: كانوا يخربونها من داخلها، وكانوا يقتلعون الأبواب والسقوف ويحملونها على الإبل ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يخربون بيوتهم من خارجها لفتحها ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: اتعظوا يا أهل العقول بما حل ببني النضير، رغم قوتهم وكيف أن الرعب زلزلهم حتى أصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: لولا هذا النزوح الذي كتب عليهم لعذبهم الله بالقتل والسبي ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ هذا وعيد لهم بما سيلاقونه في الدار الآخرة من العذاب؛ جزاء عدائهم لدين الله وغدرهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: عادوهما وخالفوا أوامرهما ونواهيهما ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ أي: يعاديه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قوله ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أي: نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ

﴿أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: تركتموها بلا قطع فإن ذلك بإذن الله ورضاه وقدره؛ ذلك أن رسول الله ﷺ قطع بعضا من نخيلهم، نكاية لهم على غدرهم فأيده الله في ذلك. ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي: يذلهم ويهينهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن كل المخلوقات والكائنات تسبح بحمد الله وتعظمه كما قال عز وجل ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١]. ومن الأحكام: تحريم الخيانة والغدر كما قال عزوجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا ائتمن خان وإذا عاهد غدر)**[٣].

تقرير: أن القوة والمنعة لا تغني أصحابها شيئا إذا جاء أمر الله بزوالها كما كان الحال مع بني النضير. تقرير: أن من يعادي الله يعذبه كما قال عز وجل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. تقرير: مسألة تخريب دار العدو

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

وحرقها وقطع ثمارها كما حدث لنخيل بني النضير. ويرى الماوردي أن في الآية دليلا على أن كل مجتهد مصيب، وإن كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم ولاشك أنه عليه الصلاة والسلام رأى وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط[١]. ونقل ابن العربي: أن العلماء اختلفوا على قولين: القول الأول: جواز ذلك كما هو في المدونة. القول الثاني: إن علم المسلمون أن ذلك لهم لم يفعلوا وإن ييأسوا فعلوا، وهذا قول الإمام مالك وقد علم رسول الله ﷺ أن نخل بني النضير له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا عنها فإتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعا مقصودة عقلا. قال ابن العربي: وروي أنه كان بعض الناس يقطع، وبعضهم لا يقطع، فصوَّب الله الفريقين وخلَّص الطائفتين فظن عند ذلك بعض الناس أن كل مجتهد مصيب يخرج من ذلك، وهذا باطل؛ لأن رسول الله ﷺ كان معهم ولا اجتهاد مع حضوره عليه الصلاة والسلام، وإنما دل على اجتهاده فيما لم ينزل عليه أخذا بعموم الإذاية للكفار ودخولا في الإذن للكل بما يقضي عليهم بالاجتياح والبوار وذلك قوله ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢].

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ

(١) تفسير الماوردي ج٥ ص٥٠٢ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص١٧٦٨-١٧٦٩ .

وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ أموال بني النضير أخذت بدون قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، بل ألقى الله الرعب في قلوبهم فاستسلموا لرسول الله ﷺ فأعطاه الله أموالهم وتصرف فيها كما شاء لصالح المسلمين ولم يقسمها؛ لأن الذين خرجوا معه إلى بني النضير لم يكونوا مقاتلين بمعنى القتال، ناهيك أن حصون بني النضير كانت قريبة من المدينة فلم يحتج إخراجهم من حصونهم إلى سفر وتعب ! ولهذا قال تعالى ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي: بدون قتال فيرد الله عليهم مال الكافرين، والرسل عليهم السلام لا يأخذون هذا المال لأنفسهم، ولكنهم يوزعونه على فقراء أممهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: غالب قادر بقوته وعظمته وسلطانه.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: البلاد التي تفتح صلحا، فأموالها توزع حسب ما بينته الآية في قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فهذا يقتضي تقسيم الفيء خمسة أقسام، خمس لله ولرسوله، وهذا الخمس يصرف في أمور الأمة ومصالحها وخمس لقرابة رسول الله ﷺ وهم: بنو هاشم وبنو عبد المطلب؛ لأنهم نصروا رسول الله ﷺ حين كان محاصرا في الشعب من قبل قريش وليس لهم حق في الصدقة. وخمس لفقراء اليتامى الذين فقدوا آباءهم ولم يبلغوا بعد، وخمس للمساكين. وخمس لابن السبيل وهو المنقطع عن بلاده ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ﴾ أي: لا يكون المال متداولا ﴿بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ فقط فيحرم منه الضعفاء والفقراء ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ أي: ما أمركم به من أمر فافعلوه وما نهاكم عن شيء فاجتنبوه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: اتقوه بطاعته واتباع ما يأمركم به واجتنبوا ما ينهاكم عنه، فإنه شديد العقاب لمن عصى أمره، وتعدى حدوده.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الفيء هو المال الذي أخذ بغير قتال، نتيجة صلح أو بفرار العدو فما يحصل من أمواله يقسم خمسة أخماس حسب

ما حكم به الله وهو أنه لله، ولرسوله، ولذي القربى -قربى رسول الله ﷺ- واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. أما المال الذي يؤخذ عنوة ونتيجة حرب وقتال وإيجاف بخيل وركاب كما نصت عليه الآية فهذا يحكمه قول الله تعالى ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية[1]. أي: أن الخمس يكون لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يوزع بالتساوي. أما الأربعة الأخماس الباقية فتقسم على المجاهدين الذين قاتلوا العدو فيكون للراجل منهم سهم، وللفارس سهمان. ومن هذه الأحكام: وجوب طاعة رسول الله ﷺ فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه. وفي هذا ورد في الصحيح أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله عز وجل، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت. فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله تعالى؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لها: إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ ؟ قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٤١ .

عنه رسول الله ﷺ. قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه. قال: فاذهبي فانظري. فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئا فقال: لو كانت كذا ما جامعتها(١).

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ كان رسول الله ﷺ أعطى من فيء بني النضير المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة، فقد ذكر الله فقرهما؛ وكعادة المنافقين

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، برقم (٤٨٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٩٨ .

- في إشعال نار الفتنة - عابوا ما فعل رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية يؤيد فيها ما فعله رسول الله ﷺ مبينا أن هؤلاء المهاجرين فقراء وقد تركوا ديارهم وقومهم يبتغون رضا الله ورحمته ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: خرجوا لنصرة دين الله ونصرة رسوله وصدقوا في ذلك، ثم أثنى عز وجل على الأنصار الذين سكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين وآمنوا بالله ونصروا رسوله فقال ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من صفاتهم الكرم ومحبة من جاؤوا إليهم مهاجرين فرارا بدينهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: لا يجدون في أنفسهم حسدا مما أعطاه الرسول لإخوانهم المهاجرين من الفيء بل إنهم يقدمون حاجة الفقراء على حاجتهم أنفسهم ولو كانوا في أشد الحاجة والعسر وهذا معنى قوله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ قوله ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: أن من وقاه الله البخل بالمال والتهالك على جمعه فهو من المفلحين وأهل السعادة.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الذين جاؤوا من بعد

المهاجرين الأولين والأنصار واتبعوهم بإحسان، هؤلاء هم القسم الثالث الذي يستحق الفيء وهم لمحبتهم لإخوانهم المؤمنين من المهاجرين والأنصار ومن المؤمنين عموما يدعون لهم لسبقهم لهم بالإيمان ويرون في ذلك أفضلية لهم كما يدعون الله ألا يجعل في قلوبهم حقدا ولا حسدا لهم ولا للمؤمنين عموما كما أخبر الله عنهم بقوله عز وجل ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل المهاجرين والأنصار، وهذا يقتضي وجوب محبتهم والترحم عليهم والترضي عنهم لصحبتهم لرسول الله ﷺ وموازرته ونصره، وإعلاء دين الله. كما يقتضي هذا الفضل كفر من يسبهم أو يتنقص منهم، أو يعيب عليهم أو ينكر فضلهم ومآثرهم. تقرير: فضل الإيثار على النفس لقول رسول الله ﷺ: (**أفضل الصدقة جهد المقل**)[1]. وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في إيثارهم على أنفسهم، فقد تقاسموا أموالهم مع المهاجرين، بل إن منهم من طلق إحدى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب أي الأعمال أفضل؟ برقم (١٤٤٩)، سنن أبي داود ج١ ص٥٣٨، والنسائي في كتاب الزكاة، باب جهد المقل برقم (٢٥٢٥)، سنن النسائي ج٥ ص٦١.

زوجاته؛ لكي يتزوجها أخوه المهاجر. تقرير: ذم الشح بالمال وفيه قول رسول الله ﷺ: (**إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**)[١]. الحكم: بأن الفقراء المستحقين للفيء ثلاثة أقسام هم المهاجرون والأنصار ثم الذين اتبعوهم بإحسان كما قال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٢].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢.

(٢) سورة التوبة من الآية ١٠٠.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ ما زال الخبر في قصة بني النضير وخيانتهم والعلاقة بينهم وبين المنافقين في المدينة وعلى رأسهم عبدالله بن أبيّ بن سلول وأصحابه فبيَّن الله لرسوله محمد ﷺ خبر هؤلاء بقوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تنظر إلى الذين نافقوا أي: أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يهود بني النضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: إن أخرجتم من المدينة فسوف نتضامن معكم ونخرج سويا ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لن نقبل من أحد أن يكون ضدكم ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ أي: إن قاتلكم محمد وأصحابه فسوف نكون معكم وننصركم، وإن الله مطلع على سرائرهم وكذبهم قال عز وجل ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما قالوه لليهود ثم قال تعالى مكذبا للمنافقين ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أي: لن يكونوا كما قالوا ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: لو صدقوا في قولهم - مع أنهم كاذبون فيه - فنصروهم لوَلَّوا مدبرين منهزمين أمام المسلمين. وقد حدث هذا بالفعل فلم يخرج المنافقون مع اليهود حين عرضوا الخروج من المدينة، ولم يقاتلوا معهم ولم

ينصروهم بشيء. قوله تعالى ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: أنتم أيها المؤمنون أشد رهبة على المنافقين من الله فيخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، ظنا أن الله لن يعذبهم أو أنه سيؤجل عذابهم. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أن النفاق أعماهم فلا يفقهون معنى الدين إذ لو كانوا يعقلون لما خافوا من البشر ولم يخافوا من الله ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي: لا يقاتلكم اليهود والمنافقون إلا في قرى محصنة بالأسوار ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي: من خلف المباني والمساكن ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: خلافهم وعداوتهم قائمة وشديدة بينهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: تراهم في الظاهر مجتمعين ولكنهم في بواطنهم مختلفون ومتباعدون لا يجمعهم دين ولا معروف، وإنما يجتمعون على عداوة المسلمين. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يدركون مصالحهم، فلو كانوا عقلاء لآمنوا بالله وصدقوا رسوله فحصل لهم بذلك الفوز في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكفرة والمنافقين إخوة في الكفر كما قال عز وجل ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فالكافر يظهر كفره والمنافق

يبطنه وقد يكون هذا أخطر من أخيه الكافر. تقرير: أن من سمات المنافقين إخلاف الوعد كما قال رسول الله ﷺ: (**آية المنافق ثلاث.. إذا وعد أخلف**)[١]. وقد أخلف المنافقون وعودهم لليهود. تقرير: الرهبة التي يصاب بها أعداء الإسلام من رسول الله ﷺ ودينه كما قال عليه الصلاة والسلام: (**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**)[٢].

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب (١)، برقم (٣٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٥١٩.

أي: مثل يهود بني النضير في نقضهم العهد وخيانتهم ومعاداتهم لرسول الله ﷺ كمثل إخوانهم بني قينقاع الذين كانوا من قبلهم في المدينة فنقضوا ما عاهدوا رسول الله ﷺ عليه فأخرجهم من المدينة فذاقوا بذلك عذاب الدنيا وهو الطرد والإبعاد، ولهم في الآخرة عذاب شديد ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ أي: مثل بني النضير مع المنافقين الذين وعدوهم بالنصر والقتال معهم ثم تخلوا عنهم كمثل الشيطان الذي يزين للإنسان الكفر فلما كفر تخلى عنه وتبرأ منه وقال ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ثم قال عزوجل ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ أي: عاقبة الإنسان الذي كفر وعاقبة الشيطان أنهما في النار مخلدين فيها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: جزاء كفرهما وشركهما.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المنافقين يتبرؤون من أصحابهم عند النوائب؛ لأن من صفاتهم الكذب، وأنهم مثل الشيطان الذي يزين للإنسان المعاصي ثم يتبرأ منه كما قال عز وجل ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي

وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ لما ذكر الله ما جرى من بني النضير من الخيانة والغدر وما جرى لهم جزاء خيانتهم أمر الله المؤمنين أن يتقوا الله بطاعته والتزام أوامره واجتناب نواهيه وأن يحاسبوا أنفسهم على ما مضى من أعمالهم فيتداركوا ما كان منها سيئا بالتوبة النصوح ويزيدوا منها ما كان صالحا بالحسنات ليزداد إيمانهم وتتضاعف حسناتهم ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: وتتفكر كل نفس بما قدمته من الحسنات والأعمال الصالحة كالصلاة والزكاة والبر والصدقة وبذل المعروف ﴿وَٱتَّقُواْ

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

﴿ٱللَّهَۚ﴾ توكيد للتقوى لعظم أمرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: يعلم ما تعملون من الحسنات والسيئات ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ في هذا تحذير للمؤمنين ألا يكونوا مثل الذين غفلوا عن ذكر الله وعملوا للدنيا ونسوا الآخرة فأنساهم الله أنفسهم، فازدادت غفلتهم فلم يعد لهم في الآخرة من نصيب فأصبحوا بذلك في عداد الفاسقين.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في عدل الله وحكمه ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ أي: هم السعداء يوم القيامة بعد أن نجاهم الله من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل التقوى وعظمها، ومن رحمة الله ورأفته بعباده أن أمرهم في عدة آيات أن يتقوه بالعمل في طاعته، واجتناب معاصيه منها قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]. وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2]. ومن التقوى أن ينظر الإنسان ما قدم ليوم

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٩ .

غده يوم القيامة من الحسنات والأعمال الصالحة فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال: فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1]. إلى آخر الآية. ثم قرأ قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة قال: فجاء رجل من الأنصار بِصُرّة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: (**من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**)[2].

---

(١) سورة النساء من الآية ١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم (١٠١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٨٠١ .

ومن الأحكام: وجوب ذكر الله وعدم نسيانه؛ لأن من نسي الله نسيه ومن نسيه الله فلن يجد له وليا يواليه أو ناصرا يناصره كما قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[١]. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٢]. تقرير: عدم تساوي أصحاب الجنة وأصحاب النار في حكم الله وعدله فالجزاء من جنس العمل وكل نفس توفى بما كسبت كما قال عزوجل ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٣]. وقال عز ذكره ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[٤].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ لما أمر الله عز وجل المؤمنين

---

(١) سورة طه الآية ١٢٥ .

(٢) سورة طه الآية ١٢٦ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٢١ .

(٤) سورة ص الآية ٢٨ .

بأن يتقوه وينظروا ما قدموا لأنفسهم يوم القيامة بيَّن لهم عظمة القرآن وأنه لو أنزل على جبل من الحجر الصلد شديد القساوة ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: يخشع ويتصدع خوفا من الله، فإذا كان هذا هو حال الجبل فكيف بالإنسان الذي أنزل عليه القرآن هداية له، فلا يخشع لسماعه ولا يتعظ بمواعظه أو ينتفع بما فيه من الذكر والهدى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: نضربها للعباد لعلهم يتفكرون في حالهم ومآلهم وما يجب عليهم نحو ربهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير عظمة القرآن وما فيه من الهدى للعباد كما قال عزوجل ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩ .

ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو المتفرد بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته الذي خلق الكون على غير مثال سابق وقدّر الأقدار ورفع السموات وبسط الأرض لا يعبد بحق إلا هو ولا يرجى إلا هو ولا ينفع ولا يضر إلا هو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ أي: يعلم مافي الكون دقائقه وجلائله ويعلم مافي البر وما في البحر ومافي طبقات الجو يعلم ما يشهده خلقه من المخلوقات وما لا يشهدونه منها لا يعلم الغيب إلا هو ولا يعلم ما كان وما يكون إلا هو ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: هو الرحمن الرحيم في ذاته وصفاته وأسمائه وسعت رحمته كل شيء في الوجود، فعمت المؤمن والعاصي من عباده يفرح المؤمنون برحمته ويتطلع العصاة إلى رحمته كتب على نفسه الرحمة فما من مخلوق إلا وهو تحت رحمته يرحم صغار الطير فتأتيهم أرزاقهم وهم

في أعشاشهم، ويرحم البهائم فينزل الغيث رحمة لهم ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء والمدبر لها والمتصرف فيها فلا مانع يمنعه، ولا راد يرده فقد خضع له كل شيء في الوجود فلا علم إلا علمه، ولا حكم إلا حكمه، ولا عدل إلا عدله ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المنزه عن كل نقص يقدسه كل من في الوجود بلسان حاله ومقاله ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أي: الكامل في ذاته وأوصافه العلية ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أي: صدق رسله وأنبياءه في إبلاغهم لأممهم وأقوامهم والمصدق لعباده المؤمنين في إيمانهم ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ أي: الرقيب على خلقه، الشاهد على أعمالهم وأقوالهم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قهر كل شيء فذل له وخضع له فلا يغلبه غالب، ولا يناله أحد في ملكوته وسلطانه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ أي: القاهر لجميع الجبابرة والطغاة ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ لا يليق التكبر إلا له، ولا يكون إلا لعظمته كما قال عز وجل في الحديث القدسي: (**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**)[٢]. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

---

(١) سورة يونس الآية ٥٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، برقم (٤٠٩٠)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٥، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، برقم (٤١٧٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٩٧، والإمام أحمد في المسند ج٢ ص٣٧٦ .

يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه عن شرك المشركين وعبث العابثين ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ﴾ أي: خالق جميع المخلوقات ﴿ٱلْبَارِئُ ﴾ أي: المبدع لكل الأشياء ﴿ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ أي: مبدع الصور وصانعها حسبما يشاء ويريد ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الأسماء الدالة على كماله وعظمته وقد علمنا منها رسول الله ﷺ تسعة وتسعين اسما ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تسبح له كل الموجودات في الكون كما قال عزوجل ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[١]. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بقوته وسلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ في عدله وقضائه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أسماء الله الدالة على كماله وعظيم صفاته، وقد علَّمها لخلقه؛ ليؤمنوا أنه لا إلَه في الوجود إلا هو وأنه المستحق وحده للعبادة، وأن كل ما عداه فهو باطل كما علمها لخلقه ليعظموه بها ويدعوه بها كما قال عز وجل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الممتحنة

مدنية وآياتها ثلاث عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أحد المهاجرين ومن الذين شهدوا معركة بدر وكان له في مكة مال وأولاد ولم يكن قرشيا بل كان حليفا لعثمان، فحين عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة بعد نقض أهلها للعهد أمر رسول الله ﷺ المسلمين للاستعداد لغزوهم فكتب حاطب

إلى أهل مكة كتابا يخبرهم فيه بخبر الرسول وعزمه على غزوهم وأرسل الكتاب مع امرأة من قريش وذلك ليكون له يد عند قريش فأطلع الله رسوله على ذلك واستجاب لدعائه حين قال: (**اللهم غم عليها خبرنا**) فبعث عليا والزبير والمقداد فقال: (**انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ**[١] **فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها**) قال علي رضي الله عنه: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتخرجِنَّ الكتاب أو لنُلقِينَّ الثياب قال: فأخرجت الكتاب من عقاص شعرها أي: من ضفائره، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (**ما هذا يا حاطب؟**) قال حاطب: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرءاً ملصقاً بقريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ: (**إنه صدقكم**). فقال عمر: دعني أضرب عنقه

---

(١) موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة، وذكر في أحماء المدينة التي حماها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده. انظر: معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج١ ص٩١.

فقال رسول الله ﷺ: **(إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)**[١].

فقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مناداة للمؤمنين وهذه المناداة تقتضي وجوب سماع الأمر المنادى به واتباعه ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ المراد بهم الكفار والمشركون؛ لأنهم بشركهم وكفرهم يعدون أعداء لله وأعداء لرسوله وأعداء للمؤمنين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصدقاء ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: توالونهم وتصاحبونهم وتسرون لهم أسرار رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كفروا بدينكم ورسولكم وأخرجوا رسولكم وأخرجوكم من دياركم وآذوكم وحاربوكم؛ لأنكم آمنتم بربكم كما قال تعالى ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ إذاً فكيف تكون منكم مودة لهم ومحبة معهم، قوله ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: إن كنتم خرجتم لهذا الأمر فلا توادوهم ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ﴾ أي: أعلم ما أخفيتم في صدوركم وما أعلنتموه عن سبب مكاتبتكم للمشركين ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: من يفعل الموالاة والمحبة للمشركين فقد سلك مسلكا مخالفا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، برقم (٤٨٩٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٠٢.

لدين الله وضالا عن سبيله ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: إن يظفروا بكم ويظهروا عليكم فلن يتقوا فيكم، بل سوف تزداد عداوتهم لكم ويبسطوا إليكم أيديهم بالقتل والتنكيل والطرد ويبسطوا إليكم ألسنتهم بالقول الفاحش والشتم والأذى ويودون أن ترجعوا عن دينكم فتكونوا كفارا مثلهم ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ أي: إذا واليتم المشركين وأسررتم لهم المودة بسبب وجود أولادكم وأرحامكم بينهم، فهؤلاء لن ينفعوكم يوم القيامة وهذا جواب لما قاله حاطب بن أبي بلتعة - وما قد يدعيه غيره في الحاضر والمستقبل بمثل ما ادعاه -؛ لأن موالاة المشركين ومن في حكمهم من الكفار معاداة لله ودينه، ومن يعادي الله فلن ينفعه ولد ولا مال ولا رحم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يحكم بينكم في ذلك اليوم فلا أولادكم ولا أرحامكم يردون عنكم شيئا من العذاب إذا واليتم المشركين والكفار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: بصير بعباده فراقبوا أعمالكم وتوبوا إلى الله من موالاة أعدائه.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: تحريم موالاة الكافرين، أو محبتهم، أو الركون إليهم أو مناصرتهم على المسلمين كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢]. وقوله تقدست أسماؤه ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[٣]. تقرير قبول توبة الموالي لهم إذا ألجأته ضرورة قصوى وكان في نفسه صالحا مؤمنا وهدفه اتقاء شرهم كما فعل حاطب بن أبي بلتعة. ومن الأحكام: أن من يتجسس على المسلمين بإفشاء أسرارهم للعدو يُعَد خائنا وتجري عليه أحكام الخيانة. تقرير سلوك الأعداء، وأنهم لن يرحموا المسلمين، فإذا ظهروا عليهم قتلوهم ونكلوهم وآذوهم بالقول والفعل، وهذا ما حدث بالفعل في كل تاريخ المسلمين الذين تعرضوا للغزو من التتار والصليبيين القدماء والجدد.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

(١) سورة المائدة من الآية ٥١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٧ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ٢٨ .

ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ لما حرم الله على المؤمنين موالاة الكافرين في الآيات السابقة لما فيها من الخطر على دينهم وعليهم أرشدهم إلى أن يتأسَّوا بإبراهيم وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: نتبرأ منكم ومن الأصنام التي تعبدونها من دون الله وكفرنا بكم وبدينكم وما تعملونه من الشرك والكفر ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ أي: أصبحنا أعداء لكم نبغضكم إلى الأبد ما دمتم على شرككم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ أي: سنبقى على عداوتنا لكم، إلى أن تتركوا الشرك وتعبدوا الله وحده ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: أن لكم أيها المؤمنون التأسِّي والاقتداء بإبراهيم وقومه إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه كان على وعد منه أن يترك الشرك،

فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فلهذا لا تستغفروا لمن مات من آبائكم وأمهاتكم على الشرك كما نهى إبراهيم عن ذلك ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي: توكلنا عليك في أمورنا كلها وأنبنا إليك أي: رجعنا إلى توحيدك وطاعتك ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المعاد في يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لا تظهرهم علينا ولا تسلطهم علينا بذنوبنا فيعذبونا وينتقموا منا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ﴾ أي: تجاوز عن سيئاتنا وخطايانا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: القاهر الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك وحكمك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ هذا توكيد لما سبق وحث على التأسي بإبراهيم وأتباعه والمراد أنه لا يقدر عليه إلا من كان يرجو الله ويخافه ويؤمن بالبعث والنشور ويخاف من أهوال يوم القيامة ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عما أمره الله به من معاداة الكافرين والتأسي بالصالحين ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ أي: غني بذاته العلية عن إيمان خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: المستحق للحمد والمحمود في الحال والمقال.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التأسي بالصالحين والاقتداء بهم كما قال عز وجل على لسان نبيه يوسف في اقتدائه بآبائه وأجداده الأنبياء ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ

إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾[1].

تحريم موالاة الكافرين، ولو كانوا أقرب الأقرباء وأعز الأعزاء كما سبق ذكره وشاهده قول الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[2]. تقرير: أن العداوة للكافرين يجب أن تستمر إلى أن يكون إيمانهم خالصا لله وحده.

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ لما حرم الله موالاة الكافرين عطف على ذلك بما قد يكون سببا لموالاتهم، وهو دخولهم في الإسلام وبراءتهم من الشرك والكفر، وهذا هو ما

---

(١) سورة يوسف من الآية ٣٨ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٣ .

حدث، فبعد أن فتح الله مكة لرسوله ودخل أهلها في الإسلام أصبحوا إخواناً للمسلمين وسادت المودة والمحبة بينهم بعد ما زال سبب العداوة؛ فأبو سفيان وزوجته هند كانا من أشد الأعداء لرسول الله ﷺ وللمسلمين، ثم هداهما الله للإسلام، ومثلهما خالد بن الوليد سيف الله المسلول فالحمد لله على ما قدَّره من دخول غالب المشركين في الإسلام، وله المنة على غفرانه لما سلف من ذنوبهم كما قال عزوجل ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ﴾ أي: لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفار الذين لا يقاتلونكم في دينكم ولم يضايقوكم للخروج من دياركم أن تبروهم أي: تحسنوا إليهم وتقسطوا إليهم أي: تنصفوهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي: المحسنين والعادلين ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾ أي: إنما ينهاكم عن موالاة الذين قاتلوكم من أجل دينكم وأخرجوكم من دياركم؛ بسبب تمسككم بدينكم، وظاهروا على إخراجكم أي: أعانوا على إخراجكم منها أن تولوهم أي: توالوهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: من يتولهم فإنه ظالم لنفسه وسوف يلاقي العذاب يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في مسألة موالاة الأعداء يجب التفريق بين ثلاث حالات الأولى: حالة الأعداء الذين يقاتلون المسلمين إنكارا لدينهم أو طعنا فيه، أو طمعا في أرضهم، أو أموالهم، فهؤلاء تحرم موالاتهم على الإطلاق مالم يكن المسلمون في حالة ضعف، فإن كانوا كذلك جازت موالاتهم كما قال تعالى ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[1]. وهذا يستوجب بالضرورة عدم بقاء المسلمين على ضعفهم وحالهم تلك، بل عليهم تقوية أنفسهم كما قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[2]. الحالة الثانية: حالة الأعداء الذين لا يتوقع منهم عداء، أو لا قدرة لهم على العداوة فهؤلاء يجوز الإحسان إليهم وعدم عداوتهم مثل: الشيوخ والأطفال والنساء والمعتزلين للقتال. وشاهد ذلك في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصِلُها؟ قال: (**نعم**

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٨ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

صلي أمك)[١]. الحالة الثالثة: حالة المعاهدين كما هو الحال في هذا الزمان الذي ينتظم فيه الأعداء والأصدقاء في معاهدات جماعية، أو ثنائية، فالموالاة في هذا موالاة ظاهرة توجبها ظروف الزمان وتشابك المصالح.

ومن الأحكام في الآيات: وجوب العدل مع الأعداء لأن الله أمر بالعدل في عمومه في قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[٢]. وهذا يشمل الصديق والعدو، وقد ضرب المسلمون في تاريخهم أروع الأمثلة في العدل مع أعدائهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، برقم (٥٩٧٨-٥٩٧٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٢٧ .

(٢) سورة النحل من الآية ٩٠ .

بيان الآيتين:

هاتان الآيتان نزلتا بعد صلح الحديبية، وقد نص في وثيقة الصلح بين رسول الله ﷺ والمشركين على أن من لحق برسول الله ﷺ من مكة رده إليها ولو كان مسلما، وكان هذا الشرط عاما يشمل الرجال والنساء، وقد أيد الله هذا الشرط بالنسبة للرجال. أما بالنسبة للنساء فاستثناهن؛ ذلك أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مهاجرة من مكة إلى المدينة فلحق بها أخواها ليرداها إلى مكة[١] فنزل قول الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ أي: إذا جاءكم المؤمنات يردن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ﴾ أي: إن وجدتموهن مؤمنات وأن هدفهن الفرار بدينهن ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: لا تعيدوهن إلى أهل الشرك ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ أي: لا يحللن لأزواجهن المشركين ولا المشركين يحلون لأزواجهم المؤمنات، وهذا خلاف لما كان سائدا في الجاهلية حيث كان المشرك يتزوج المؤمنة ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ أي: اعطوا الكفار أزواج المؤمنات اللاتي هاجرن ما أعطوه من مهور لهن ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: تتزوجوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثيرة ج٤ ص٣٥٠ .

أي: لا تتزوجوا المشركات ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: اطلبوا ما أنفقتم على أزواجكم اللائي ذهبن إلى الكفار ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ أي: ليطلبوا ما أنفقوا على زوجاتهم اللائي ذهبن مهاجرات إلى المسلمين ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: هذا قضاؤه الذي قضاه في الصلح وعدم شموله للنساء. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بأحوال عباده وحكيم فيما يقضيه لهم وما يأمرهم به وما ينهاهم عنه. قوله ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: إن ذهب بعض نساء المؤمنين مرتدات ولحقن بالمشركين ﴿فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ أي: من ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه وجب أن يعطيه المسلمون بدل ما أنفقه، وذلك لأن الكفار يأخذون بدل ما يذهب من أزواجهم إلى المسلمين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: أطيعوه واخشوا عقابه إذا خالفتم أحكامه وقضاءه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن المرأة المسلمة لا تحل للكافر، بل يجب طلاقها منه؛ لأنه لا يحل لها ولا تحل له، ويعطى بدل ما أنفقه عليها من مهر وخلافه. ويجوز لها بعد ذلك النكاح من زوج مسلم حسب شروط النكاح ومنها: الولي، والشاهدان، واستبراؤها بالعدة. ومن الأحكام:

أنه لا يجوز للمسلم استمرار زواجه من المرأة المشركة أو التي ارتدت ولحقت بالمشركين، وله أن يطالب بما أنفق عليها وهذا خاص بالمشركة؛ لأنها تحرم عليه أصلا خلافا للكتابية؛ فإنها تحل له ولو بقيت على دينها. كما أنه يحق للكافر الذي أسلمت زوجته وهاجرت إلى بلاد المسلمين أن يطالب بما أنفقه عليها من مهر وخلافه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ﴾ هذه الآية نزلت في بيعة النساء، فقد بايع رسول الله ﷺ النساء فكان يمتحن من هاجرن إليه بهذه الآية، فمن أقر بالشروط التي في الآية

بايعهن بقوله عليه الصلاة والسلام: (**لقد بايعتك**). وهذه الشروط ألا يشركن بالله، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا ينسبن إلى أزواجهن ولدا غير ولده، ولا يعصين رسول الله ﷺ في ما أمر به من المعروف. ولما فتح مكة وفرغ من مبايعة الرجال بايع نساء قريش وشرط عليهن في البيعة ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فقالت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان: «والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال» قال ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ قالت هند: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهَنَة والهَنَة قال أبو سفيان: -وكان حاضرا- أما ما مضى فأنت منه في حل فقال رسول الله ﷺ: (**أهند؟**) قالت: أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك قال ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ قالت: وهل تزني الحرة؟ قال ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ قالت: قد ربيناهم صغارا، وقتلتهم يوم بدر فأنت وهم أعلم قال ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق قال ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ قالت: ما جلسنا هذه المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف[1] فقال رسول الله ﷺ لعمر: (**بايعهن**) ثم استغفر لهن رسول الله ﷺ، فبايعهن عمر وكان عليه الصلاة والسلام لا يمس

---

(١) تفسير البغوي ص١٣٠٦ .

النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسه امرأة إلا امرأة أحلها الله له، أو ذات محرم منه.

قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لقد بدأ الله هذه السورة بالنهي عن موالاة أعداء الله وأعداء المؤمنين ثم ختمها بهذا النهي والمراد لا توالوا ولا تحبوا قوما غضب عليهم وهم أسلاف اليهود، وسائر الكفار ممن غضب الله عليه؛ بسبب كفره وعناده ومعاداته لله ولرسوله وللمؤمنين ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: من الجنة ونعيمها ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أي: أنهم يئسوا من الجنة كما يئس الكفار الذين ماتوا وعرفوا أنه لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها؛ بسبب أعمالهم الفاسدة في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير بيعة النساء، ولولي الأمر أن يبايعهن كما يبايع الرجال، اقتداء برسول الله ﷺ. ومن الأحكام: تحريم الشرك والسرقة والزنا وقتل الولد وإلحاق الولد بغير أبيه والكذب وعصيان ما جاء به رسول الله ﷺ.

ومنها: تحريم مصافحة النساء للرجال الأجانب عنهن، اقتداء برسول الله ﷺ. ومنها: تحريم موالاة من غضب الله عليه بسبب معاداته للإسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الصف

مدنية وآياتها أربع عشرة آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قدَّسه وعظَّمه جميع من في الكون بلسان مقالهم وحالهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الغالب بقوته وعظمته ومراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وتصريفه لخلقه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ هذه الآية نزلت في نفر كانوا يقولون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناها فأنزل الله قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ فلما كان يوم أحد نكلوا فعاقبهم الله بقوله ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٦٩ .

أي: إن من أبغض الأعمال عند الله التظاهر بالقول دون الفعل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ أي: يحب ويقدر الذين يجاهدون في سبيله وهم صافون متهيئون للقتال ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾ أي: مثلهم في الانضباط مثل البنيان المرصوص بعضه فوق بعض.

أحكام ومسائل الآيات:

الإنكار والتنديد بمن يعِد وعدا أو يقول قولا لا يفي به فإن قال المرء عن نفسه قولاً لم يفعله فهذا من باب الكذب، والكذب من النفاق إذ إن المنافق يتظاهر بفعل الفعل، سواء في علاقته مع ربه، أو من يتعامل معه وقد وصف رسول الله ﷺ هذا العمل أنه من النفاق بقوله: (**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**)[1]. وقوله: (**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها فذكر منهن إخلاف الوعد**)[2]. وإن كان يقول قولا يقصد به فعل شيء في المستقبل فلم يفعله فهذا إخلاف للوعد، وهذا أيضا من علامات النفاق. ومن الأحكام: فضل

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم (٥٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٦٦٣ .

الجهاد في سبيل الله، والانضباط في القتال، وهذا من أهم قواعد الحرب في الماضي والحاضر، إذ إن انضباط المقاتلين والتزامهم آداب القتال أحد عوامل الانتصار في الحرب.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ يخبره فيه أن موسى قال لقومه ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ﴾ أي: كيف تكيدون لي وتكذبونني وأنتم تعلمون أني مرسل من الله إليكم ابتغاء هدايتكم ونجاتكم من العذاب ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ أي: لما مالوا عن الحق إلى الباطل واتبعوا أهواءهم وكذبوا ما جاءهم به نبيهم أزاغ الله قلوبهم أي: صرفها عن الحق، وألبسهم لباس الريب والشك فضلّوا سواء السبيل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين

يضلون عن سبيله فيتبعون الباطل ويتركون الحق. ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ في هذا بيان من الله يخبر فيه رسوله محمدا ﷺ أن عيسى بن مريم قال لبني إسرائيل إن الله أرسلني إليكم ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: أجدد ما في التوراة التي تقرؤونها ولم آت بشيء من عندي تستنكرونه وتعجبون منه ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ أي: جئتكم أيضا أبشركم بأن رسولا يأتي من بعدي واسمه أحمد يجدد دين الله، ويدعو الناس إلى توحيد الله وطاعته، وعدم الشرك به ويأمر بالصلاة والزكاة.

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم: عبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون وأبو موسى وعبد الله بن عرفطة فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالا: هم في أرضك فابعث إليهم. فبعث إليهم فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلّم ولم يسجد فقالوا له: مالك لا تسجد للملك ؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا

لله عزوجل وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفوك في عيسى ابن مريم. قال: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر، ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عودا من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسِّيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله، وإنه الذي في الإنجيل، وإنه الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه. وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قيل: المراد محمد وقيل: المراد عيسى ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر لا يحتاج إلى دليل .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أسلاف اليهود آذوا نبيهم موسى كما قال عز وجل عنهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[2]. ومن الأحكام: أن من زاغ عن الحق واتبع

---

(١) انظر القصة في السيرة النبوية لابن إسحاق مفصلاً ج١ ص٢٨٥-٢٨٨، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٤٦١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦٩ .

الباطل أزاغ الله قلبه وأضله عن سواء السبيل.

تقرير أن أسلاف اليهود كذبوا رسالة عيسى رغم إقناعه لهم بأنه مصدق للتوراة التي بين أيديهم، كما أنهم كذبوا رسالة محمد ﷺ التي بشر بها عيسى ومن قبله موسى عليهما السلام.
تقرير: بشارة عيسى بمحمد ﷺ ولما قال الصحابة له عليه الصلاة والسلام: يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال: (**دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى. ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام**)[١].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾
أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله فيجعل له ندا ويجعل له ولدا وهو يدعى إلى الإسلام الذي يبيِّن له طريق الحق من الضلال ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يبيِّن الله لهم الحق فيميلون عنه

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٥ ص٢٦٢ .

إلى الباطل ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي: يريدون باتباعهم الباطل أن يطفئوا بأفواههم نور الحق الذي جاء به القرآن، وبعث به الرسول إليهم وهم في ذلك كمن يحاول إطفاء نور الشمس بفيه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ هذا حكم من الله حكم به بأن نوره لن ينطفئ وأن هذا النور سيتم لا محالة، وذلك بانتصار دين الله وهزيمة الباطل الذي يمثله المشركون والكافرون ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أي: لو كرهوا تمامه فإنه واقع بلا ريب.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: أن الله هو الذي بعث رسوله محمدا إلى الثقلين الجن والإنس يدعوهم إلى الهدى ودين الإسلام الذي يهديهم إلى الصراط المستقيم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ أي: ستكون له الغلبة ويكون له العلو في الأرض فلا يبقى دين إلا هو. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ أي: سيظهر الله دينه ويعلي كلمته ولو كره ذلك المشركون والكافرون.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الكذب على الله، وأنه لا أحد في الأرض أظلم ممن يكذب عليه كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[١]. ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢]. تقرير: أن الظلمة

(١) سورة النحل من الآية ١١٦ .

(٢) سورة النحل الآية ١١٧ .

يحاربون الحق وينصرون الباطل بعد أن سيطر الظلم والضلال على عقولهم. تقرير: أن الله حكم، وحكمه الحق أن نور الإسلام سوف يظهر ويعم أرجاء الأرض، مهما حاول المبطلون الصد عنه، وهو ما حدث، فما من بلد في الأرض إلا وقد دخله الإسلام. تقرير: أن الله أرسل رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الإسلام لما فيه خير العباد وسعادتهم في دنياهم وأخراهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سبقت الاشارة إلى أن نفرا من الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل، ليعملوها فأنزل الله هذه الآية[1] وقد بين الله لهم هذه التجارة وهي قوله عز وجل ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) تفسير البغوي ص١٣٨ .

﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تؤمنون بالله حق الإيمان، وتؤمنون بما جاء به رسوله وتقاتلون أعداء دين الله بالأموال والأنفس، ففي هذا كل الخير وهو أفضل من تجارة الدنيا إن كنتم تعلمون ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به وبينت لكم فوائده فسوف يغفر لكم ربكم خطاياكم، وسوف تنعمون بجناته وبالمساكن الطيبة في جنات الخلد كما قال تعالى ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ ثم قال ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: هذا الفوز الذي لا فوز بعده إلا رضا الله.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: وزيادة على هذا الثواب سيكون لكم ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ﴾ أي: ينصركم على أعدائكم وفتح عاجل تقرّ به أعينكم وهو فتح مكة ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بشر يا محمد المؤمنين بهذا الفوز العظيم الذي سيكون لهم في الدنيا والآخرة إذا فعلوا ما أمروا به من الإيمان والجهاد في سبيل الله .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل الجهاد في سبيل الله، وهو على نوعين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال وفيه قول الله عز وجل ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[٢]. تقرير: بشارة الله للمؤمنين بالفتح الذي سيكون لهم وقد تحقق ذلك بفتح مكة والفتوحات الأخرى.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ (١٤) ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ لما بيّن الله عز وجل في الآية السابقة أن الإيمان والجهاد في سبيله هما التجارة الرابحة نادى المؤمنين أن ينصروا دين الله وأن يقولوا كما قال الحواريون لعيسى بن مريم لما دعاهم قائلا ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ قوله ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ أي: لما قام عيسى بإبلاغ

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .
(٢) سورة الأنفال من الآية ٧٤ .

رسالة ربه وناصره الحواريون وهم أتباعه آمنت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به فصدقته واتبعته، وطائفة كفرت بما جاء به واتهمت أمه بالبغي، وطائفة غلت فيه فجعلته في منزلة الربوبية فقالت إنه ثالث ثلاثة قوله ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: أيدنا الذين آمنوا برسالته وصدقوه ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: صاروا غالبين، ومع مرور الزمان غلبت الطوائف الفاسدة فضيع بنو إسرائيل دين الله وأفسدوه، ولم يبق إلا قلة من المؤمنين فبعث الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ داعيا إلى عبادة الله وحده وتخليص البشرية من رجس الأوثان فآمن به من بقي من المؤمنين فأصبحوا ظاهرين بالإسلام على المشركين وسائر الكافرين.

أحكام ومسائل الآية:

مناداة الله للمؤمنين أن يستجيبوا لرسول الله محمد ﷺ وينصروه كما فعل الحواريون أتباع عيسى لما دعاهم إلى نصرته، وقد استجاب المؤمنون لهذا النداء فآزر الأوس والخزرج رسول الله ﷺ وعاهدوه على إيوائه ونصرته، ثم استقبلوه في المدينة واستقبلوا المهاجرين معه، ووفوا بما عاهدوه عليه فرضي الله عنهم وعن المهاجرين وأرضاهم على ما فعلوا من نصرة دين الله ونصرة رسوله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة

مدنية وآياتها إحدى عشر آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أن كل من في السموات ومن في الأرض يسبح بحمده فهو ﴿ٱلْمَلِكِ﴾ أي: المالك لكل ما في الكون المتصرف فيه لا أمر إلا له، ولا حكم إلا له، ولا قوة إلا له، ولا عظمة إلا له، وهو ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ أي: المنزه في ذاته وصفاته عن المعايب والنقائص وهو ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ بقوته وعظمته الغالب في مراده ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيره وتصرفه في خلقه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن جميع المخلوقات من النواطق والجوامد تسبح لله وحده كما قال عز وجل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[(١)]. وهذا يدل على فضل التسبيح لله عزوجل

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

وتحميده وتكبيره؛ لما في ذلك من الأجر العظيم لقول رسول الله ﷺ: (**فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة**)[١]. الحكم بأن الله عز وجل هو المالك المطلق للسموات والأرض ومن فيهن، وأنه المنزه عن المعايب الموصوف بصفات الجلال والكمال العزيز بعظمته، والحكيم في تدبيره وتصرفه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الأميون: هم العرب؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب من قبل فكون رسول الله ﷺ يبعث منهم وهو أُمِّيٌّ دليل على معجزته ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يتلو عليهم القرآن الذي أنزل إليه من ربه هداية ورحمة لهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها، برقم (٧٢٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢١٧٠ .

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم ويزكي قلوبهم ويشرحها بالإيمان واليقين ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: السنة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: كانوا قبل بعثه فيهم في ضلال مبين وذلك أن الشرك كان ظاهرا فيهم إلى جانب فساد معاملاتهم وتقاتلهم فيما بينهم واتباعهم لأهوائهم وعصبيتهم وانغماسهم في جاهليتهم ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قيل: المراد بهذا من كان من غير العرب كأهل فارس، وكل من صدق رسول الله ﷺ من غير العرب وفي حديث أبي هريرة قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سئل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: (**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء**)[١]. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: ذو العزة التي لا ترام ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في عدله وقضائه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: هذا الذي أعطاه الله رسوله من النبوة، وأعطاه أمته من الإيمان به وتصديقه هو الفضل العظيم الذي تفضل به عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، برقم (٤٨٩٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥١٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير معجزة رسول الله ﷺ، فإن مع كونه أمياً بعثه الله يتلو على أمته القرآن ويطهرها من الشرك ويشرح صدورها بالإيمان. تقرير فضل صحابة رسول الله ﷺ من العرب ومن غيرهم، تقرير: تفضيل القرآن لرسول الله ﷺ وأمته ومن آمن به وصدقه كما قال عز وجل ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾[١]. وقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[٢].

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾.

بيان الآية:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ المراد بهم: اليهود الذين أنزلت عليهم على لسان نبيهم موسى؛ لكي يعملوا بمقتضاها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بها مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٠ .
(٢) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي: مثل الحمار الذي يحمل كتبا، وهو لا ينتفع بها ولا يفهم ما فيها، بل هم أسوأ منه؛ لأن لهم عقولاً وبصائر لو أرادوا لانتفعوا بما فيها ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بئس هذا المثل الذي ضربه الله لهم لتكذيبهم بآيات الله والإعراض عنها ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، وارتكاب المعاصي رغم ما جاءهم من الهدى.

أحكام ومسائل الآية:

التنديد بمن يأتيه كتاب من عند الله ولا يعمل به، أو يكفر به ووصفه أسوء الأوصاف كما قال تعالى ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]. تقرير كفر من يكذب بكتاب الله كما قال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾[2].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٤٤ .

(٢) سورة هود من الآية ١٧ .

فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أسلاف اليهود يقولون: نحن أولياء الله وأحباؤه، فأمر الله نبيه أن يقول لهم إن كنتم صادقين فيما تقولونه فتمنوا الموت؛ لتكونوا في الدار الآخرة من أولياء الله ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ أي: لن يتمنوه أبدا؛ بسبب تكذيبهم لرسول الله ﷺ ورسالته ومعاداته وفي هذا قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: (**والذي نفس محمد بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات**)[1]. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يعلم ما يقولون كما يزعم اليهود أنهم أولياء له من دون الناس. ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ أي: قل لهم يا محمد: إن الموت الذي تفزعون منه وتخشون نزوله واقع بكم لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ترجعون إلى الله الذي يعلم كل ما غاب وما خفي في السموات والأرض ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: يحصي عليكم أعمالكم ويجازيكم عليها بالعدل.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٩٦، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٤٨ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كذب أسلاف اليهود بأنهم أولياء الله من دون الناس كما قال تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[3]. تقرير: واقعة البعث والجزاء وإحصاء الأعمال ثم الجزاء عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٩٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٩٦.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يقوموا لصلاة الجمعة والاهتمام بها بعد أن يسمعوا النداء لها، والجمعة من الاجتماع وقيل: إن أول من جمَّع بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها أهل المدينة وهم الذين سموها جمعة؛ ذلك أنهم قالوا: إن لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة أيام يوم هو يوم السبت، وللنصارى يوم مثل ذلك وهو الأحد، فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله ونصلي فيه ونستذكر فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكَّرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا، فهذه أول جمعة في الإسلام[1]. ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ أي: اتركوا البيع إذا سمعتم النداء للصلاة ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أن ترككم البيع وقيامكم للصلاة وشهودكم لها خير لكم في الدنيا والآخرة ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: إذا فرغتم من أدائها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: إن لكم بعد الفراغ من الصلاة الانتشار

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٩٨ .

في الأرض للبيع أو العمل أو التجارة، ولكن لا تلهوا عن ذكر الله أو تنسوه؛ لأن في ذكره فلاحاً لكم في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ هذه الآية نزلت في الذين كانوا مع رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يخطب، فلما علموا بالقافلة التي جاء بها دحية الكلبي من الشام من خلال سماعهم للطبول التي تستقبل بها القافلة في العادة خرج من في المسجد واحداً بعد الآخر حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثني عشر رجلا[١] فعاتب الله الذين خرجوا إليها. قوله ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ أي: ما عند الله من الثواب يوم القيامة خير وابقى وأفضل من التجارة التي خرجوا إليها ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: هو الرازق الذي لا رازق إلا هو فمن توكل عليه وفوض أمره إليه رزقه من حيث لا يحتسب.

أحكام ومسائل الآيات:

- الحكم بوجوب صلاة الجمعة والذهاب إليها عند سماع النداء الثاني، وهذا النداء هو الذي يتم بعد دخول الإمام وجلوسه على المنبر، أما النداء الأول فقد أمر به عثمان رضي الله عنه في خلافته

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٧١-٦٧٢، وأخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، برقم (٨٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٤٢٧ .

لما تباعدت بيوت المدينة[١]، والجمعة فرض على الأعيان، فمن تركها طبع على قلبه لقول رسول الله ﷺ: (**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**)[٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه**)[٣].

ويستحب الغسل والتطهر لها، والخطبة شرط لانعقادها ولا تصح إلا بها. ومن الأحكام: تحريم البيع وأنواع التجارة ونحوها إذا دخل وقتها بالشروع في الأذان الثاني، وقد اختلف الفقهاء في العدد الذي تتم به صلاة الجمعة فقيل: أربعون وقيل: اثنا عشر؛ لأن الرسول ﷺ صلى بهم وهم في هذا العدد وقيل: تصح بما تصح به صلاة الجماعة وهو اثنان فأكثر. والترغيب في ذكر الله وعدم الغفلة عنه في حال الانتشار لطلب الرزق. تقرير: أن من توكل على الله وفوَّض أمره إليه وعمل الأسباب الموجبة رزقه من حيث لا يحتسب لأنه خير الرازقين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٠٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، برقم (٨٦٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٤٢٩ .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب التشديد في التخلف عن الجمعة، برقم (!٣٦٨)، سنن النسائي ج٣ ص٩٧، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة، برقم (١٠٥٢)، سنن أبي داود ج١ ص٣٩٦ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المنافقون

مدنية وآياتها إحدى عشرة آية

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ روى زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا». وقال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي ذلك لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ بن سلول وأصحابه، فحلفوا أنهم ما قالوا ذلك فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عزوجل قوله ﴿إِذَا جَآءَكَ

ﭐلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ إلى قوله ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ﴾ فأرسل إلي رسول الله ﷺ ثم قال: **(إن الله صدقك يا زيد)**(١).

﴿قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ ﴾ أي: إذا جلسوا عندك في مجلسك أظهروا لك أنهم يعترفون بنبوتك ورسالتك وهم في بواطنهم على خلاف ذلك ثم قال عز وجل ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: لا حاجة لشهادة المنافقين لرسالتك؛ لأن الله يعلمها ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أي: فيما أخبروا عن أنفسهم ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾ أي: جعلوا من أيمانهم الكاذبة جُنّة أي: ستارا يسترون به كذبهم حتى لا ينكشفوا ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ بنفاقهم فصدقهم من لا يعرف حقيقة أمرهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي: بئس نفاقهم وخبثهم وأيمانهم الكاذبة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ أي: أنهم آمنوا إيمانا ضعيفا فسيطر عليهم الشك فمرضت قلوبهم فطبع الله عليها فهم لا يفقهون بسبب ماطبع عليها.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ ﴾ أي: إذا رأيت هؤلاء المنافقين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، برقم (٤٩٠٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥١٢ .

راقت لك أشكالهم الحسنة ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم وقوة بيانهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ أي: تراهم في ضخامة أجسامهم وبلاهتهم مثل الخشب التي لا روح لها ولا فهم ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا وقعت واقعة أو نازلة من حولهم أصابهم الخوف والهلع؛ بسبب جبنهم وخَورهم كأنها واقعة عليهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد كن معهم على حذر ولا تصاحبهم فإنهم أعداء لك ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: هم بمثابة أعداء الله الذين يقاتلهم بسبب عداوتهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يصرفون عن الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الحذر من المنافقين لما يتصفون به من الخداع والكذب والتلبيس على الناس في مظهرهم الكاذب وحلفهم الأيمان الكاذبة التي يسترون بها نفاقهم. ومن صفاتهم: صدهم عن سبيل الله بما يفعلونه في السر من محاربة المؤمنين كما قال عز وجل عنهم ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[1]. ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦ .

تقرير: أن مظهر الإنسان لا يعكس حقيقته، وهذا يقتضي العمل على معرفة حقيقته قبل الاهتمام بمظهره، تقرير: أن المنافق يتصف بالجبن والخور والخوف من الحوادث فما يقع عند غيره من الحوادث يظن أنه واقع به؛ ذلك أن المنافق خائن ونفسية الخائن تكون دائما في وجل وخوف من الناس خشية كشف سريرته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ هذه الآية: نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق، ففي غزوة بني المصطلق اقتتل على الماء

جهجاه بن سعيد الغفاري -وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد- فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال جهجاه: يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي فقال رسول الله ﷺ: **(ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فإنها منتنة)** فلما سمع عبدالله بن أبي بن سلول ما قاله الرجلان قال: ثاورونا في بلادنا، وقال كلمة خبيثة في حق المهاجرين وأضاف: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم قال لمن كان عنده من قومه: ما صنعتم بأنفسكم أحللتموه بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، وقد أخبر رسول الله ﷺ بما قاله فجاء فحلف بالله أنه ما قال شيئا مما أُثِرَ عنه، فنزلت هذه السورة تكشف كذبه فقيل له: لقد نزلت فيك آيات شديدة فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه وقال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد[1]. فنزل قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ ثم قال عز وجل في حقه ومن معه من المنافقين ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٣٧٠، وأخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ برقم (٩٠٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥١٦ .

لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ﴾ وفي هذا حكم من الله بأنه لن يغفر لهم سواء استغفر لهم الرسول أم لم يستغفر لهم والسبب في ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ثم عدد عزوجل أسباب فسق ابن سلول وعدم هدايته وأضرابه فقال ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ وذلك عندما قال لقومه: أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا إلى غيركم، إذ كان بهذا يحرض الأنصار على عدم مساعدة المهاجرين، فردّ الله عز وجل عليه وعلى أضرابه من المنافقين بقوله ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أن خزائن الرزق عند الله وحده، فهو الذي بيده أرزاق العباد برهم وفاجرهم، فلا أحد منهم يملك من رزقه شيئا. إذاً فهذا المنافق وأضرابه لا يستطيعون أن يمنعوا رزق الله الذي يعطيه عباده المؤمنين ولكن المنافقين بسبب ضلالهم لا يفقهون هذه الحقيقة. ثم ذكر عز وجل قول المنافق عبد الله بن أبي بن سلول ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ ﴾ هذه هي مقولة عبد الله بن أبيّ بن سلول لما تقاتل الأنصاري مع المهاجر على الماء، وقد تأثر رسول الله ﷺ لهذه المقولة الخبيثة وأشار عمر رضي الله عنه بقتله فأبى رسول الله ﷺ وقال: (**كيف إذا تحدث الناس أن محمدا**

يقتل أصحابه). ولما راح رسول الله ﷺ في ساعة مهجرة لا يروح فيها لقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال عليه الصلاة والسلام: **(أما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل)** فقال أسيد: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل، ثم قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرَزَ ليُتَوِّجوه، وإنه ليرى أنك سلبته ملكا(١).

ولما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة وكان من عبد الله بن أبي ما كان من النفاق وقف ابنه عبد الله، وكان رجلا صالحا من خيرة الأنصار على باب المدينة، واستل سيفه وجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه قال له: وراءك. قال: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل. فلما جاء رسول الله ﷺ شكا عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال ابنه: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجُزْ الآن. وقيل: إن ابنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه بلغني أنك تريد قتل أبي؟ فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له، ولئن شئت

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٧٥-٦٧٦ .

لآتينك برأسه فإني أكره أن أرى قاتل أبي[١].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن لله ولرسوله وللمؤمنين النصر والغلبة على أعدائهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وذلك بسبب النفاق الذي أعمى قلوبهم فلم يعودوا يعلمون شيئا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مخاطر المنافقين على الأمة وتفريقهم لها وتآمرهم عليها. ومن الأحكام: أنه لا يجوز الاستغفار لهم ولا محبتهم، ولا الاجتماع بهم ولا الصلاة عليهم في حال موتهم. ومنها: أن من قيل له استغفر الله فلم يفعل يعد معرضا عن الله كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[٢]. ومنها: الحكم بأن الرزق كله من عند الله يرزق البر والفاجر ولا يقدر أحد على منعه من أحد؛ لأن الله هو المعطي والمانع. ومن هذه الأحكام: الحكم بأن النصر والغلبة تكون دائما للمؤمنين في كل زمان ومكان. تقرير: أن النفاق يطبع على قلوب أصحابه فلا يقدرون على تمييز الحق من الباطل.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٧٦-٦٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٦ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ لما ذكر الله حال المنافقين وضلالهم أمر المؤمنين بذكره وألا تلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن هذا الذكر؛ لأن المال والولد مجرد متاع سوف يزول، أما الذكر فهو باق ومدخر لهم يوم القيامة والآخرة خير وأبقى ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أي: من يلهيه ماله وولده عن ذكر الله وعن الأعمال الصالحة فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: أنفقوا من المال الذي رزقكم الله وضعوه في الأعمال الصالحة قبل أن يأتي وقت آجالكم فيقول المفرط منكم: رب أخرني إلى أجل؛ لكي أعمل عملا

صالحا من بر وصدقة وإحسان أتقرب به إليك وأكفّر به سيئاتي وهيهات أن يكون له تأخير أجله؛ لأنه قد استوفاه وضيعه فيما لا ينفعه، وقد حكم الله وحكمه الحق أنه لا يؤخر الآجال بقوله عز ذكره ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: خبير وبصير بأعمالكم فعليكم أيها المؤمنون المبادرة إلى فعل الخير قبل حلول الأجل.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب ذكر الله، وتحريم الاشتغال بالمال والولد عن دين الله وأن من يفعل ذلك فهو من الخاسرين. تقرير: أن المفرط في الدين المضيع لأحكام الله يتمنى ساعة احتضاره تأخير أجله مدة قليلة لكي يعمل عملا صالحا يقربه إلى الله؛ ذلك أنه يرى عند ساعة الاحتضار عاقبة التفريط ومآل المضيعين لأوامر الله كما قال عز وجل ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾[1]. تقرير: عظمة الصدقة وفعل الأعمال الصالحة من البر والإحسان إلى المستضعفين. تقرير: أن الله لا يؤخر أجل نفس إذا استوفته.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن

مدنية وآياتها ثماني عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تسبح له جميع الكائنات النواطق والجوامد في السماء وفي البر وفي الجو وفي البحر تسبيحا يليق بعظمته وجلاله ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: هو المالك لكل ما في الوجود وصانعه ومقدره ومسيره ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: له الثناء في كل حال، فهو المحمود من خلقه على ما قدَّره وصنعه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: القادر على كل شيء في الأرض وفي السماء وفي كل لحظة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق الذي لا خالق إلا هو قدَّر بحكمته أن

يكون من خلقه مؤمن وكافر كما قضى قضاءه أن يجزي كلا منهم بما عمل ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: مطلع على كل ما يعمله عباده من الحسنات والسيئات ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: صنعها وكونها على غير مثال سابق وذلك لحكمة أرادها وقدر قدره ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ﴾ أي: صور عباده أحسن تصوير وركبهم أحسن تركيب فكان الإنسان أجمل مخلوقات الأرض ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: إليه المرجع والمآل ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يعلم بعلمه المطلق ما في الكون من الحوادث والوقائع دقائقها وجلائلها ظواهرها وبواطنها ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ أي: يعلم سرائر الخلق وعلانيتهم وما تنطق به ألسنتهم وما تخفيه صدورهم كما قال عزوجل ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تسبيح الكائنات السمائية والأرضية لله بلسان المقال والحال تقرير: ملكيته للوجود بكل مافيه. تقرير: أنه خلق السموات والأرض بالحق كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1]. تقرير: أنه خلق عباده من البشر في أحسن صور مخلوقاته كما قال عز وجل

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[١]. ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[٢]. ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٣]. تقرير: أن الله يعلم ما يسره عباده وما يعلنون، وهذا يقتضي منهم خشيته ومراقبته والخوف من عقابه.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ المخاطب كفار قريش في معاندتهم لرسول الله ﷺ، والمراد ألم يأتكم خبر الأمم الذين كذبوا من قبلكم رسلهم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي: لاقوا عاقبة كفرهم وتكذيبهم لرسلهم بأن أخذهم الله بعقابه من الرجفة والصيحة والغرق حتى استأصلهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: وعلاوة على عقاب الدنيا لهم عذاب شديد في الآخرة. ثم بيَّن عزوجل سبب استئصالهم في قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: جاءتهم رسلهم بالكتب والبراهين والمعجزات من

(١) سورة الانفطار الآية ٦ .
(٢) سورة الانفطار الآية ٧ .
(٣) سور الانفطار الآية ٨ .

عند الله فكذبوهم وقالوا ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: كيف يأتينا بالهداية بشر مثلنا ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ أي: كفروا بما جاءهم وأعرضوا عنه ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أي: أن الله غني عنهم وعن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ في ذاته العلية وصفاته القدسية ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود من خلقه في المقال والحال.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاعتبار بما حل بالأمم السابقة من الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، تقرير: جهل الأمم المكذبة لرسلها وفساد عقولهم حين زعموا أن البشر لا يحملون رسالة الله كما أخبر الله عن قول مشركي العرب ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾(١).

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(١) سورة الفرقان الآية ٧ .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ هذا إخبار من الله بأن الكافرين والمشركين ومن في حكمهم من الملاحدة يزعمون أنهم لن يبعثوا ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: قل لهم يا نبينا محمداً إنكم سوف تبعثون لا محالة، ثم تنبَّؤون بأعمالكم التي أحصيت عليكم وستجزون عليها بما تستحقونه ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل ليس فيه صعوبة. ولما بيَّن الله حقيقة البعث وأنه حق قال ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ أي: آمنوا بالله وحده واتركوا عبادة الأصنام والأوثان، وآمنوا برسوله واتبعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه، وأن تصدقوا وتؤمنوا بالنور الذي أنزل على رسوله وهو القرآن الكريم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عالم بأعمالكم وسيجزيكم عليها وذلك ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ﴾ أي: يوم القيامة حيث تجتمع فيه الخلائق أولها وآخرها جنها وإنسها ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ أي: اليوم الذي يُغْبَنُ فيه أهل النار حين يرون أهل الجنة أخذوا منازلهم في النعيم المقيم، ويرون أنفسهم في العذاب المقيم فيصيبهم الغبن مما هم فيه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا

يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ هذا وعد من الله لعباده بأن من آمن به وعمل صالحا في الدنيا سوف يكفر عنه ذنوبه وخطيئاته ويدخله جنة الخلود وهذا هو الفوز العظيم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: بالله ورسوله ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ أي: بالقرآن ومافيه من البراهين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أي: أن هؤلاء هم المقيمون في النار المخلدون فيها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: بئس مقامهم فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن بعث الخلائق ونشورهم واقع لا ريب فيه. ومنها: وجوب الإيمان بالله ورسوله وبالقرآن الكريم ومن لم يؤمن بهم وجبت له الشقاوة كما قال تعالى ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾[1]. تقرير: أن يوم القيامة هو اليوم الذي يُغبن فيه الكافرون؛ بسبب كفرهم وإعراضهم عن الإيمان بالله ورسوله وكتابه. والحكم بأن الإيمان بالله وعمل الأعمال الصالحة مكفر للذنوب والخطايا وموجب للخلود في جنات النعيم. التحذير: من الكفر بالله والتكذيب بآياته؛ لأن العذاب سيكون مآل من يفعل ذلك.

---

(١) سورة الفتح الآية ١٣ .

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ سبب نزول هذه الآية أن المشركين قالوا: لو كان المسلمون على حق لصانهم الله عن المصائب في الدنيا، فبيّن عز وجل أنه مامن مصيبة تصيب الإنسان في جسمه أو ماله أو ولده إلا هي بقدر الله وعلمه وحكمته[1] ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ أي: من يؤمن أنه لا يصيبه من مصيبة إلا بإذن الله يهد قلبه للرضا بقضائه وقدره فيكون له بذلك أجر عظيم ومثوبة منه ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: لا تخفى عليه خافية فيعلم من يؤمن بقضائه ويصبر عليه، ويعلم من يفزع ويجزع ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ﴾ هذا أمر من الله للعباد بطاعته في اتباع شرعه وأحكامه وطاعة رسوله فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٣٩ .

أي: ما عليه إلا أن يبلغكم ما أرسل به بلاغا يبين لكم فيه ما يجب عليكم، فإن أطعتموه فذلك خير لكم، وإن عصيتموه فأمركم إليكم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ أي: هو الإلَه الذي لا إلَه غيره ولا معبود بحق سواه فاعبدوه وحده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: عليه يتوكل المؤمنون فيتكفل بأرزاقهم، وما يهمهم في دنياهم وأخراهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: أنه ما من مصيبة تحدث ولا نازلة تنزل إلا بإذن الله وقدره كما قال عز وجل ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]. وهذا يقتضي وجوب الصبر عند المصائب والرضا بقضاء الله كما قال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[3]. ومنها: الحكم بأن من يؤمن بالله ورسوله يثبت الله قلبه عند المصائب. ومنها: وجوب طاعة الله وطاعة رسوله فيما أمرا به وما نهيا عنه كما قال عز وجل ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ

(١) سورة الحديد الآية ٢٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٧ .

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾[1]. ومنها: وجوب الإقرار بتوحيد الألوهية المقتضي أنه لا إلَه إلا الله المستحق وحده للعبادة. وجوب التوكل على الله كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2]. وشاهده أيضا قول رسول الله ﷺ: **(لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)**[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴿قل﴾ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا

---

(١) سورة النور من الآية ٥٤ .

(٢) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، برقم (٢٣٤٤)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٩٥، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، برقم (٤١٦٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٩٤ .

﴿لَّكُمْ﴾ هذه الآية: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي فقد شكا إلى رسول الله ﷺ أهله وولده؛ لأنه إذا أراد الغزو بكوا إليه وطلبوه ألا يفارقهم فيرق لهم ويقيم[1]. وقيل: إنها نزلت في أناس من أهل مكة أعاقهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة والجهاد مع رسول الله ﷺ، فلما تغلبوا عليهم وأتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في دينهم هموا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم فأنزل الله تعالى هذه الآية[2] والمراد أن بعض أزواجكم عدو لكم أي: يصدونكم عن الطاعة ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ أي: كونوا منهم على حذر، فلا تتخلفوا عن أمر فيه طاعة لله كالجهاد وغيره من أفعال الخير ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾ أي: إن تعفوا عمن شغلوكم من أولادكم عن الهجرة والجهاد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده زلاتهم ويرحمهم إذا علم نياتهم وتوبتهم إليه.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: أن الأولاد اختبار وبلاء لكم فلا تطيعوهم إذا أمروكم بمعصية أو منعوكم عن فعل من أفعال الخير، كما أن الأموال اختبار لكم ليعلم الله ما إذا كنتم تنفقونها فيما أمركم به أو تنفقونها في معاصيه ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: عنده يوم القيامة أجر عظيم لمن أنفق ماله في وجوه الخير

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٧٩-٧٨٠ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٧٩-٧٨٠ .

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هذا من فضل الله ومنته وكرمه على عباده أن جعل طاعته فيما يستطيعونه ولم يكلفهم ما لا يطيقونه، فإذا لم يستطيعوا الهجرة فلا جناح عليهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾(١) إلى قوله ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾(٢). ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(٣). فبيَّن أنه عفا عمن لا يستطيع حيلة للهجرة.

﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ أي: اسمعوا ما يدعوكم الله ورسوله إليه وأطيعوه ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي: أنفقوا من مال الله على أولادكم وعلى المحتاجين وعلى كل عمل في سبيل الله، فإن في ذلك خيراً لكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الشح هو إمساك المال وعدم إنفاقه فيما يجب إنفاقه فيه كالزكاة والصدقة والنفقة على الوالد والولد ومن تجب نفقته عليه. ومن علامات الإيمان: أن لا يبخل الإنسان على نفسه، والإيمان لا يحصل إلا بسؤال العبد لله أن يقيه شر البخل، فإذا وقاه الله ذلك أصبح من المفلحين في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة النساء من الآية ٩٧ .

(٢) سورة النساء من االآية ٩٨ .

(٣) سورة النساء الآية ٩٩ .

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: إن تنفقوا في سبيل الله فإن نفقتكم قرض حسن يضاعفه الله لكم يوم القيامة ويغفر لكم خطيئاتكم ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يشكر من أنفق في سبيله ويحلم على من يعصيه من عباده فلا يباغته بالعقوبة، بل يترك له سبل التوبة والرجوع عن خطيئته ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء من إنفاقكم فهو شاهد على ما تنفقون ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بقوته ومراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وفي شرعه لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عداوة بعض الأولاد لوالديهم والزوجات لأزواجهن وكونهم لهم فتنة وفي حديث بريدة أن رسول الله ﷺ كان يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: (**صدق الله ورسوله** ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**)[1]. تقرير: الترغيب في الصفح عن الإساءة كما

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، برقم (٣٧٧٤)، سنن الترمذي ج٥ ص٦١٦، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، برقم (١١٠٩)، سنن أبي داود ج١ ص٤١٤ .

قال عز وجل ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[١]. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢]. تقرير: أن المال والولد اختبار للعبد، فالمال يجب أن لا يكون مانعا لصاحبه من فعل الخير والولد كذلك وإلا أصبحا عدوين له. الحكم بأن التقوى حسب الاستطاعة لقول الله عزوجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[٣]. وقول رسوله ﷺ: (**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**)[٤]. ومن مسائل هذه الآيات: التحذير من الشح وهو البخل وشاهده قوله عز وجل ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾[٥]. وقول رسول الله ﷺ: (**اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم..**) الحديث[٦].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٦١٢ .

(٥) سورة محمد من الآية ٣٨ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٣ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الطلاق

مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ وأمته والمراد إذا طلقتم النساء لأي سبب فليكن طلاقكم لهن في عدتهن أي: في الوقت الذي هُنَّ فيه طاهرات بمعنى أن يكون الطلاق في طهر لم تجامعوهن فيه؛ لكي تعد المطلقة طهرها ذلك أول عدتها ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: اعرفوها من بدايتها إلى نهايتها لما يترتب على ذلك من المراجعة والنفقة والسكن وغير ذلك من الأحكام الأخرى وذلك في التي دخل بها؛ لأن المعقود عليها فقط لا عدة عليها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في ذلك ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي: ليس لكم أن تخرجوهن من سكن الزوجية ما دمن في العدة كما لا يجوز لهن ذلك

إلا لضرورة مقتضية ولا يخرجن ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة بينة كالزنى أو النشوز أو البذاءة للرجل ونحو ذلك ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ أي: هذه أحكامه وشرائعه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: يخرج عليها متجاوزا لها ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ أي: أضر نفسه بفعله ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ أي: أن الأمر ببقاء المطلقة في بيت الزوجية مدة العدة هو المشروع؛ إذ لعل الزوج يندم على طلاقه فيراجعها.

أحكام ومسائل الآية:

شرع الله الطلاق وهو أبغض الحلال إليه، وما شرعه وهو أحكم الحاكمين إلا لما تقتضيه وقائع الحياة وضروراتها وهو على قسمين طلاق سنة وطلاق بدعة؛ فطلاق السنة أن يطلق الرجل زوجته طاهرة من غير جماع، أو يطلقها وهي حامل قد ظهر حملها، أما طلاق البدعة فأن يطلقها في حال حيضها أو في طهر جامعها فيه؛ لما روي في هذا أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: (**ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمر الله عز وجل**)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (٦٥)، سورة الطلاق برقم (٤٩٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٢١ .

ومن الأحكام: أن يكون الطلاق واحدة، فإن طلقها اثنتين أو ثلاثاً بلفظ واحد وهو ينوي طلقة واحدة عدت كذلك، فإن كان ينوي اثنتين عدت كذلك فلا يبقى له إلا طلقة واحدة، وإن كان ينوي بلفظ الطلاق بالثلاث بينونتها عدت بائنة منه، وإن كرر الطلاق واحدة بعد أخرى حتى بلغت ثلاثا بانت منه ولو قال إنه ينوي واحدة. ومنها: وجوب إحصاء عدة المطلقة من قبل الزوج والزوجة معا فالزوج بإحصائه العدة يعرف ما يجب عليه من السكن والنفقة، ووقت المراجعة. والزوجة عليها واجب الإحصاء لكي تعرف ما ستكون عليه. ومن هذه الأحكام: تحريم إخراج المرأة من بيت الزوجية إلى أن تنقضي عدتها مالم ترتكب فاحشة ظاهرة كالزنى أو النشوز أو الإيذاء للزوج أو أهله أو نحو ذلك. ومنها: وجوب الحفاظ على حدود الله في الطلاق وعدم تجاوزها فمن تجاوزها فقد ارتكب إثما عظيما.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: أشرفن على انقضاء العدة وقبل نهايتها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ والمراد إن أراد الزوج أن يمسكها بالمراجعة والاستمرار في الزوجية فليكن ذلك بالمعروف أي: بالإحسان إليها بما يجب لها من حقوق الزوجية، وإن أراد الزوج أن يفارقها، فليكن ذلك بمعروف أي: بالإحسان إليها بالكلم الطيب وعدم الإيذاء لها ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: أشهدوا عدلين من المسلمين على الطلاق وعلى الرجعة إذا رغبتم فيها ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ أي: أدوها كما أمركم الله ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي: هذا الذي أمركم الله به في أمور الطلاق من الإشهاد وغيره إنما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر ويرجو ثواب الله ويخاف عقابه ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي: من يتق الله ويخشه فيما أمره به وما نهاه عنه يجعل له مخرجا من كل ضيق ومن كل هم ويرزقه رزقا لم يكن في حسبانه وقيل: إن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي فقد أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن العدو قد أسر ابني فجزعت أمه فما تأمرنا ؟ قال: (**آمركما أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله**) فقالت امرأته: نعم ما قال. فجعلا يكثران

منها، فغفل العدو عن ابنهما فأخذ غنمه وجاء بها إلى أبويه[١].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: من يكل أمره إلى الله فلا يستعين إلا به ولا يرجو إلا إياه ولا يسأل إلا إياه فإن الله كافيه وواقيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: ينفذ قضاءه في عباده ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: جعل لكل شيء أجلا يبلغه لا يتقدمه ولا يتأخر عنه.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أنه إذا قاربت عدة الزوجة المطلقة الانتهاء وجب على الزوج تقرير علاقته بها إما الاستمرار في الطلاق أو الرجعة قبل نهاية المدة. ومنها: الحكم بأن الإمساك يجب أن يكون بالمعروف وذلك على أساس العلاقة الحسنة كما أن الفراق يجب أن يكون بالمعروف كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٢] ومن المعروف أن يعطي مطلقته مالها من مهر ويمتعها حسب غناه وفقره. ومن هذه الأحكام: وجوب الإشهاد على النكاح واستحباب الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة، ويجب أن يكون الشهود من ذوي العدالة من المسلمين. ومنها: تقرير أن من يتقي الله في السر والعلن ويخشاه حق خشيته يجعل له مخرجا من ضيقه وهمومه ويرزقه مما لا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٨٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٧ .

يكون في حسبانه. تقرير: أن من يتوكل على الله فلا يسأل إلا إياه ولا يستعين إلا به، فإنه كافيه وواقيه وكفى به حسيبا. وفي حديث عبدالله بن عباس أنه ركب خلف رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: (**إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سالت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو أجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**)[1].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ أي: اللائي انقطع حيضهن لكبرهن ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم في كونه حيضاً أو استحاضة ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ لصغرهن،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٥٩)، برقم (٢٥١٦)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٧٥، والإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٩٣ .

فعدتهن كذلك ثلاثة أشهر ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ أي: الحوامل من النساء ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي: إن عدتهن تترتب على وضعهن، لأنه لا يبرأ الرحم إلا بذلك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ أي: أن من يتقي الله ويخشاه في أمور الطلاق وغيرها ييسر أمره ويجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ أي: أنزل إليكم شرعه وأحكامه في النكاح والطلاق وبيَّنه لكم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ أي: من يخشى الله ويأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه يكفر عنه خطيئاته ويجزل له الأجر والثواب.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أن عدة التي يئست من الحيض لكبرها ثلاثة أشهر، وكذلك عدة الصغيرة التي لم تحض، أما التي توفي زوجها وهي حامل، فعدتها وضع حملها؛ أما إن توفي عنها زوجها وهي غير حامل فعدتها: أربعة أشهر وعشر ليال. ومن هذه الأحكام: أن أحكام النكاح والطلاق والرجعة مما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ وهذا يقتضي الالتزام بهذه الأحكام وعدم تعديها. وبيان فضل التقوى ووعد الله للمتقين بأنه يكفر خطيئاتهم ويعظم أجورهم.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ بعد أن بيَّن الله تعالى في الآيات السابقة أحكام العدة في حالات الطلاق ووجوب الإمساك أو الفراق بالمعروف بيَّن حالات النفقة، فأمر الأزواج بإسكان زوجاتهم المطلقات طلاقا رجعيا ونهى عن مضايقتهن في السكن أو النفقة كما قال تعالى ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ﴾ ثم قال ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾ أي: إن كانت المطلقة طلاقا بائنا وهي حامل وجب عليه سكنها ونفقتها حتى تضع حملها، فإذا وضعته فلها الخيار في أن ترضع ولدها أو تمتنع من إرضاعه، فإن أرضعته فلها أجر المثل والتعاقد مع أبيه أو وليِّه على ذلك ولهذا قال تعالى ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ﴾ ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ﴾ أي: ليكن أمركم بينكم بالمعروف بعيدا عن المضايقة والإضرار ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أي: إذا اختلف الأب

والأم في أجرة الرضاع كما لو طلبت أجرا كبيرا لإرضاع الولد أو عرض الأب أجرا قليلا لم ترض به فليسترضع له غيرها، فإذا أرادت الأم أن ترضعه بنفس الأجر الذي رضيت به المرضعة الأجنبية فالأم أحق بإرضاعه.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: ينفق الأب على ولده حسب قدرته وطاقته ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي: من كان رزقه ضيِّقاً كانت نفقته على ولده حسب طاقته؛ لأن الله لا يكلف المرء ما لا يطيقه ولهذا قال عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ ثم قال تعالى ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: يجعل بعد الفقر غنى وبعد الضيق فرجا، وذلك لمن اتقاه وخشيه كما قال عزوجل في الآية السابقة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1]. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2].

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: السكن والنفقة لمن طلقت طلاقا رجعيا. وكذا وجوب السكن والنفقة لمن طلقت وهي حامل وذلك إلى أن تضع ولدها وأن يكون ذلك دون مضايقة أو إضرار، ولها أن ترضع ولدها بأجر المثل، فإن اختلفت مع الأب في قدر الأجر فيسترضع له أخرى.

(١) سورة الطلاق من الآية ٢ .
(٢) سورة الطلاق من الآية ٣ .

ومنها: الحكم بوجوب الإسكان والنفقة لمن توفي عنها زوجها وهي حامل. أما المطلقة البائن فليس لها سكن ولا نفقة في حال العدة؛ لقصة فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص ثلاث طلقات، وكان غائبا باليمن فأرسل إليها وكيله بقليل من الشعير لنفقتها فلم تقبله وقال: والله ليس لك علينا نفقة فأتت رسول الله ﷺ فقال: (**إنما السكنى والنفقة للمراة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى**)[1]. ومع ذلك فإن الله عز وجل قال ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[2] في تعاملكم، فإذا كانت المرأة محتاجة أو يتيمة والزوج في غنى، فما أجمل وأفضل الإحسان إليها حال عدتها حتى يجعل الله لها فرجا.

ومن الأحكام في الآيتين: أن النفقة تكون حسب قدرة الزوج المطلِّق من حيث غناه أو عدمه؛ لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، برقم (١٤٨٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٤٠٣٤-٤٠٤٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٧ .

قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ لما بيَّن الله الأحكام الخاصة بالعلاقة بين الزوج وزوجته من طلاق وعدة ونفقة حذَّر من مخالفة أحكامه مبيِّناً أن كثيرا من القرى -والمراد أهلها- عتوا وامتنعوا عن امتثال أحكام الله وما جاءتهم به رسله، فحاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا عظيما كما قال تعالى ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: سوء عاقبة عتوها وطغيانها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي: عذابا وخسرانا ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ أي: يوم القيامة مع ما أصابهم من الهلاك في الدنيا ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: اتقوه واحذروا مخالفته يا أولي العقول واعتبروا بما حصل لأهل القرى حين عتوا عن أمر ربهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي: القرآن ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: وأرسل إليكم رسولا يبلغكم هذا القرآن بما فيه من الآيات الواضحات ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: ليخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والجهل إلى النور والعلم ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ هذا وعد من الله -ووعده الحق- أن من آمن بالله وصدق رسوله وما جاء به ويعمل الأعمال الصالحة من صلاة وزكاة وصيام وبر وصدقة ونحو ذلك من أعمال الخير يدخله الجنة بما فيها من النعيم المقيم ويخلده فيها وهذا هو الرزق الحسن الذي لا يتبدل ولا يتغير.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله عز وجل يحاسب ويعذب الذين يعصون أوامره وأحكامه ويعتدون على حدوده، وهذا يقتضي الحذر من مخالفة أوامره. تقرير: أن الله أنزل كتابه وأرسل رسوله لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور العلم، تقرير: وعد الله بأن من آمن به ورسوله وعمل صالحا ستكون الجنة جزاءه خالدا مخلدا فيها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ هذا بيان من

الله عن عظمته وقدرته المطلقة بأنه خلق سبع سماوات طباقا بعضها فوق بعض، وأمسكها بقدرته وسلطانه أن تقع على الأرض كما خلق مثلها سبع أرضين واحدة فوق الأخرى وجعلها مكانا آمنا لخلقه إلى يوم يميتهم ويبعثهم ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ أي: ينزل الوحي بين السموات والأرض وهذا الخلق، ليكون دليلا على قدرة الله وما يجب على الخلق من الاقرار بأنه الرب الذي لا رب غيره والإلَه الذي لا إلَه غيره، والإقرار بتوحيده وإفراده بالعبادة ولهذا قال عزوجل ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير قدرة الله تعالى وعظمة صنعه في خلق الكون كما قال عزوجل مخبرا عن قول نوح لقومه وهو يدعوهم إلى توحيد الله ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾[1] وقوله تعالى ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[2].

بيان عظمة الله في خلق الكون يقتضي من العباد توحيده، والعمل في طاعته وتحكيم شرعه.

---

(١) سورة نوح الآية ١٥ .

(٢) سورة الملك من الآية ٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التحريم

مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ هذا خطاب من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ يعاتبه على أمر وقع بينه وبين زوجاته، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواطأت أنا وحفصة أن أيّنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير، أكلتَ مغافير فدخل

رسول الله ﷺ على إحداهما فقالت له ذلك فقال: (**لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له**) فنزلت هذه الآية[1] وقيل: غير ذلك. قوله ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تريد رضاهن عنك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفر لك ما قلته، فلا يحرم عليك ما حرمته على نفسك ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: يحلل اليمين الكفارة عنها، وهو إطعام عشرة مساكين ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم في تحليل أيمانكم بما تخرجونه من الكفارة عنها ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأسراركم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه لكم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ أي: أن رسول الله ﷺ أسر لزوجته حفصة أنه شرب عسلاً وطلب منها ألا تبديه لأحد فحدثت به عائشة رضي الله عنهما لعلاقة مودة بينهما فأطلع الله رسوله على ذلك ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ أي: أن حفصة لما أخبرت بما حدثها رسول الله ﷺ به وأطلعه الله على ذلك عرّفها عليه الصلاة والسلام ببعض ما قالت وأعرض عن بعض فلم يعرفها به تكرما منه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ أي: قالت حفصة من الذي أخبرك بهذا ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٧٧، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ برقم (٤٩١١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٢٤ .

﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ أي: نبأني الله الذي يعلم السر وأخفى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ المراد حفصة وعائشة ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: مالت راجعةً إلى حق زوجكما عليكما ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ أي: تتعاونا عليه بما يؤذيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: وليه ومعينه وناصره ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ المراد جبريل عليه السلام، وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنهما أبوا زوجيته عائشة وحفصة ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: أعوان له من كل ما يشق عليه.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ أي: لا تؤذينه فلو طلقكن، فإن ربه سوف يبدله أزواجا خيرا منكن، فلا يشققن عليه أو يؤذينه، وفي هذا تهديد من الله لهن ألا يعدن إلى ما حدث منهن لزوجهن رسول الله ﷺ. ثم وصف عز وجل أن الزوجات اللاتي سَيَكُنَّ له لو طلق زوجاته ﴿مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ أي: كثيرات العبادة لله والخضوع له والرجوع إليه ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ أي: بعضهن أبكار، وبعضهن ثيبات، وقد ثبت رسول الله ﷺ على زوجاته فلم يطلقهن؛ لأنهن لما سمعن هذا الوعيد والتأديب من ربهن بادرن إلى إرضاء رسول الله ﷺ والتفاني في التلطف به وتقديره.

أحكام ومسائل الآيات:

اختلف الفقهاء فيما إذا قال الرجل لزوجته: «أنت عليّ حرام» وسبب هذا الاختلاف أنه لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله محمد ﷺ نص يعتد به في هذه المسألة، فاجتهد فيها العلماء فتعدد اجتهادهم فمنهم من قال: لا شيء عليه، ومنهم من قال: إنها يمين توجب الكفارة، ومنهم من قال: إنها طلقة رجعية ومنهم من قال: إنها طلقة بائنة، ومنهم من قال: إن المعتمد عليه في هذه المسألة النية، فإن كان يريد طلاقا أو ظهارا فله نيته وقد أخذ الإمام الشافعي وأحمد بأن عليه كفارة يمين(١).

ومن الأحكام: أن من أسر حديثا إلى آخر وجب عليه أن يكتمه إلا إن كان قد صرح له بإفشائه، فإن كان قد أصر عليه ألا يفشيه لأحد فيأثم إن أفشاه؛ لأنه مثل من أودعه أمانة فضيعها. تقرير أن على المرء أن يتوب من إثم ارتكبه، سواء في حق زوجه أو ولده أو غيره من الناس. بيان إكرام الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما أطلعه على ما كان من زوجتيه وتأديب الله لهما وأمرهما بالتوبة، تقرير: فضل أبي بكر وعمر حين قال الله عز وجل في حقهما ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) المهذب في فقه الإمام الشافعي ج٢ ص٨٣، والمغني والشرح الكبير لابني قدامة ج٨ ص٣٠٣ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هذا نداء للمؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم من الأولاد والأزواج من النار، وذلك بالعمل في طاعة الله وذكره واتقاء معاصيه حتى ينجوا من نار حطبها جثث المشركين والكافرين والحجارة التي تتكون من كبريت أو من أصنام المشركين ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: إن طبيعتهم الغلظة والشدة، حيث نزع الله من قلوبهم الرحمة حتى يكونوا أشد قسوة على المشركين ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخالفون أمره ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: يفعلون ما يؤمرون به في الحال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: يقال يوم القيامة للمشركين والكفرة: إن عذركم اليوم لن ينفعكم، فقد كان لكم فسحة من الوقت للعمل في طاعة الله فلم تفعلوا ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا جزاء عملكم في الدنيا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبوا إلى الله توبة صادقة خالصة لا تعودوا بعدها إلى فعل المعاصي ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: إذا تبتم إلى الله التوبة النصوح فسوف يغفر لكم ما سلف من خطيئاتكم ويدخلكم جناته بما فيها من النعيم والخلود الأبدي ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: يغفر لكم ذنوبكم في ذلك اليوم الذي يدخل فيه النبي والمؤمنون الجنة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي: يتقدمهم نورهم وهم على الصراط في طريقهم إلى الجنة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ أي: يقول المؤمنون لربهم أتمم علينا نورنا حينما يرون نور المنافقين قد انطفأ ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ أي: تجاوز عن خطيئاتنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب أمر الأولاد والأزواج بطاعة الله واجتناب معاصيه، ويشمل ذلك كل من تحت ولاية المرء ومن يأتمر بأمره، وهذه تربية عظيمة

من الله عز وجل لعباده المؤمنين ليس لأن أولادهم وزوجاتهم تحت ولايتهم ويجب عليه تربيتهم على طاعة الله فحسب بل لأن نفع ذلك يعود عليهم جميعا؛ فالولد الذي يتربى على طاعة الله يكون صالحا ومن الخير للأب أن يكون ولده كذلك لأن عمله لا ينقطع كما قال رسول الله ﷺ: (**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**)[١]. تقرير: أن الجزاء من جنس العمل، فمن عمل صالحا في الدنيا وجده يوم القيامة ومن عمل سيئا كذلك. ومن الأحكام: وجوب التوبة الصادقة من الذنوب بما تقتضيه شروطها من الندم على ما فات من المعصية وعدم العودة إليها والعزم على تركها، هذا إذا كانت المعصية في حق الله، فإن كانت تتعلق بحق الآدميين كالغصب ونحوه وجب التحلل من صاحبه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾.

بيان الآية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يجاهد المشركين والكفار بالسلاح وأن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٤٥١ .

يجاهد المنافقين بالوعيد والتهديد لهم؛ لكي يتركوا نفاقهم ويخلصوا في إسلامهم ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: يغلظ على المشركين والكفار والمنافقين بالعقاب في الدنيا ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم جهنم يوم القيامة ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: تعس ما يؤولون إليه.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب التشدد في دين الله وعدم التسامح مع المشركين والكفرة، وهذه مهمة المرسلين فإن الغالب في بني آدم العصيان، إما بسبب الجهل وإما بسبب العتو والطغيان، فاقتضى هذا إنذارهم أولا بوجوب توحيد الله وطاعته، فإن فعلوا وإلا وجب جهادهم لإعلاء دين الله. ولو لم يفعل الأنبياء والرسل تبليغ رسالات ربهم بالحجة ثم بالقوة لفسدت الأرض التي خلقها الله؛ لتكون مكانا لعبادته ولفسد الخلق الذين خلقهم الله لعبادته كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[1].

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ هذا المثل ضربه الله لتوكيد أن أحدا لن يغني عن أحد شيئا يوم القيامة فكون هاتين المرأتين زوجتين لنبيين كريمين لم ينفعهما؛ لأنهما كانتا فاسدتين في دين الله، فكانت امرأة نوح تتهمه بالجنون وكانت امرأة لوط تخبر بضيوفه وتحرض قومه الفاسدين ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ أي: لم ينفع زوجتي نوح ولوط قربهما من زوجيهما بل كان جزاؤهما بسبب عملهما ما ذكره الله عز وجل بقوله ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ هي آسية بنت مزاحم وقد ضرب الله المثل بها في الإيمان فقد عذبها فرعون وأمر بقتلها لما علم بإيمانها مع موسى فلما علمت بذلك ﴿إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: دعت ربها أن يجعلها من عباده المتقين وأن يسكنها جناته معهم وأن ينجيها من

كفر فرعون وأن ينجيها من عذاب قومه الظلمة فاستجاب الله لها.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هذا المثل الثاني من المؤمنات مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وصانته من الدنس، فكانت عابدة لله تقية مؤمنة صابرة على أذى اليهود وكيدهم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: نفخ جبريل في جيبها فحملت بإذن الله بعيسى ليكون نبيا ورسولا من عند الله إلى قومها الذي كان الفساد منتشرا بينهم ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ أي صدقت بما قاله جبريل لها بأنه رسول من الله ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ أي وصدقت بكتب الله ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي: المطيعين لله المخبتين له.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير خيانة امرأتي نوح ولوط والمراد بها الخيانة في الدين، وليس في العرض؛ لأنه ما من نبي بغت امرأته قَطُّ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. فمن كرامة الله لأنبيائه ورسله حفظ زوجاتهم لأعراضهم. تقرير: أن أحدا لن يغني عن أحد شيئا يوم القيامة؛ لأن كلا يجزى بعمله كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. فلما كان جزاء امرأتي نوح ولوط النار كان جزاء امرأة فرعون ومريم ابنة عمران الجنة، فالمعيار هو الإيمان أو الكفر.

---

(١) سورة التحريم من الآية ٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الملك

مكية وآياتها ثلاثون آية

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل يعظِّم فيه نفسه, وأنه المالك لكل ما في الوجود من الكائنات ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلقهما لقدر قدَّره وحكمة أحكمها, وذلك ليمتحن العباد ليرى من يعمل منهم عملا صالحا في الدنيا، فيوحد الله حق توحيده ويطيعه حق طاعته، ويشكره على نعمه، وليرى من هو الذي يتولى من عباده عن طاعته،

ولا يأتمر بما أمره به ولا ينتهي عما نهاه عنه ثم يكون لكل منهم جزاؤه حسب عمله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: المتعالي بعظمته عمن عصاه ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تاب وأناب إليه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ أي: طبقة بعد طبقة بعضها فوق بعض ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ أي: ما ترى العين في خلقه للسماوات وغيرها من نقص أو عيب أو خلل بل هو كامل في كينونته وصنعه ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ أي: ردد بصرك إلى السماء لترى هل فيها من عيب أو خلل والجواب حاشا وكلا ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ أي: مرتين ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾ أي: ذليلا ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ أي: كليل والمراد أنك لو كررت النظر في السماء لرجع إليك بصرك صاغرا دون أن يرى فيها خللا ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ المراد بها الكواكب والأفلاك العظيمة ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ أي: جعلنا الشهب التي تخرج منها رجوما للشياطين إذا أرادت استراق السمع من السماء, أما الكواكب نفسها فهي ثابتة ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: أعددنا للشياطين أشد الحريق وأعظمه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله، وأنه المالك لكل شيء في الوجود فتباركت

أسماؤه وتقدست صفاته. تقرير: حكمة الله في خلق الموت والحياة وهي اختبار عباده ليعلم من هو المطيع، ومن هو العاصي منهم، ومن هو الشاكر منهم لنعمه ومن هو الكافر بها. تقرير: خلق السموات على غير مثال سابق، وأن الله خلقها كاملة من العيوب والنقائص. تقرير: خلقه عزوجل للنجوم في السماء لتكون زينة لها وعلامات يهتدى بها ورجوما للشياطين حين يحاولون استراق السمع منها.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ أي: لكل من كفر بالله وآياته ورسله عذاب جهنم يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المرجع والمقام ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي: إذا

رمتهم ملائكة العذاب فيها سمع الكفار شهيقها وأصواتها وهي تغلي من شدة حرها. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: تكاد تتقطع وتتمزق من شدة غيظها على الكافرين ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: مجموعة من الكافرين ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ على جهة التوبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: ألم يأتكم رسول في الدنيا ينذركم ويحذركم من هذا العذاب الذي تلاقونه اليوم ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ أي: يقولون نعم لقد جاءنا رسول وأنذرنا من هذا العذاب ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ أي: قلنا للرسل لستم بصادقين فلم ينزل الله عليكم من شيء ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أيها الرسل ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ أي: أنتم الضالون ونحن المهتدون ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: لو كنا نسمع الرسل أو نعقل عنهم ما جاؤوا به من الهدى ما كنا في الحال التي نحن فيها وهي النار المستعرة ولهذا قال الله عنهم ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: اعترفوا بتكذيبهم الرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: قبحا وبعدا لهم من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما للكافرين من العذاب, جزاء تكذيبهم لآيات الله ورسله

تقرير: اعترافهم بتكذيبهم لرسل الله، ووصفهم لأنفسهم بالجهل وفساد العقل حين اتهموا الرسل بالضلال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: هم الذين يخافونه ويعلمون أنه يراهم ويراقبهم، فيطبقون حدوده وشرعه ويخافون عذابه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: تُغْفر لهم ذنوبهم وخطاياهم ويهبهم الله الأجر والثواب ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ هذه الآية نزلت في المشركين الذين كانوا يسبون رسول الله ﷺ فيطلعه جبريل على ما يقولون فقال بعضهم: أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد ما تقولون[1] والمراد أخفوا قولكم في محمد ﷺ أو أعلنوه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: إن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون ثم قال عزوجل ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: أتظنون أيها الجهلة أن الذي

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٩١، وتفسير البغوي ص١٣٣٢ .

خلقكم لا يعلم ما تسرون في نفوسكم ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي: الذي لطف بعلمه وقدرته كل سرائر المخلوقات ومكنوناتها وهي في الأصلاب ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي: جعلها منبسطة وسهلة؛ لكي تسيروا عليها وتستقروا فيها ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي: سيروا وسافروا في سهولها وأرجائها وفجاجها، واعملوا فيها فقد سهلها الله لكم ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ أي: اسعوا فيها واعملوا مما يسره الله لكم فيها من الطيبات إلى أن ترجعوا إليه يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الإيمان بالغيب، وقد وصف الله المؤمنين بأنهم الذين يؤمنون بالغيب فقال عز ذكره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]. ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الآية[2]. تقرير: أن الله يعلم سرائر خلقه وعلانيتهم، سواء أعلنوها أو أسروها؛ لأنه الذي خلق السر فهو يعلمه لا تخفى عليه منه خافيه. تقرير: أنه شرع لعباده السير في الأرض لابتغاء رزقهم وقضاء حاجاتهم، ويدخل في ذلك سفرهم للسياحة إذا لم تكن في معصية أو لم تكن لبلاد فيها خطر على دين المسافر. تقرير: حقيقة البعث والنشور يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٣ .

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾.

بيان الآيات:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ لما ذكر الله أنه جعل الأرض ذليلة لخلقه ذكَّرهم بقدرته وعظمته إذا لم يؤمنوا به وبأنه قادر على أن يخسف بهم الأرض، فإذا تلك الأرض التي كانت سهلة أصبحت تمور، أي: تضطرب وتعلو عليهم فيكونوا في أسافلها ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ أي: هل تأمنون إذا عصيتم الله وتعديتم حدوده أن يرسل عليكم ريحا فيها حصباء فتهلككم كما أرسلت إلى الأمم التي كانت قبلكم فأهلكتهم ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ أي: ستعلمون حينئذ كيف يكون عقاب من يعصى الله ويكذب آياته ورسله.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: من الأمم السابقة ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: كيف كان إنكاري عليهم شديدا وعقابي كان لهم أليما ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ﴾ أي: ألم ينظر المكذبون

لآيات الله وقدرته كيف حال الطير فوقهم وهن صافات أجنحتهن في الهواء ينشرنها تارة ويجمعنها تارة أخرى ما يمسكهن في الهواء إلا الذي خلقهن كما قال عز وجل ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: لا يفعلن ذلك إلا بقدرة الرحمن وتسخيره ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ أي: بصير بما يفعله ويدبره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

تذكير المكذبين لآيات الله ورسله أن الله قادر على أن يقلب عليهم الأرض فيهلكون فيها بعد أن جعلها ذليلة لهم، وأنه قادر كذلك على أن يرسل عليهم ريحا مصحوبة بأحجار فتهلكهم كما أهلك بها من كان قبلهم من الأمم الظالمة. تذكير المكذبين لرسلهم كحال المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ بأن الله سبق أن أهلك أمما وأقواما جزاء كفرهم. تذكير العباد بقدرة الله كيف جعل الطير في الهواء يرفع جناحا ويخفض آخر فلا يسقط وهو يقطع آلاف الأميال في كينونة وصنع عجيب لا يقدر عليه إلا الله.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ المخاطب كفار قريش، وهذا استفهام إنكاري والمراد ليس لكم قوة أو حزب ينصركم من دون الله فيدفع عنكم العذاب إذا عصيتموه ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أي: غرتهم الشياطين فأضلتهم عن السبيل السوي ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ أي: لا أحد غير الله ينعم عليكم من نعم الدنيا كإنزال الغيث ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي: إن أمسك الله رزقه عنكم ﴿بَل لَّجُّوا﴾ أي: أصروا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ أي: طغيان ﴿وَنُفُورٍ﴾ عما جاءهم به رسول الله من الحق ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أي: إن من يمشي وهو منكس رأسه لا يرى أمامه ولا يلتفت إلى يمينه ولا إلى شماله، ليس مثل من يمشي سويا في سيره يرى أمامه ويقلب وجهه يمينا وشمالا. وهذا مثل للمؤمن والكافر؛ فالكافر كالمنكِّس رأسه من العمى لا يبصر طريق الهدى خلافا للمؤمن الذي يمشي وهو يبصر طريقه ويقلب نظره ذات اليمين وذات الشمال ولهذا قال تعالى ﴿أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لا قوة إلا قوة الله، وأنه لا ناصر إلا هو، ولا ولي إلا هو،

وأن من يعتقد أن له شفيعاً من دون الله فهو في غرور. تقرير: أن الغرور المترتب من الشياطين يسيطر على عقل الكافر فلا يبصر هدى الله. تقرير: أنه لا يرزق إلا الله ولو أمسك رزقه لهلك الخلق جميعا. وأن من يمشي على طريق الله وطريق رسوله هو الذي يحصل له الفوز في الدنيا والآخرة، خلافاً للكافر الذي يسيطر عليه غرور الشيطان فيهلكه في الدنيا وفي الآخرة.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن الله هو الذي خلقكم من العدم إلى الوجود ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ﴾ أي: جعل لكم آذانا تسمعون بها وعيونا تبصرون بها وعقولا تعقلون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: ألا تشكرون الله على هذه النعم التي لا يقدر عليها إلا الله ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

أي: هو الذي نشركم في الأرض وبثكم فيها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: سوف يجمعكم بعد تفرقكم في أرجاء الأرض فتأتون إليه فرادى لا يتخلف منكم أحد ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: يقولون: متى هذا اليوم أي: يوم القيامة الذي نجتمع فيه بعد التفرق إن كنتم صادقين فيما تعِدوننا به، وهذا يقولونه على سبيل السخرية والاستهزاء ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا رسولنا لا يعلم أحد ذلك اليوم إلا الله ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وقد بلغتكم رسالته وبلغتكم أن هذا اليوم سيأتي لا محالة، أما علم وقوعه فهو عند ربي ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لما رأوا عذاب يوم القيامة قريبا منهم ساءت وجوههم من العذاب؛ بسبب كفرهم ﴿وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ أي: تتمنونه وتسألون عنه استهزاء وسخرية كقولهم ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾(١).

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب شكر الله تعالى على نعمة السمع والبصر والعقل. تقرير: نعم الله على خلقه، حيث بثهم في الأرض وحكم بأنهم سيرجعون

---

(١) سورة ص من الآية ١٦ .

إليه ليُرَوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا فيجازيهم عليها. تقرير: أن المشركين والكفار الذين كانوا ينكرون البعث ويستهزئون به تسود وجوههم إذا رأوا العذاب ويقال لهم: هذا الذي كنتم به تستهزئون كما قال عز وجل عنهم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[1]. ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لمشركي مكة الذين كانوا يتمنون وينتظرون موتك أخبروني إن أماتنا الله أو رحمنا فأخر آجالنا فمن ينقذكم أنتم من عذاب الله فلا فائدة لكم من تمني موتنا فلو كانت لكم عقول لاهتديتم وتركتم أصنامكم حتى ينجيكم

---

(١) سورة الزمر من الآية ٤٧ .

(٢) سورة الزمر الآية ٤٨ .

الله من العذاب ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: قل لهم يا نبينا محمداً هو الله الذي لا إلَه إلا هو آمنا به حق الإيمان وتوكلنا عليه حق التوكل ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: من هو الضال أنتم أم نحن ولمن تكون له الحسنى في الدنيا والآخرة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: قل لهم إن ذهب ماؤكم في أسفل الأرض فلم تجدوا ماء تشربون منه ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ أي: من هو الذي سيأتيكم بماء معين أي: عذبٍ جار ينقذكم من العطش والجواب: لا أحد يأتي به إلا الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عداوة المشركين لرسول الله ﷺ وتمنيهم موته كما قال عزوجل عنهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[١]. تقرير: وجوب الإيمان بالله والتوكل عليه كما قال عز وجل ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٣]. تقرير: أهمية الماء وحاجة الخلق إليه لشرابهم وأنه لا أحد يقدر على استخراجه إذا جعله الله غائرا في الأرض.

(١) سورة الطور الآية ٣٠ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٥١ .

(٣) سورة الطلاق من الآية ٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القلم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿نٓ﴾ هو أحد الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ هذا قسم من الله بالقلم والمراد به كل قلم يكتب به من في السماء ومن في الأرض ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: ما يكتبون أي: الملائكة فيما تكتبه من أعمال العباد ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم وهو نفي الجنون عن رسول الله ﷺ ردا على المشركين الذين يقولون: إن به جنوناً كما حكاه الله عنهم بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1]. ﴿وَإِنَّ لَكَ

---

(١) سورة الحجر من الآية ٦.

﴿لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ أي: لك ثواب على حملك أعباء النبوة والرسالة غير ممنون أي: منقوص ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ أي: إنك على دين وأدب عظيم فقد أدبه ربه بدين الإسلام، وأرسله به فصارت فيه كرائم الخُلقِ من اللطف والرحمة كما قال عز وجل ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[1] فهو خير مثال لكل فضيلة كالعفة والكرم والحياء والحلم وحسن الخلق بكل معانيه كما عبرت عنه عائشة رضي الله عنها بقولها «كان خلقه القرآن»[2]. ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ أي: ستعلم يوم القيامة، ويعلم قومك الذين اتهموك بالجنون ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ أي: من هو المجنون فعلا الذي فتن بالجنون وذلك حين تنكشف الأعمال ويظهر الحق ويبطل الباطل فحينئذ سيعلم المتهمون لك عاقبة كذبهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: هو الذي يعلم علم اليقين من هو الذي زاغ عن طريق الحق واتبع الشيطان ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ الذين ثبتوا على الطريق القويم، وسوف يجازى كلا بما عمل.

---

(١) سورة التوبة من الآية ١٢٨ .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، ج٢ ص٨٧٢، برقم (٤٨١١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله يقسم بما يشاء من خلقه، وقد أقسم هنا بالقلم، وقد يكون المراد به القلم كجنس، أو القلم الذي كتب أقدار الخلائق، لما رواه الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب القدر وما كان وما هو كائن إلى الأبد**)[١]. تقرير: تكذيب الله لمشركي قريش في اتهامهم لرسول الله ﷺ بالجنون تقرير: الأجر الكبير من الله عز وجل لرسوله على ما تحمله في سبيل الدعوة إلى دين الله. وصف الله لرسوله محمد ﷺ بأنه على خلق عظيم وهذا تشريف له من ربه وكان عليه الصلاة كما وصفه ربه، وقد ثبت في الصحيحين ما رواه أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أفٍّ قط ولا قال لشيء: لم فعلت كذا؟ وهل فعلت كذا؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من رائحة رسول الله ﷺ[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب (١٧)، برقم (٢١٥٥)، سنن الترمذي ج٤ ص٣٩٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، برقم (٢٣٠٩، ٢٣٣٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦١٢٥، ٦١٥٢ .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فانتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل[١]. وعنها رضي الله عنها: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل[٢].

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ لما كذب الله المشركين في اتهامهم لرسول الله ﷺ ثم وصفه بالخلق العظيم نهاه عن طاعة المشركين ومقاربتهم؛ لأنهم كانوا يدعونه إلى الكف عنهم حتى يكفوا عنه ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.. برقم (٢٣٢٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦١٥٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.. برقم (٢٣٢٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦١٤٩ .

﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ أي: يودون أن تلاينهم بالقول أو الفعل فيلاينونك ويبقون على كفرهم ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ قيل: المراد به الوليد بن المغيرة(١)؛ لأنه عرض على رسول الله ﷺ مالا وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه، وكان هذا صاحب مال كثير والحلاف: كثير الحلف بالكذب، والمهين: الفاجر أو هو الحقير عند الله ﴿هَمَّازٖ﴾ أي: يغتاب الناس ويعيبهم ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ أي: كثير المشي بين الناس بالنميمة بقصد زرع الفتنة والفساد بينهم ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ أي: مُبالغ في منع بذل المال في وجوه الخير فلا ينفقه إلا في فساد ﴿مُعۡتَدٍ﴾ أي: يعتدي على الناس بلسانه ويده ﴿أَثِيمٍ﴾ بما يفعله من إيذاء الناس والتطاول عليهم ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العتل: الغليظ الجافي في تعامله وعلاقاته مع الناس والزنيم هو الدعي الذي ينتسب إلى قوم وهو ليس منهم ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ استفهام إنكاري والمراد إن كان له مال وبنون طغى واستكبر ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: إذا يتلى عليه كتاب الله قال: هذه خرافات الأولين وأباطيلهم ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ أي: سنجعل له علامة يعرف بها وهي: علامة أهل النار يوم القيامة فيسود وجهه يوم تبيض وجوه المؤمنين.

---

(١) تفسير البغوي عن مقاتل ص١٣٣٦ .

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب عدم طاعة من يكذب بآيات الله أو يكفر أو يستهزئ بها، وجوب عدم مداهنة الكفرة ومقاربتهم مقابل أي وعد منهم. ذم وتقبيح من يحلف بالباطل ويلمز الناس أو يعيبهم أو يطعن فيهم أو يمشي بالنميمة بينهم؛ لما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: (**إنهما ليعذَّبان وما يعذَّبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**)(١). ذم وتقبيح: العتلّ الفظ لقول رسول الله ﷺ: (**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر**)(٢). ذم: كثرة المال إذا كان لا ينفق منه في وجوه البر والخير.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، برقم (٢١٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٣٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، برقم (٤٩١٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٣٠ .

ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾».

بيان الآيات:

لما نهى الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ عن صفات المشركين كالوليد بن المغيرة المخزومي، ضرب الله مثلا لكفار قريش فقد أنعم الله عليهم وأعطاهم من فواضله الشيء الكثير، وأهم ذلك بعثة رسوله محمد ﷺ فيهم مما يعد شرفا لهم، ولكنهم لم يشكروا الله على ذلك بل قابلوا بعثة رسوله بالتكذيب والاستهزاء والطغيان ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ أي: امتحناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: بلوناهم بالقحط كما بلونا أصحاب الجنة والمراد بها الحديقة التي كانت تشتمل على أنواع كثيرة من النخيل والثمار. قيل: إن أصحاب هذه الجنة أناس من اليمن كانوا يسكنون في قرية تبعد عن صنعاء بستة أميال، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكان يسير في تلك الجنة سيرة حسنة فما يستغله منها يرد فيه ما يصلحه ويدخر

لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالباقي، فلما مات وورث بنوه الجنة انتقدوا فعل أبيهم بما يدفعه للفقراء، وقالوا: إذا منعناهم مما كان يعطيهم توفر لنا خير كثير فلما فعلوا ذلك عاقبهم الله فأذهب جنتهم كما قال تعالى ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا ليقطعن ثمار نخيلهم وفواكههم قبل الصبح حتى لا يأتيهم فقير أو سائل يسألهم شيئاً منها ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: فيما أقسموا به أو يكون المراد لا يستثنون حق الفقراء والمساكين ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أي: أصابها الله بآفة حولت الجنة إلى حصيد أسود وهم نائمون لا يدرون عنها كما قال تعالى ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ أي: الليل المظلم ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾ أي: لما أصبحوا نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجنة ليقطعوا ثمارها قائلين ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي: قوموا بسرعة، واذهبوا إلى جنتكم إن كنتم تريدون صرامها أي: قطع ثمارها ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: يناجي بعضهم بعضا سرا بحيث لا يسمع الفقراء حديثهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي: لا تسمحوا لأحد من المساكين أن يدخلها ﴿وَغَدَوْا۟﴾ أي: ذهبوا في الغد إلى جنتهم ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: على قصدٍ وجدِّية في معزل عن طريق المساكين ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على صرام ما في الجنة من الثمار ﴿فَلَمَّا

رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ أي: لما رأوا جنتهم على حالتها من السواد والفساد ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وأن ما رأوه ليس جنتهم ولما عرفوا أن التي رأوها هي جنتهم قالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي: قالوا: هذه هي جنتنا ولكن ليس لنا فيها نصيب.

لكن أحدهم -وهو أعلمهم- ذكَّرهم بخطئهم وأن ما حصل لهم هو عقاب لهم من الله؛ لأنهم لم يسبحوا أي: لم يستثنوا أو لم يشكروا الله على ما أعطاهم من النعم فيحسنوا إلى الفقراء والمساكين وهو معنى قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أي: سبحوا لله وعظموه وندموا ولكن بعد أن فات الأوان ولا ينفع الندم ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضا على مافعلوا من حرمان الفقراء مما أوجب الله لهم في مالهم ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ أي: ياويلنا من الله؛ بسبب طغياننا وشُحِّنا ومنع الفقراء من حقوقهم ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ أي: لقد تبنا إلى الله مما حصل منا ونرجوه أن ينعم علينا بجنة خير من جنتنا فنحن راغبون في رحمته وفي فضله ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي: هذا الذي حصل لهؤلاء الإخوة عذاب في الدنيا حيث حرموا من جنتهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون لأدركوا أن عذاب الدنيا قليل بالنسبة لعذاب الآخرة من حيث شدته والخلود فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

لقد ضرب الله هذا المثل لكفار قريش؛ ليعلموا أن ما أصاب أصحاب الجنة قد يصيبهم في أموالهم فيمنع الله عنهم القطر وينزع البركة من رزقهم فيصابوا بالجوع، وهذا المثل كما ينطبق على كفار قريش ينطبق على كل من يبخل بماله فلا ينفق منه في وجوه الخير كالعطف على الفقراء والمساكين قال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[1]. ومن الأحكام: وجوب الاستثناء في كل أمر يهم العبد بفعله أي: يجب عليه أن يجعل هذا الأمر تحت مشيئة الله كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[2] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]. ومن هذه الأحكام: أن الله حين يعاقب قوما؛ بسبب ذنوبهم يجعل ذلك عبرة لهم؛ لكي يتوبوا كما يجعله عبرة لغيرهم لكي يحذروا. ومنها: أن اللوم والندم لا يغير شيئا مما يحدث من قول أو فعل، وإنما تجب التوبة عن فعل المعصية وذلك دفعا لانتقام الله.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٣) سورة الكهف من الآية ٢٤ .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال أهل الجنة التي احترقت حين عصوا أمر الله وذلك بمنعهم الصدقة على الفقراء والمساكين، بيَّن ما للمتقين يوم القيامة من الجنات والنعيم الأبدي، ثم رد على كفار قريش الذين قالوا: إن الله أعطانا من النعيم في الدنيا، وسنكون كذلك يوم القيامة إن صح أنا نبعث كما يقول محمد ونحن بهذا أفضل من أصحاب محمد فقال عز وجل ردا عليهم ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هل نجعل المسلمين الذين استسلموا لله وانقادوا له فوحدوه وأطاعوه مثل المجرمين الذين عصوا الله وطغوا وعتوا وأشركوا بالله ؟ والجواب بالنفي، فبين هؤلاء وهؤلاء فرق كما بين السماء والأرض ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تحكمون هذا الحكم الضال وكأن أمر الحساب والجزاء عندكم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: هل لكم كتاب تجدون فيه

حكما يجعل المسلم كالمجرم ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: لكم في ذلك الكتاب ما تختارونه من الأحكام.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾

أي: هل أعطيناكم عهودا ومواثيق بأنه سيكون لكم يوم القيامة ما تشتهون ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: اسألهم يا نبينا محمداً من هو الذي ضمن لهم هذا ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ من الأوثان ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المؤمنين لا يتساوون بأي حال مع المجرمين كما قال تعالى ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[2].

تقرير حجج المشركين والكافرين يوم القيامة، وأن ادعاءهم وأعذارهم لا تغني عنهم من الله شيئاً.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۝

(١) سورة ص الآية ٢٨ .

(٢) سورة الحشر الآية ٢٠ .

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

بيان ذلك أن رسول الله ﷺ قال: **إذا كان يوم القيامة مُثِّلَ لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إن لنا ربّاً كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر (أي قرونها) فينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون وذلك قوله تعالى** ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(١). ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلة منكسرة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم ذلة؛ بسبب إجرامهم وتكبرهم ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي: كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا وهم أقوياء في أبدانهم ولكنهم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٤ ص٤١-٤٢ .

لم يفعلوا تكبرا منهم عن عبادة الله وطاعته ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: دعني ومن يكذب بالقرآن فإني سأمهله ثم آخذه وأعاقبه أشد العقاب ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أي: أمهلهم وازين لهم الدنيا وأغدق عليهم النعم كيدا لهم بسبب تكبرهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: عظيم شديد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: أتريد منهم أجرا على إبلاغك دين الله لهم، مع أنك لن تسأل ذلك ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: يضجرون ويتبرمون من طلب أي مال يطلب منهم ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: هل يأتيهم الوحي بهذا القول الذي يقولونه ؟ وهذا سؤال استنكاري، والجواب بالنفي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة للمؤمنين الذين آمنوا به في الدنيا، وهم لم يروه ولكنهم عرفوه بقلوبهم وإيمانهم وبما جاءتهم به رسلهم، وعندما يرون نوره يخرون له سجدا إجلالا لعظمته، وعندما يراهم الكافرون على تلك الحال يحاولون أن يفعلوا مثلهم وقد خشعت أبصارهم وأرهقتهم الذلة فلا يستطيعون وذلك عقوبة لهم على عدم سجودهم له في الدنيا.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ

فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما ندد الله بما فعله المكذبون لرسوله من كفار قريش أمره أن يصبر على أذاهم، ولا يكن مثل صاحب الحوت يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا لقومه كما قال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ حيث كان من أمره -كما سبق ذكره في سورة الأنبياء- ركوب البحر ودخوله في جوف الحوت وذهابه به في ظلمات البحر وسماعه تسبيح البحر ومن فيه لله الواحد القهار فعندئذٍ نادى في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لولا مناداته لله وهو في ظلمات البحر وتوبته عليه لطرح من بطن الحوت في أرض تهلكه ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: اصطفاه بعودة الوحي إليه مرة ثانية وجعله من عباده الصالحين ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: وإن يكاد المشركون ليحسدونك بغضا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٨ ص٢٥٤ - ٢٥٥. سورة الأنبياء من الآية ٨٧.

وعداوة لك إذا سمعوك تتلو القرآن؛ ذلك أنه من شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ أرادوا أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثل حججه وكان الحسد بالعين شائعا عند نفر من العرب وقيل: إن أحدهم يمكث لا يأكل شيئا يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيعاينها فما تلبث إلا قليلا حتى يسقط شيء منها، فسأل المشركون أن يصيب لهم رسول الله ﷺ بالعين فأجابهم فلما مر رسول الله ﷺ أنشد:

قد كان قومك يحسبونك سيدا وإخال أنك سيد مَعيُون

فعصم الله رسوله ﷺ ونزلت هذه الآية [١].

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يتهمونك وهم كاذبون، لكي يبعدوا الناس عن سماع القرآن والدخول في دين الله ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: ما القرآن أو محمد إلا ذكر للعالمين يهتدون به فتشملهم رحمة ربهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الصبر حين الدعوة إلى الله، وفي الصبر فضل كبير كما قال عز وجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢]. وقوله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٩٣-٦٩٤، والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٥٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

خُسۡرٍ ﴾[١] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[٢]. ومن الأحكام: أن العين تصيب المعيون وذلك بأمر الله عز وجل وفي ذلك حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا رقية إلا من عين أو حمة**)[٣]. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا**)[٤]. وعنه أيضا: أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين ويقول: (**إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**)[٥]. تقرير: كذب المشركين والكفار في اتهامهم لرسول الله ﷺ والتوكيد بأن القرآن ومحمداً كليهما حق، فالقرآن كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومحمد ﷺ رسول من رب العالمين إلى الثقلين الجن والإنس.

---

(١) سورة العصر الآية ٢ .

(٢) سورة العصر الآية ٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، برقم (٥٧٠٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص١٦٣ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، برقم (٢١٨٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٨٧٩ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (١٠)، برقم (٣٣٧١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٧٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحاقة

مكية وآياتها ثنتان وخمسون آية

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ المراد القيامة؛ لأن الحقوق تُحَقُّ فيها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تعظيما لشأنها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ أي: كذبت ثمود وهم قوم صالح، وعاد وهم قوم هود بالقارعة وهي القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بالخوف والهلع ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ أي: بالصيحة المهلكة التي نزلت بهم فأهلكتهم ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟

بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ أي: أهلكوا بريح باردة شديدة ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أي: أرسلها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتاليات ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ أي: ترى يا محمد القوم بعد أن تتابعت عليهم هذه الريح قد ألقوا على الأرض كأنهم جذوع نخل ساقطة على الأرض ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ أي: لم يبق لهم باقية، بل بادوا عن آخرهم ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ ﴾ أي: من الأمم السابقة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ ﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ أي: بالمعاصي الجسيمة ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أن تلك الأمم كذبت رسل الله إليها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ أي: أخذهم أخذة شديدة؛ بسبب عصيانهم وتكذيبهم لرسلهم ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ أي: الطوفان الذي أغرق الله به قوم نوح ونجَّاه ومن كان معه من المؤمنين في السفينة ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ أي: حملنا آباءكم في السفينة، ومعنى آبائكم أن الذين نجوا مع نوح هم آباء البشر ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ أي: أبقينا السفينة عظة وعبرة لكم ﴿وَتَعِيَهَآ ﴾ أي: لتحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ سامعة.

أحكام ومسائل الآيات:

التوكيد على القيامة وتعظيم شأنها، وأن ثمود قوم صالح وعادا قوم هود كذبوا بها فأهلكهم الله بالصيحة وبالريح العاتية، وكانت

ثمود تسكن في الحِجر بين الحجاز والشام، وأما عاد فكانت تسكن في الأحقاف الواقعة بين عمان وحضرموت، وقد دمرت مساكنهم جميعا -كما سبق ذكره- فلم يبق إلا آثار جعلها الله عبرة لمن يعتبر من الطغاة. تقرير: أن من عصى رسل الله كان مصيره الهلاك كحال ثمود وعاد وقوم نوح الذين أهلكهم الله بالطوفان، وأن الله نجى من الطوفان نوحا، ومن كان معه في السفينة فكان من بقي من قوم نوح آباء الجنس البشري، فلو لم ينجهم الله لكان هذا الجنس قد انتهى من الأرض.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ (١٣) وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ (١٤) فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ (١٥) وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ (١٦) وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ (١٧) يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ (١٨)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ لا يزال الحديث عن أهوال يوم القيامة، وقد بيّن الله مقدماتها وهي نفخ إسرافيل في القرن النفخة الأولى ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: رفعتا وانتقلتا من محلهما، وتحركتا فتفتتت من شدة عظم الهول ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾

أي: تصدعت السماء من الهول فهي آنذاك ضعيفة ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي: الملائكة يقفون على أطرافها ينظرون إلى أهل الأرض وهم يتجهون قياما إلى ربهم ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل عرش الرحمن ثمانية من الملائكة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: بعد قيام القيامة تعرضون أيها الخلائق على ربكم، لا يخفى عليه من أعمالكم خافية.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان ما تؤول إليه الأرض والسماء عند قيام الساعة ويتغير الكون كله كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[١]. ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾[٢]. وقوله ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[٣]. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٤]. ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[٥]. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٦]. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٧]. تقرير: أن مصير الناس بعد قيام الساعة هو العرض على الله للحساب والجزاء كما قال تعالى ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾[٨].

---

(١) سورة الطور الآية ٩ .
(٢) سورة الطور الآية ١٠ .
(٣) سورة الانشقاق الآية ١ .
(٤) سورة الانشقاق الآية ٢ .
(٥) سورة الانشقاق الآية ٣ .
(٦) سورة الانشقاق الآية ٤ .
(٧) سورة الانشقاق الآية ٥ .
(٨) سورة الكهف من الآية ٤٨ .

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي: من أعطاه الله كتابه بيمينه فهو دليل نجاته فيقول ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ يقول ذلك فرحا بأن الله أعطاه كتابه بيمينه فنجاه من العذاب ثم يقول ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: أيقنت ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: كنت مقرا ومعترفا بوقوع هذا اليوم، وكنت أخاف الله أملاً في رحمته وخوفا من عذابه. ثم بيّن الله حاله في قوله تعالى ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: يعيش عيشة الرضا وهي ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: جنة عظيمة خالدة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي: ثمارها قريبة لأهلها، ويقال لأهلها ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔا﴾ أي: لا كدر ولا هم لكم وذلك جزاء ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: جزاء ما قدمتم من الأعمال الصالحة في حياتكم الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذين يؤمنون بالدار الآخرة ويعملون لها يعطون كتبهم

بأيمانهم فيفرحون بها ويكون مآلهم إلى الجنة خالدين مخلدين فيها ويحمدون الله على أنهم عملوا في طاعته وأيقنوا بأنه سوف يحاسبهم فعملوا ليوم الحساب.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ لما ذكر الله حال الذي يعطى كتابه بيمينه، ذكر حال الذي يعطى كتابه بشماله فيقول ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ أي: يتمنى أنه لم يعط كتابه، كما يتمنى أنه لم يعرف حسابه من هول وعظم ما يرى ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: يتمنى أن موته في الدنيا كان موتا أبديا لم يبعث بعده ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ أي: ما أغنى عني مالي في الدنيا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي: ذهبت حجتي فليس لدي ما أقوله وأعتذر به في هذا اليوم.

ثم يقول الله تعالى للزبانية ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي: أوثقوه في الأغلال وصفدوه فيها ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: أدخلوه في الجحيم ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ أي: يسلك في سلسلة طويلة من الحديد ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: لم يكن مؤمنا بالله ولا مصدقا به ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: كان يمنع الطعام عن مستحقيه؛ بسبب شدة بخله وحبه للمال ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: ليس له في ذلك اليوم صديق أو ولي أو قريب ينفعه أو يشفع له ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ أي: ليس له طعام يطعمه إلا ما يسيل من أهل النار ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ أي: المشركون وكل من يتعدى الحق إلى الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ندم من يعطى كتابه بشماله على تفريطه في الدنيا وإقراره بأن المال الذي جمعه لا ينفعه. تقرير: أن أحداً لا ينفع الكفرة يوم القيامة، لا أولادهم ولا أقاربهم ولا أصنامهم، وإنما توفى لهم أعمالهم ويجزون عليها بالعدل. ومن الأحكام: أن من لا يؤمن بالله يكون من أصحاب الجحيم. ومنها: أن من يمنع حق الله فيما أوجبه من الفرائض والطاعات ويمنع حق العباد فيما أوجب الله لهم من الزكاة يعد من أهل الجحيم.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ هذه الآية نزلت لما قال الوليد بن المغيرة: إن محمدا ساحر، وقال أبو جهل: بل إنه شاعر وقال غيره: إنه كاهن[1] فأقسم الله بكل مخلوقاته ما يرونه منها وما لا يرونه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ أي: قول تلاه رسول الله بعد أن نزل به عليه جبريل ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ كما تقولون كذبا لأنه ليس من جنس الشعر ولا من صنوفه ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ أي: ما أقل إيمانكم؛ بسبب جهلكم وغلبة أهوائكم عليكم ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ﴾ أي: وليس القرآن بقول كاهن؛ لأنه حكم بكفر الشياطين فلا ينالونه بشيء ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: ما أقل ما تذكرون ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: أن القرآن تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على نبي الله ورسوله محمد الأمين.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله يقسم بما يشاء من مخلوقاته ولا يجوز لأحد أن

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٣٩٥، والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٧٤ .

يقسم بغيره. ومن الأحكام: أن القرآن كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على نبي الله ورسوله الأمين، وهذا يقتضي بطلان دعاوى المشركين وكذبهم وفجورهم واتهامهم لرسول الله ﷺ بأنه وضع القرآن، بينما هم يعلمون أنه الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ. ومنها: الحكم بنفي الشعر والكهانة عن القرآن وتكذيب من قال ذلك من أعداء دين الله.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ أي: لو أن محمدا افترى فزاد في الرسالة أو نقص منها خلافا لما أرسلناه إليه ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: لانتقمنا منه باليمين ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ أي: قطعنا منه عرق القلب ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي: لا أحد منكم حينئذ يمنع الهلاك عنه ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إن القرآن تذكرة وعظة للمتقين الذين يخشون ربهم ويخافون عقابه ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ أي: نعلم أن منكم من يكذب بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي:

التكذيب ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: ندامة على الكافرين يوم القيامة حين يلاقون سوء أعمالهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: إنه القول الحق الذي لا شك ولا ريب فيه ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: نزِّه وقدِّس وعظِّم الذي أنزل هذا القرآن الذي جعله هدى وبشرى للمتقين.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن رسول الله ﷺ لا يمكن أن يتقول على الله فقد نزهه وطهره من الكذب؛ لأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مؤمنون بالله حق الإيمان، وقد علم الله ما في قلوبهم فنجاهم من الكذب والمؤمنون لا يكذبون سواء فيما بينهم وبين الله، أو بينهم وبين خلقه فلا يفتري الكذب إلا الذين لا يؤمنون كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1]. ومن الأحكام: أن القرآن عظة وعبرة للمتقين وحسرة على الكافرين حين يرون أصحاب القرآن يفوزون بالجنة يوم القيامة وهم ينظرون إليهم في أشد الحسرة والندامة كما قال تعالى ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[2]. ومنها: الأمر بتسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن الأنداد.

(١) سورة النحل الآية ١٠٥ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٥٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المعارج

مكية وآياتها أربع وأربعون آية

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فصار في سؤاله عذابه يوم بدر حيث قتل صبرا[1].

وقيل: إنها نزلت في الحارث بن النعمان الفهري فلما بلغه قول رسول الله ﷺ في علي رضي الله عنه: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)** جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: لقد فضلت ابن عمك علينا، أفهذا شيء منك أم من الله فقال رسول الله ﷺ: **(والله الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله)** فولى الحارث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٩٧، والآية في سورة الأنفال الآية ٣٢ .

حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على رأسه فقتله فنزلت هذه الآية[١].

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ أي: إذا وقع العذاب على الكافر فليس له مانع بل لا محالة في وقوعه من الله ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: رب السموات ذي العلو العالي والدرجات العظيمة ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي: تصعد إليه الملائكة ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: يكون صعودها في يوم مقداره في السير العادي خمسين ألف سنة، وهذا من دلائل عظمة الله وقدرته في تدبير هذا الكون وتصريفه. قوله ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: اصبر يا محمد على ما تلقاه من الأذى من قومك، فلا تجزع ولا تهن فإن الله ناصرك ومعينك على دعوتك، وهذا كان في بداية الدعوة وقبل الأمر بالقتال ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ أي: يرى المشركون العذاب بعيدا لأنهم يكفرون بالبعث ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ أي: نراه آتياً لهم لا محالة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في سؤالهم العذاب، فلو سألوا الله الهداية والرحمة لكان خيرا لهم، ولكنه الضلال والعياذ بالله. ومن هذه الأحكام: الأمر بالصبر، سواء في الدعوة إلى الله أو في كل أمر

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٧٨ .

ينزل بالمسلم من المصائب وغيرها. تقرير: واقعة القيامة في الزمن الذي حدده الله ولا يعلمه إلا هو.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: إن العذاب واقع بالكافرين يوم تذوب السماء كذوبان الرصاص أو النحاس ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: تتفتت الجبال وتكون مثل الصوف المصبوغ الذي تلعب به الريح ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: لا يسأل القريب قريبه بل كل منشغل في نفسه ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ﴾ وعدم سؤال القريب قريبه ليس نتيجة عدم معرفته له، بل إنه يبصره ويعرفه ثم يفرّ منه لأن ما يراه من هول ذلك اليوم يشغله عن كل شيء ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ أي: يتمنى المجرم مرتكب المحرمات أن يفتدي نفسه من عذاب ذلك اليوم ببنيه الذكور ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ أي: زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾ أي: عشيرته ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: يود أن كل من في الأرض يفتديه ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ من عذاب ذلك اليوم لما يراه من هوله وعظمه وشدته.

﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يقبل منه فداء في ذلك اليوم لا من قريب ولا من غيره، وإنما توفى له أعماله ويجازى عليها ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ أي: جهنم شديدة الحرارة ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ أي: تنزع وجوه المجرمين وجلود رؤوسهم ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: تدعو النار سكانها الذين عملوا لها في الدنيا بارتكابهم لمحارم الله واتباعهم لأهوائهم وتكذيبهم لآيات الله وتولوا وأعرضوا عما جاءهم من الهدى ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ كما تدعو صاحب المال الذي جمعه فأوعاه أي: أمسكه في وعائه وبخل به فلم ينفق منه في زكاة ولا صدقة ولا بر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير هول يوم القيامة وتغير الكون فتكون السماء مثل الرصاص المذاب، وتكون الجبال كالصوف الذي تتطاير به الرياح. تقرير: أن أحداً لا ينفع أحدا يوم القيامة مهما كانت قرابته منه كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ

ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[٢].

تقرير: الوعيد للذين يعرضون عن سبيل الله ويتولون عنه ويجمعون المال ويمسكونه فلا يزكونه ولا يتصدقون منه ولا يبرون به قريبا أو فقيرا أو مسكينا.

﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ هذا بيان من الله عز وجل عن

(١) سورة لقمان الآية ٣٣ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠١ .

طبيعة الإنسان وأنه خلق هلوعا أي: شديد الحرص ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: كثير الجزع والأسى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ هذا صفة للذي يملك المال ويمنع حق الله منه كالزكاة ثم استثنى الله من هذا الوصف أناسا؛ بسبب فعلهم فقال تعالى ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين يؤدون الصلاة المكتوبة في أوقاتها ويقيمون أركانها ويوفون بشروطها ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ أي: يحافظون عليها في أوقاتها ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ المراد به الزكاة المفروضة ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ أي: أصحاب الحاجات ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يقرون ويؤمنون بوقوع يوم القيامة والجزاء والحساب ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي: يخافون من عذاب ربهم فيجتنبون محارمه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: غير مأمون لمن أشرك به أو ضيع حدوده أو كذب آياته أو رسوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ أي: يمنعونها عن المحرمات ولا يأتون إلا ما أحل الله لهم كما قال عز وجل ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ فهؤلاء حلال لهم ولا يلامون على إتيانهم.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي: من ابتغى غير زوجته وإمائه فهو ظالم متعد لحدود الله مخالف لأوامره ﴿وَٱلَّذِينَ

هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ أي: إذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا وفوا ولم يغدروا ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ولا يتقدمون بها إذا لم يسألوا عنها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يحافظون على أدائها في أوقاتها كما تقدم. ثم بيَّن عز وجل حال هؤلاء المتصفين بهذه الصفات العظيمة فقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: يكرمون عند ربهم في جنات النعيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الهلع والجزع ومنع الفضل من أسوأ الأوصاف في الإنسان فما تكون هاتان الصفتان في إنسان إلا لنقص إيمانه؛ لأن المؤمن يُسلِّم أمره إلى الله فلا يحرص على جمع الدنيا ولا يجزع من فواتها كما قال عز وجل ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1]. ولأن ما فات قد يكون في فواته مصلحة كبرى للإنسان، كما أن الفرح بالدنيا قد يكون فيه ضرر له، فقد استثنى الله من هذه الصفات المؤدين لصلاتهم، والمزكين لأموالهم، والمؤمنين بالبعث، والمشفقين من عذاب ربهم والحافظين لفروجهم إلا على أزواجهم وإمائهم والمؤدين لأماناتهم وعهودهم والقائمين بشهاداتهم، والمحافظين على صلاتهم.

(١) سورة الحديد من الآية ٢٣ .

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: مصوبي النظر إليك مسرعين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: عن يمينك وشمالك جالسين جماعات جماعات ويشاهدون آيات الله تتلى ومع ذلك لا يؤمنون بما تقول ولا يصدقون ما يسمعون وقد نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ويسمعون كلامه، ولكنهم لا يؤمنون به ولا يصدقون ما يقوله[1] ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كان هؤلاء المنافقون الذين يحضرون مجلس رسول الله ﷺ يستهزئون بالمؤمنين الذين كانوا يجلسون كذلك معه عليه الصلاة والسلام ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٩٣ .

ولئن أعطوا منها شيئا لنعطين أكثر منه ﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلونها ثم قال عز وجل ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنهم يعرفون أنهم مخلوقون من نطفة صغيرة وأنهم أضعف ما يكونون ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ هذا قسم من الله بذاته العلية رب السموات والأرض ورب الكون كله في مشرقه ومغربه وسائر جهاته ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: قادرون على أن نذهب بهم ونأتي بخلق آخر خير منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لسنا بعاجزين عن فعل ذلك ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: اتركهم يلهون في باطلهم وفي دنياهم ومتعهم الدنيوية، وسوف يلاقون ما وعدوا به، أما أنت فلا تلتفت إليهم وامض إلى ما أمرك الله به وسيكون معينك وناصرك. وقيل: إن هذه الآية نزلت أيام دعوة رسول الله ﷺ لقومه وقبل أن يؤمر بالقتال[1].

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ أي: يوم يخرجون من القبور وهم مسرعون بعد سماعهم صيحة إسرافيل ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ أي: كأنهم يذهبون إلى عَلَم أو راية مسرعين أو يكون المعنى كأن إسراعهم إلى إجابة الداعي مثل إسراعهم في الدنيا إلى الأصنام، كل منهم يريد أن يستلمه أولا ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: خاضعة

---

(١) تفسير البغوي ص١٣٤٩ .

من هول ما يرون ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ﴾ أي: يغشاهم الذل والهوان جزاء استكبارهم واستهزائهم في الدنيا بآيات الله ورسوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون به ويحذرون منه، وكانوا يكذبون به ويستهزئون عند سماعه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حال المنافقين والمشركين مع رسول الله ﷺ حين كان يدعوهم إلى الله فيجلسون معه، ولكنهم لم يكونوا يؤمنون بما يقول بل كانوا يستهزئون به. تذكير المشركين والمنافقين أنهم خلقوا مما يعلمونه وهي النطفة الصغيرة كما قال تعالى ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[(١)]. ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾[(٢)]. ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[(٣)]. تقرير: قدرة الله عز وجل بأنه يذهب الكافرين ويبدلهم بمؤمنين يطيعونه كما قال تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[(٤)]. تقرير: أن الكافرين يأتون يوم القيامة يغشاهم الذل والهوان ويقال لهم: هذا اليوم الذي كنتم به تكذبون.

---

(١) سورة الطارق الآية ٥ .

(٢) سورة الطارق الآية ٦ .

(٣) سورة الطارق الآية ٧ .

(٤) سورة محمد من الآية ٣٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة نوح

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ نوح هو: أول رسول أرسل إلى الخلق وفي زمنه أغرق الله أهل الأرض جميعا فلم يبق منهم إلا من كان معه في السفينة من المؤمنين فهم آباء الناس كلهم. ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: أدعهم إلى توحيد الله وطاعته وخوفهم من عذابه إذا لم يؤمنوا كما قال تعالى ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو الطوفان أو عذاب الآخرة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: محذر لكم وموضح لكم ما يجب عليكم من عبادة الله وتقواه وطاعتي فيما آمركم به؛ لأني رسول الله إليكم وذلك فيما حكى الله عنه بقوله تعالى ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ قوله ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يغفر لكم من

خطاياكم وسيئاتكم ما مناطه منها حق الله، أما حقوق الآدميين فلها شأن آخر هو التسامح أو القصاص من الأعمال ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: يبارك في أعماركم ويؤخر عنكم العقوبة، فإن لم تؤمنوا عاجلكم بها ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: إذا أمر الله بعقابكم فلا رادّ لأمره فعليكم بالتوبة قبل فوات الأوان.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب توحيد الله وطاعته، وهذه كل دعوات الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ. ومن الأحكام: أن عبادة الله وتقواه وطاعته سبب في مغفرة الذنوب، وأن الآجال التي قدرها الله لا تتقدم ولا تتأخر بل تنفذ في أوقاتها التي كتبها الله في كتاب المقادير.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ

سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ يبيِّن الله تعالى معاناة نوح مع قومه حين توجه إلى ربه قائلا بأنه دعا قومه ليلا ونهارا وسرا وجهرا إلى توحيده وطاعته ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: ما زادتهم دعوتي لهم إلا تباعدا عن الحق ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى سبيل الهدى ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذنوبهم وخطاياهم ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا دعوتي لهم ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: كلما دعوتهم غطوا وجوههم بثيابهم تنكرا لي وابتعادا عني ﴿وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ أي: أصروا على المعاصي وتكبروا علي وعلى المؤمنين معي وقالوا ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[1]. ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: بينت لهم الحق وجاهرتهم به ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: لم أترك وسيلة إلا فعلتها، فقد دعوتهم علانية على رؤوس الأشهاد، وأسررت لهم فيما بيني وبينهم فلم أجد منهم إلا الإصرار على ارتكاب المعاصي ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟

---

(١) سورة الشعراء الآية ١١١ .

رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾ أي: قلت لهم اسألوا ربكم غفران ذنوبكم وخطاياكم إنه يغفر ذنوب المذنبين ويتوب على التائبين ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾ أي: إذا استغفرتموه أرسل إليكم المطر مدرارا أي: متتابعا وغزيرا ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه من ذنوبكم أنعم عليكم بكثرة الأموال والبنين، وأنزل عليكم المطر المتتابع فيكون لكم بذلك جنات تنبت لكم الزروع والثمار ويجعل لكم أنهارا تسقي جنانكم.

ولما دعاهم ورغَّبهم في عفو الله ومغفرته إذا تابوا بدأ يعظهم ويخوفهم عذاب الله إذا لم يتوبوا ويطيعوا فقال ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴾ أي: مالكم لا تخافون عظمة الله وقدرته في إهلاككم ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾ أي: هو الذي جعل خلقكم طورا بعد طور من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة إلى كمال خلقكم ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾ أي: ألم تروا بأعينكم كيف خلق الله السموات التي تظللكم وتحميكم؟ أليس الذي خلق هذه السموات أحق بالعبادة من الأصنام التي لا تنفعكم ولا تضركم؟ ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا ﴾ ترونه بأعينكم وتهتدون بنوره في الظلمات وتعرفون به حساب أيامكم ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾ ألم تروا كذلك هذه الشمس التي جعلها الله لكم ضياءً في النهار لكسب معايشكم وأرزاقكم ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي: هو الذي خلق أباكم آدم من طين الأرض ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: حينما تموتون تعودون إلى الأرض التي خلقتم منها ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يبعثكم منها لتقوموا إلى ربكم ليحاسبكم ويجازيكم على أفعالكم ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي: جعلها مبسوطة سهلة لكم للسير عليها ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ أي: لتسيروا في طرقها الواسعة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من الناس من يكره الدعوة إلى الله ويصر على ارتكاب المعاصي؛ بسبب سيطرة الشيطان عليه، ومن ذلك: قوم نوح في استكبارهم وعتوِّهم، فإنهم استمرؤوا المعصية بعد أن عكفوا على عبادة الأصنام رغم جهود نبيهم نوح عليه السلام ومكثه فيهم سنين طويلة حتى أيس منهم ودعا عليهم. تقرير: أن الاستغفار سبب في نزول المطر فقد شكا رجل إلى الحسن الجدب فقال: استغفِر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفِر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدا فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفِر الله. فلما قيل له في ذلك قال: ما قلت من عندي شيئاً إن الله تعالى يقول في سورة نوح ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل

﴿لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[1]. والاستغفار يجب أن يكون مصحوبا بالتوبة الصادقة والإخلاص في العمل والإقلاع عن المعاصي.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ لما مكث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة شكا إلى ربه جفاء قومه، وإعراضهم عن الحق، وعصيانهم له، واتباعهم لرؤسائهم وأغنياءهم الذين أضلوهم ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي: مكروا مكرا عظيما ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ أي: قال لهم كبراؤهم وأغنياؤهم: لا تتركوا آلهتكم وتتبعوا نوحا، وهذه الآلهة (ود) و(سواع) و(يغوث) و(يعوق) و(نسر) وقيل: إن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا سموها بأسمائهم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٣٠٢ .

ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت[١]. ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ أي: أضل الكبراء والأغنياء أتباعهم فلم يستجيبوا لدعوته عليه السلام ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ هذا دعاء عليهم والمراد لا تزدهم إلا خسرانا.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب لجوء العبد إلى الله والشكوى إليه إذا أعجزته الأسباب وأعيته الحيل في التغلب على أمر من أموره الدينية أو الدنيوية كما قال يعقوب في فراق ابنه يوسف عليهما السلام ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢] أما الشكوى إلى غير الله فلا تجوز فيما لا يقدر عليه إلا الله. تقرير: أن عامة الناس وجهلتهم وضعفاءهم يتبعون أصحاب السِّيادة والزعامة فيهم دون التفكير في شرعية اتباعهم. إباحة الدعاء على الظلمة: إذا تسلطوا وتمادوا في طغيانهم وأباطيلهم وانقطع الأمل من رجوعهم إلى الحق.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٤ ص٩٩، والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٣٠٧-٣٠٨.

(٢) سورة يوسف من الآية ٨٦.

لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ أي: بسبب خطاياهم وكفرهم أغرقهم الله بالطوفان فماتوا عن آخرهم ولم ينج منهم إلا نوح ومن كان معه من المؤمنين في السفينة ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ أي: ألحقوا بالنار بعد إغراقهم فكانت لهم عقوبتان في الدنيا والآخرة ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي: بسبب كفرهم بالله وعصيانهم لرسوله أغرقوا وعذبوا فلم يجدوا من ينفعهم أو يدفع عنهم العذاب ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: لا تُبقِ منهم على وجه الأرض ديارا أي: أحداً وهو من يسكن الدار قال هذا نوح عليه السلام لما يئس من هداية قومه. وقيل: إن سبب دعائه أن الله أوحى إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾...[1] [2]. وقد استجاب الله دعوته فأغرق الكافرين من قومه ومعهم ابنه؛ لأنه كان معهم في كفرهم وقال لأبيه ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[3].

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي: إن

---

(١) سورة هود من الآية ٣٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٣٠٢ .

(٣) سورة هود من الآية ٤٣ .

أبقيتهم فسوف يضلون من يأتي بعدهم من أصلابهم ولن يخلفوا إلا فاجرا مثلهم ثم قال ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ دعا لنفسه أولا ولوالديه ثانيا؛ لأنهما كانا صالحين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ أي: اغفر لي ولمن دخل بيتي وهو مؤمن بالله مصدق لرسالته ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: اغفر لكل المؤمنين والمؤمنات في الأرض إلى أن تقوم الساعة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ أي: لا تزد كل ظالم إلا هلاكا وخسرانا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذنوب والخطايا موجبة للهلاك والخسران في الدنيا والآخرة. ومن الأحكام: جواز الدعاء على الظلمة والطغاة إذا علم عدم هدايتهم ولا يجوز الدعاء على كافر بعينه؛ لأن خاتمته لم تعلم بعد والأعمال بالخواتيم وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**)[١].

ومن هذه الأحكام: استحباب الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والميتين كما فعل نوح عليه السلام، وذلك بعد أن يدعو الإنسان لنفسه ولوالديه وأقاربه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٥٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للناس: إن نفراً من الجن قد استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن، وقد ذكر من قبل أنه قد حيل بين الشياطين وخبر السماء حيث سلط الله عليهم الشهب التي ترميهم إذا حاولوا الاقتراب منها فتداولت الشياطين هذا الحدث وقالوا: ربما أن أمرا قد حدث فذهبوا يبحثون شرقا وغربا يتساءلون عن هذا الأمر، فتوجهت طائفة منهم نحو تهامة، فوجدوا رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه

فاستمعوا إلى قراءته فرجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ فنزلت هذه السورة[1] والمراد لقد سمعنا قرآنا يعجب من يسمعه حيث يختلف عن كلام الإنس لقوته وفصاحته وحلاوته، وأن هذا القرآن يدل إلى الهدى والرشاد وقد آمنا به وصدقناه ونحن من الآن لن نشرك بالله شيئا بل سنكون موحدين طائعين له عاصين لإبليس وجنوده ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: علا جلاله وعظمته وسلطانه ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ فهو الواحد الأحد المنزه عن الزوج والنسل ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا﴾ المراد بسفيههم إبليس ومن يتبعه منهم وأن ما يقوله جور وزور وباطل ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ أي: اعتقدنا أن الإنس والجن لا يكذبون فصدقناهم حين قالوا: إن لله صاحبة وولدا، فلما سمعنا القرآن وما جاء به من الهدى رأينا أنهم يكذبون وينسبون إلى الله الكذب فنحن نتبرأ من قولهم ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ لما آمن هؤلاء أخبروا بما كان يجري من الإنس من الاستعاذة بهم، فكان الواحد من العرب إذا نزل منزلا أو واديا قال: أعوذ بسيد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٠١، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ برقم (٤٩٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٣٧ .

هناك بعض الاختلاف في رواية ابن هشام في السيرة النبوية ورواية الإمام البخاري حول الزمن الذي استمع فيه جن نصيبين لقراءة رسول الله ﷺ هل كان أثناء رجوعه من الطائف بعد دعوة ثقيف أم كان ذلك أثناء ذهابه إلى سوق عكاظ.

هذا الوادي، فلما رأت الجن أنهم يتعوذون بهم ويخافون منهم زادوهم رهقا أي: خوفا وجرأة عليهم ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا من قول الله إشارة لمشركي قريش أن الجن ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله رسولا يدعو الناس إلى توحيد الله ويقيم عليهم الحجة، وفي هذا تعريض بالمشركين في مكة أن الجن آمنوا لما سمعوا القرآن مرة واحدة بينما أنتم تسمعون القرآن سنوات، ومع ذلك لم يؤثر فيكم فمؤمنو الجن خير منكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة القرآن وتأثيره في نفوس المهتدين، فلما سمعته الجن آمنوا به مع أنهم لم يسمعوه إلا مرة واحدة حين كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر بأصحابه في وادي نخلة بين مكة والطائف. ومن الأحكام: أن القرآن يهدي إلى الرشاد وإلى الفوز في الدنيا والآخرة كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]. ومنها: الحكم بتحريم الشرك كما قال عز ذكره ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2]. ومنها: تنزيه الله عن الصاحبة والولد. تقرير: أن الإنس كانوا يستعيذون برؤساء الجن إذا نزلوا منزلا؛ لكي

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٢) سورة النساء من الآية ٤٨ .

يمنعوا عنهم أذى قومهم، وقد أدى هذا إلى استطالة أذى الجن عليهم وإرهاقهم بالخوف. تقرير: أن الجن كانوا يظنون مثل الإنس أن الله لن يبعث رسولا، فلما بعث الله محمدا ﷺ آمن به قوم منهم وكفر به آخرون كما هو حال الإنس.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي قالت الجن: لقد حاولنا الاقتراب من السماء للحصول على خبرها كما كنا نفعل من قبل ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ أي: قد ملئت بالملائكة يحرسونها وملئت كذلك بالشهب التي تنقض علينا لتحرقنا ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ﴾ أي: كنا فيما مضى نقعد من السماء مقاعد لكي نسمع الأخبار من الملائكة؛ لكي نلقيها بعد ذلك إلى الكهان ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: من يحاول الآن يواجه بشهاب يرصده لكي يحرقه ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هل

أريد بهذا الحرس الذي أصبح يحرس السماء شر لأهل الأرض ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أم أراد الله بهذا الحرس خيرا لأهل الأرض.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة استماع الجن لأخبار السماء حين تنزل بها الملائكة وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ فلم تكن السماء تحرس قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام إلا أن يكون أمر عظيم كوجود نبي أو دين لله، فلما بعث الله محمدا رجموا بالشهب فلم يكن لهم بعد ذلك مجال للاستماع، وهذا من رحمة الله بعباده ومن بركة رسوله محمد ﷺ على الخلق أجمعين.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: منا من هو مؤمن مستقيم متبع للحق والهدى ومنا من هو دون ذلك في إيمانه ﴿كُنَّا

طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: كنا فرقا مختلفة ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي: علمنا وأيقنَّا أننا لن نعجز الله ولن نفوت منه بهرب أو غيره فهو قادر علينا ونحن في قبضته وتدبيره وتصرفه والظن الذي أشاروا إليه يراد به العلم والجزم ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: لما سمعنا القرآن آمنا به وصدقنا محمدا الذي أنزل عليه ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾ أي: من وقر الإيمان في قلبه فلا يخشى أن ينقص من ثوابه، ولا يخشى من هوان أو ذلٍ يرهقه ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾ أي: لما سمعنا القرآن أصبح منا مسلم، ومنا قاسط أي: مائل عن الحق وهذا خلاف المقسط الذي يميل عن الباطل إلى الحق ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾ أي: من أسلم منا فقد اهتدوا إلى الخير والفلاح ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾ أي: الذين مالوا عن الحق واتبعوا الباطل ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ أي: وقودا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من الجن من هو مؤمن، ومنهم: من هو خلافه وأنهم أصحاب طرق مختلفة. وأن منهم أصحاب عدل؛ بسبب إيمانهم ومنهم: أصحاب جور وظلم؛ بسبب كفرهم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية إن قريشا أصيبت بالقحط سبع سنين فقال الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ مخاطبا له: أنهم لو استقاموا على توحيد الله وطاعته وتركوا الشرك ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1] أي: أنزلنا عليهم المطر الكثير وأوسعنا عليهم الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ أي: لنختبرهم في ذلك أيشكرون بهذه النعمة أم يكفرون بها ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ أي: من يتولَّ عن القرآن أو يكفر بنعم الله ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: ندخله عذابا شديدا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن القوة في الدنيا بمضامينها الاقتصادية والسياسية وسائر وجوهها لا تتحقق لأمة أو قوم إلا إذا استقاموا على المنهج الذي وضعه الله لعباده ورسمه لهم في كتابه وفي سنة رسوله محمد ﷺ. تقرير: أن الماء مصدر القوة في الحياة الدنيا، فمن يملك الماء يملك المال، ومن يملك المال يملك القوة، ومن يملك القوة يبسط نفوذه في الأرض فيكون ذلك اختبارا لأصحابها، فإن

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٤٣١ .

شكروا دامت قوتهم ونفوذهم، وإن طغوا بالقوة سلط الله عليهم أنفسهم فأفسدوا قوتهم وأفسدوا أنفسهم ثم حق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً إن المساجد لله؛ لأنها بيوت لعبادته ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا تدعو معه غيره فيها ولا في غيرها كما كان المشركون يفعلون وهم في المسجد الحرام، وكما كانت اليهود والنصارى يشركون بالله إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ المراد رسول الله ﷺ حين كان يصلي في وادي نخلة ويدعو الله ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي: كاد الجن يتراكمون عليه من ازدحامهم حبا في سماعهم القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ لما قالت قريش: إنك يا محمد قد أتيت بأمر

عظيم، وقد عاديت الناس فارجع عما أنت فيه أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يقول لهم ﴿إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي﴾ أي: أوحده ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ أي: لا أدعو معه غيره ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ أي: قل لقومك: إني لا أملك دفع الضر عنكم ولا أهديكم إلى سبيل الرشد إنما أنا مبلغ لكم رسالة الله وهو الذي يتصرف فيكم ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ أي: لا أحد يقدر على أن يدفع عذاب الله عني، وهذا رد عليهم حين قالوا: سوف نجيرك إذا تخليت عما تدعو إليه ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ أي: لن أجد من دون الله ملتحدا أي: ملجأ ألجأ إليه. ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ أي: لن يجيرني وينجيني من الله إلا أن أبلغ رسالته التي أمرني بإبلاغها إلى خلقه التي تأمركم بعبادته وحده وتحرم عليكم الشرك ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: ومن يعصه فإن له نار جهنم خالدا مخلدا فيها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ أي: إذا رأى المشركون ما يوعدون من العذاب يوم القيامة فسيعلمون حينئذٍ من هو الأضعف ناصرا وأقل عددا أهم الذين آمنوا بالله ووحدوه وأطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه أم المشركون الذين سيرون في ذلك اليوم أنهم هم المخذولون وأنه لا ناصر لهم ينصرهم من دون الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المساجد وأماكن العبادة مخصوصة لعبادة الله، وهذا يقتضي تحريم كل قول أو فعل لغير الله فيها أو في غيرها، ولكنه فيها أشد تحريما، ومن ذلك: دعاء غير الله أو التوسل أو الاستعانة أو الاستعاذة به. ومن الأحكام: تحريم الشرك في جميع صوره، وأنه لا يملك الضر والهداية إلا الله، وأنه لا ملجأ منه إلا إليه، فمن ابتغى غير ذلك فقد عصاه ومن عصاه فقد استحق عقابه.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول للمشركين لا أدري متى قيام الساعة وما توعدون به من العذاب أقريب هو أم بعيد أم يجعل له ربي مدة طويلة لا يعلمها إلا هو؟ لأنه هو الذي يعلم الغيب ولا يطلع على غيبه أحد من خلقه إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما يشاء منه؛ لأن الرسل

يخبرون بإذن ربهم عن بعض المغيبات، وعندئذ تحفظهم الملائكة من بين أيديهم ومن خلفهم فلا تقربهم الشياطين كما قال تعالى في ذلك ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ قوله ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ليعلم محمد أن الرسل الذين أرسلوا قبله قد بلغوا رسالات ربهم وأن الوحي الذي ينزل عليهم قد حفظته الملائكة فلم تقربه الشياطين ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما لدى الملائكة والرسل ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ أي: أحصى عدد مافي الأرض ومافي السماء وما بينهما فلا تخفى عليه خافية.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من في الوجود لا يعلم قيام الساعة؛ لأنها من غيب الله ولا يعلم الغيب أحد غيره. تقرير: أن الله قد يطلع رسله على غيب معين لحكمة يراها، ويكون ذلك بعد حمايته من الشياطين، تقرير: أن الله قد أحاط بعلمه كل شيء في الوجود ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

---

(١) سورة سبأ من الآية ٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل

مكية وآياتها عشرون آية

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي: يا أيها المتلفف بثيابه، وكان هذا النداء في ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ فإنه لما سمع قول الملك أخذته الرعدة فأتى خديجة وقال: زملوني، دثروني ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهذا أمر بالقيام للصلاة في أكثر الليل، واستثنى منه القليل قوله ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أي: صل نصف الليل أو انقص منه قليلا إلى الثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: إلى الثلثين، وقد امتثل رسول الله ﷺ لما أمره ربه فصلى هو وأصحابه حتى تورمت أقدامهم حتى أنزل الله عز وجل التخفيف في آخر السورة ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ

تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه وأنت تتمهل في قراءته؛ ليكون أدعى لتدبره وفهم معانيه ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المراد به القرآن لما فيه من الأحكام والأوامر والنواهي فهي ثقيلة في حملها فأمره الله -وأمره أمر لأمته- أن يتهيأ لها؛ لأنها أمانة وحمل الأمانة عظيم كما قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1]. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ ناشئة الليل أوقاته والمراد أن أوقات الليل أصعب في العبادة من النهار؛ لأن الليل يكون وقت راحة ونوم بعد تعب النهار الذي ينتج من العمل لكسب العيش، وقد يكون المراد أن العبادة في الليل أتقى، وذلك للبعد عما يشغل القلب في النهار ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: إن القراءة بالليل أقوم منها في النهار، نظرا للهدوء في الليل ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ أي: إن لك في النهار وقتا لقضاء حوائجك أما الليل فاجعله لعبادتك ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكر اسم ربك في كل أوقاتك ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع لعبادتك لله وأخلص له هذه العبادة فهو رازقك وحاميك من أعدائك ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ أي: رب المشارق والمغارب ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا رب غيره ولا إله سواه ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: توكل عليه في كل ما يهمك، فإنه كافيك وحاميك وناصرك على أعدائك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل قيام الليل كما قال عز وجل في صفة المؤمنين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١]. ومن أحكام الآيات: الأمر بترتيل القرآن ليكون ذلك أدعى لفهم معانيه وتدبره، وكان رسول الله ﷺ يرتل القرآن، قالت حفصة رضي الله عنها: إنه كان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها[٢]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة[٣]. تقرير: فضل صلاة الليل كما قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤]. وجوب: ذكر اسم الله والتبتل إليه والتوكل عليه.

(١) سورة السجدة الآية ١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً، برقم (٧٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢١٩٥.

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ص١٣٥٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ۝١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اصبر يا نبينا محمداً على ما يقول قومك من السب والاستهزاء بك ولا تتوقف عن دعائهم ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ أي: لا تعاتبهم ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: دعني والمكذبين بك من قريش ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أي: أصحاب الغنى والترف فسأكفيكهم ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ أي: أمهلهم إلى أن تنتهي مدة آجالهم ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا﴾ أي: إن عندنا لمن كذب برسالتك أنكالا أي: قيودا وجحيما أي: نارا ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ أي: يغص به من يأكله لسوئه ﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾ أي: شديدا وهذا

يكون ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي: تتحول الجبال إلى ذرات من الرمل بعدما كانت حجارة صلدة ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ المخاطب هنا كفار قريش وعامة الناس أي: يشهد عليكم بما بلَّغكم به من أحكام الله وشرعه ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ أي: كما أرسلنا موسى بن عمران إلى فرعون وقومه ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: كذبه واستهزأ به وآذاه ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: أخذناه بالعذاب أخذا شديدا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ أي: كيف تتقون أيها الناس ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبا وقد كفرتم بالله ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ أي: متشققة من شدة هوله ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وعد هذا اليوم مفعولا أي: كائنا لا ريب فيه ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: إن هذه السورة بما فيها من المواعظ تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: طريقا إلى مغفرته قبل أن يعاجله الأجل.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الصبر ومنه الصبر على الدعوة في سبيل الله وما قد ينال الداعي من الأذى والصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على مصائب الدنيا وبلائها وأكدارها، والصبر عند كل أمر يقتضي توطين

النفس وثَنْيها عن الجزع. تقرير: أن الله أرسل رسوله محمدا ﷺ يشهد على الناس بما يبلغهم به من أحكام الله وشرعه، وأن من عصاه وابتغى غير سبيله، فإن له عذابا أليما عند الله. وأن من يكفر به لا يمكن أن يتقي هول يوم القيامة وهو اليوم الذي سوف يقع لا محالة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ (٢٠)﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: يعلم ربك يا محمد أنك وطائفة من أصحابك تقومون من الليل مرة أدنى من ثلثيه، ومرة نصفه، ومرة ثلثه وذلك لعدم قدرتكم على ما أمركم الله به، بسبب أنه يشق عليكم وليس بسبب قصد منكم ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾

أي: يعلم مقاديرهما فتارة يعتدلان وتارة يتفاوتان ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي: لن تستطيعوا القيام بالفرض الذي وجب عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: رحمكم فنسخ عنكم وجوب قيام الليل وجعله تطوعا. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي: دون تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تستطيعون وما تيسر ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ لا يقدرون على ذلك لمرضهم ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: يسافرون يبتغون التجارة وكسب معايشهم ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المنشغلون بالجهاد لإعلاء كلمة الله ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: قوموا من الليل ما تيسر لكم منه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ أي: أقيموا الصلاة المفروضة عليكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو ما قصد به وجه الله من النفقة في البر ووجوه الخير ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: ما تقدموه في الدنيا من أعمال الخير، سوف يعود عليكم نفعه في الآخرة ﴿هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ أي: هو خير من الذي أبقيتموه لكم في الدنيا ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أي: اسألوه العفو والمغفرة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: غفور رحيم لمن استغفره وتاب إليه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن وجوب قيام الليل قد نسخ، وأن قيامه أصبح مندوبا وفيه: حديث هشام بن عامر عن عائشة رضي الله عنها قال: قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. قال: فهممت أن أقوم ولا أسأل أحدا عن شيء حتى أموت ثم بدا لي فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة. قال: قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ، فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله تعالى ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم ثم يقوم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد. فتلك إحدى عشر ركعة يا بني فلما أسنّ رسول الله

ﷺ وأخذه اللحم أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بني.

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة إلى الصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان. قال: فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها فقال: صدقت، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني به[(١)].

ومن أحكام الآيات: وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها وأداء الزكاة كما فرضها الله وإيتائها لمستحقيها. تقرير: فضل الصدقة، وبذل المال في وجوه البر والخير. تقرير: وجوب استغفار العبد من ذنوبه رجاء مغفرة الله له كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (٧٤٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٧٤٦.

(٢) سورة النساء من الآية ١١٠.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أي: أيها الذي تلفف بثيابه. وفي حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: (**بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه فرَقاً (أي ذعرت) فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ ثم تتابع الوحي**)[١].

قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ مناداة لطف ومؤانسة من الله لرسوله محمد ﷺ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ أي: أنذر أهل مكة وحذرهم مما سيصيبهم

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٩٩، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾، برقم (٤٩٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٤٦ .

من العذاب إن لم يسلموا ويتركوا عبادة الأصنام ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظم وقدس ربك الذي خلقك وأنعم عليك بالنبوة ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر جسمك وطهر ثيابك من النجاسة؛ لأن المشركين لا يتطهرون ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ أي: اهجر الأوثان والأصنام ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: لا تعط لكي تأخذ أكثر مما أعطيت من المال؛ لأن عطاياك يجب أن تكون لله دون منة على أحد استكثاراً لما تنفق ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: لربك وحده فاصبر على عبادته وما سوف تلقاه من أذى في سبيل دعوتك إلى الله ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ أي: إذا نفخ إسرافيل في الصور ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: ذلك يوم شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أي: غير سهل عليهم؛ لأن معاناتهم شديدة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب تكبير الله في الصلاة؛ لأنه ركن من أركانها وفي تكبير الله في الأعياد والمواسم وفي كل الأوقات فضل عظيم فكل تكبيرة صدقة كما قال رسول الله ﷺ(١). ومن الأحكام: وجوب الطهارة من النجاسات، سواء ما كان منها في الجسم أو الثياب أو في أماكن العبادة، فمن صفات المسلم، بل من واجباته الطهارة في كل شأن من شؤونه. ومنها: تحريم المنِّ بالعطايا أو الصدقات أو البر كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى .. برقم (٧٢٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢١٧٠ .

ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ الآية[١]. ومنها: وجوب هجر المآثم والخبائث وكل ما يشين المرء في دينه أو عرضه. ومنها: وجوب الصبر على الدعوة في سبيل الله والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على النوائب والصبر على ما ينال المرء من الأذى ودفعه بالحسنة كما قال عز وجل ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[٢]. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[٣].

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ذَرْنِى﴾ أي: دعني، وهذه أمر تهديد ووعيد ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ

(١) سورة البقرة من الآية ٢٦٤ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٥ .

وَحِيدًا﴾ أي: من خلقته وحيدا من رحم أمه، لا مال له ولا ولد ثم أنعمت عليه بهما، والمراد به هنا: الوليد بن المغيرة المخزومي وكان هذا زعيما في قريش يسمى ريحانتهم وكان من رؤوس الشرك والطغيان[(١)].

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي: مالا كثيرا موزعا بين مكة والطائف ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: ماكثين عنده لايغيبون عنه في تجارة ولا غيرها، فقد كفاهم عن ذلك مال أبيهم وكانوا اثني عشر ولدا ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي: بسطت له في العيش ومكنته من الحصول على صنوف المال ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي: يطمع أن يزيد ماله وولده ﴿كَلَّآ﴾ أي: لن أزيده أبدا، بل سوف أنقصه وأعذبه؛ لأنه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ أي: معاندا لرسولنا ومكابرا عن الحق الذي جاء به وقد صدق الله ما وعده فقد تناقص ماله حتى هلك.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي: سأكلفه عذابا لا يطيقه وهو الصعود إلى جبل من نار يصعد فيه ثم يهوي أبدا في نار جهنم ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: إنه فكَّر في أمر رسول الله ﷺ وما جاء به، وتهيأ للقول في القرآن فلما سمع قول الله عز وجل ﴿حمٓ﴾[(٢)]. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[(٣)]. ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ

---

(١) تفسير الضحاك ج٢ ص٩١٣، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٤١٤ .

(٢) سورة غافر الآية ١ .

(٣) سورة غافر الآية ٢ .

﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1]. قال: لقد سمعت منه كلاما ماهو من كلام الإنس أو الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر، فلما سمعت قريش كلامه هذا خشيت من تصديقه لرسول الله ﷺ فقالت: صبأ الوليد، ولتصبون قريش بعده فقال أبو جهل: أنا كافيكموه. فمضى إليه والحزن يظهر عليه فقال له الوليد: مالي أراك حزينا فقال: ومالي لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك، ويزعمون أنك زيَّنت كلام محمد وحسّنته وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما. فغضب الوليد مما سمع وأخذته العزة بالإثم وقال: أنا أحتاج إلى كِسَر محمد وصاحبه فأنتم تعرفون قدر مالي واللات والعزى مابي حاجة إلى ذلك، وإنما أنتم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يفعل ما يفعل المجانين؟ قالوا: لا والله. قال: وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ قالوا: لا والله. قال وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط ؟ قالوا : لا والله. قال فتزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكَهَّن قط، ولقد رأينا للكهان أسجاعا فهل رأيتموه كذلك ؟ قالوا: لا والله. فقالوا له: فما هو؟ ففكر الوليد في نفسه فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه فلهذا قال

---

(١) سورة غافر الآية ٣ .

تعالى ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي: في أمر محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾[١] في نفسه ماذا يمكن أن يصفهما به ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: لعن على تقديره ووصفه الكاذب ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ توكيد للعنه ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: فكر بأي شيء يطعن في رسول الله ﷺ وفي القرآن ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قطب وجهه وذلك حين مر بنفر من المسلمين فدعوه إلى الإسلام فعبس في وجوههم ﴿وَبَسَرَ﴾ أي: ازداد وجهه عبوسا ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الحق واستكبر عن قبوله فقال: ما هذا الذي أتى به محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يروى عن السحرة من اليمن والعراق ونجد ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أي: ما هذا الذي يقوله محمد إلا من كلام البشر، وليس من كلام الله؛ ولخبثه وكفره وعناده قال الله عز وجل ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي: سيصلى في سقر وهي نار جهنم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لهولها وحرها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: تمزق أجساد الكفرة والمشركين ولا تترك منها شيئا ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي: تسوِّد جلود المشركين وتحرقها ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة يتولون خزانتها وتصريف أهل النار فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المال والولد قوة، وهذه القوة قد تكون سببا في طغيان

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٠٠ - ٧٠١.

الإنسان وكفره بنعم الله، ومن ثم غضب الله عليه وإهلاكه كما فعل الله بالوليد وبقارون حين كفر بنعمة الله وفضله عليه فلما نصحه قومه أن لا يطغى بماله ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[١]. ثم بيَّن الله عز وجل ما آل إليه بقوله ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾[٢].

تقرير: أن أضل الناس وأشقاهم من يعرف الحق من الباطل ثم يترك الحق ويزين لنفسه الباطل كما فعل الوليد بن المغيرة، فقد اعترف أن رسول الله ﷺ سليم في عقله، وأن ما يقوله ليس بشعر وأنه لم يتكهن قط ولم يكذب ومع ذلك ضعفت نفسه عن اتباع الحق حين لمزه قومه وعيَّروه فاستكبر أمامهم فأصبح من الخاسرين فقد أهلك الله ماله في الدنيا واستحق العذاب في الآخرة وهو قول الله عز وجل ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ

---

(١) سورة القصص من الآية ٧٨ .

(٢) سورة القصص الآية ٨١ .

جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: ما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة غلاظاً شداداً؛ ذلك أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمكم أسْمَعُ محمدا يقول: إن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم -أي كثيرو العدد- والشجعان فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أحدهم ساخرا: لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة. وقال آخر مثل قوله هذا فنزلت هذه الآية[1] بأن خزنة جهنم ليسوا رجالا تقدرون على غلبتهم ولكنهم ملائكة من أشد خلق الله قوة وبطشا وهلاكا لكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ما ذكرنا عَددهم إلا زيادة في امتحان الذين كفروا وهم أبو جهل ومن سخر معه من خزنة النار ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وما ذكرنا هذا العدد لخزنة النار إلا ليعلم الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى أن عدة خزنة جهنم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٨٠ .

موافقة لما عندهم وليوقنوا أن ما جاء به هذا الرسول حق ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ أي: يزداد الذين آمنوا بهذا الرسول إيمانا بما يرونه من صدق ما قاله لهم نبيهم ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ولا يشك الذين أعطوا التوراة والإنجيل والمؤمنون المصدقون بمحمد ﷺ في أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: الشاكّون في الرسالة وغيرهم من الكفار والمشركين ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي: يسألون عما هي الحكمة في الحديث عن عدد الخزنة فأجاب الله تعالى بقوله ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: كإضلال الله أبا جهل وأصحابه؛ بسبب شركهم كذلك يضل الله أي: يعمي من يشاء ويهدي أي: يرشد من يشاء.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا أحد يدري عن عدد جنود ربك الذين يقومون على خزانة جهنم وعذاب أهلها إلا هو ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي: ما هذه الحجج والبراهين التي جاءت في القرآن إلا ليتذكر الناس قدرة الله وقوته وعظيم سلطانه، وقد يكون المراد بقوله ﴿وَمَا هِىَ﴾ أي: ما جهنم إلا تذكرة للناس عن قدرة الله.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ هذا قسم

من الله تعالى بثلاث من آياته العظام وهي: القمر والليل عند إدباره والصبح وقت إسفاره ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ أي: إن النار لإحدى العظائم والبلاء ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ أي: أن عذاب جهنم منذر لكم أيها الناس ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ أي: لمن شاء أن يصدق النذارة ويتقبلها فيهتدي أو يتأخر عنها فلا يصدقها ولا يقبلها فيضل عن السبيل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن خزنة جهنم تسعة عشر خازناً والمراد بهم رؤساء الخزنة، أما الملائكة القائمون على عذاب أهل النار فلا يعلم عددهم إلا الله. تقرير سفاهة المشركين وجهلهم وضلالهم حين استهزؤوا بعدد الملائكة وزعموا أنهم سيغلبونهم وماهي إلا نعمة العقل التي يمن الله بها على من يشاء من عباده، فما كان لهؤلاء المشركين أدنى نصيب من هذه النعمة. تقرير: أن النار عظة وذكرى لبني آدم وقد أقسم الله بثلاث من آياته العظام أن عذاب النار نذير لهم ليعلموا قدرة الله وعظمته فيتبعوا ما أمر به وينتهوا عما نهى عنه أو تكون لهم النار.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ

﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي: مرهونة بعملها محاسبة عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنهم لا يحاسبون بل يدخلون ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يسألون المجرمين عن حالهم قائلين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ أي: ما هو الذي أدخلكم النار فأجابوهم ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: لم نكن نشهد الصلاة التي فرضها الله علينا ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ أي: كنا نبخل بزكاة أموالنا، فلا نخرجها ولا نتصدق على فقير أو مسكين ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ أي: نتكلم في الباطل ولا نتورع عن قول الإثم ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: نكذب بيوم البعث والحساب

والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ أي: فاجأنا الموت، ولما كان هذا دأبهم وحالهم في الدنيا من ارتكاب المحرمات قال تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ أي: لا يشفع فيهم أحد؛ لأنهم قد ظلموا أنفسهم فلم يهتدوا رغم ما جاءهم من البينات لهدايتهم.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: فما لهؤلاء المشركين معرضين عما تدعوهم إليه من الهدى ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ أي: كأنهم في بعدهم عن الحق وإعراضهم عنه مثل حمر الوحش التي ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ أي: فرت من أسد يريد افتراسها ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: أن كل واحد من المشركين يريد أن يرسل له كتاب أو صحيفة من عند الله، فقد كان أبو جهل وجماعة من قريش يقولون: يا محمد أعطنا كتبا من الله مكتوباً فيها أنه قد أرسلك إلينا كما قال تعالى ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾(١). قوله ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: إنما أفسدهم وسوَّل لهم هذه الأقوال عدم إيمانهم بالبعث والحساب والجزاء. ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: إن القرآن تذكرة لمن يريد أن يتذكر ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: تلاه واعتبر به فحقت له بذلك هداية الله وتوفيقه ﴿وَمَا

(١) سورة الإسراء من الآية ٩٣.

يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: لا يقدرون على الاعتبار إلا أن يشاء الله ذلك؛ لأنه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: هو أهل أن يتقى ويطاع؛ لأنه لا إلَه في الوجود إلا هو وهو أهل أن يغفر للمذنبين من عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن كل نفس مرهونة بعملها من الخير والشر، ويستثنى من ذلك أصحاب اليمين. وفيها: الحكم بعظم أمر الصلاة، وأنها عمود الدين وقرينتها الزكاة التي أوجبها الله للمستحقين من عباده في مال الأغنياء، وقد عظم الله أمر الصلاة والزكاة في كتابه وفي سنة رسوله محمد ﷺ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة وقد سبق القول في ذكر بعضها. تقرير: أن المجرمين لا يجدون أحدا يشفع لهم يوم القيامة؛ لأن تركهم للصلاة والزكاة وقولهم بالباطل وتكذيبهم بالبعث حرمهم من الشفاعة فيهم؛ ذلك أنهم كانوا يُنَادَوْنَ في الدنيا إلى اتباع الحق فيفرون منه كما تفر الوحوش من الأسود. تقرير: جهل مشركي مكة وسؤالهم أن ينزل الله عليهم صحائف تبرئهم من النار، وهذا غاية الحماقة والجهل. تقرير: أن الله عز وجل هو أهل أن يتقى؛ لأنه لا إلَه إلا هو وهو أهل أن ترجى منه المغفرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة

مكية وآياتها أربعون آية

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

بيان الآيات:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: أقسم بيوم القيامة و(لا) رد لكلام من أنكر البعث أي: ليس الأمر كما زعمتم ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ أي: أقسم بالنفس التي إن أذنبت لامت واستغفرت، وجواب القسم لتبعثن ولتحاسبن يوم القيامة ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ أي: أيظن الإنسان الكافر أنا لا نجمع عظامه بعد تفرقها ونعيدها بعد اندثارها ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي: قادرين على جمعها وعلى تسوية بنانه أي: أصابعه فنجعلها طويلة أو قصيرة أم كبيرة أم

صغيرة وقد أشار الله إليها لصغرها ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ أي: أيريد الإنسان أن يكذب بالبعث وهو يعرف قدرة الله في الخلق وأن من قدر على الخلق قادر على إعادته ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يسأل سؤال استنكار واستبعاد عن موعد قيام القيامة ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: إذا حار واندهش مما يرى من هول ذلك اليوم ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوئه ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوؤهما وانتهى نظامهما بعدما تغير الكون ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي: يقول الكافر إذا رأى تلك الأهوال: هل هناك مفر من ذلك المشهد؟ وجوابه كما قال عز وجل ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ ولا مفر إلا إلى الله فإليه ينتهي الخلق بعد بعثهم كما قال عز وجل ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: يعلم الإنسان أعماله في ذلك اليوم أولها وآخرها كبائرها وصغائرها.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ أي: شاهد على نفسه حيث تشهد جوارحه عليه فتشهد عليه يداه بما بطش بهما، وتشهد عليه رجلاه بما مشاه، ويشهد عليه سمعه بما سمع به، وبصره بما أبصر به ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي: تشهد عليه جوارحه ولو حاول إخفاء ما فعل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوقوع البعث والحساب والجزاء وقوعا لا ريب فيه وقد

أقسم الله على ذلك وقسمه الحق. تقرير: قدرة الله تعالى على إعادة الخلق لبعثهم ليوم القيامة وقدرته المطلقة في تسوية أصغر عظام الإنسان وإعادة تركيبه. فيجعل أصابعه مثل أصابع الأنعام، أو يجعلها أصغر من ذلك. تقرير: أنه لا ملجأ ولا مفر يوم القيامة إلا إلى الله وسيحاسب عباده على أعمالهم ويجزي كلا بما عمل حسب ما في صحائف عمله كما قال عز وجل ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]. وقوله ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[2]. تقرير: أن الإنسان سوف يشهد على نفسه أي: تشهد جوارحه عليه كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]. وكما يشهد على نفسه في الآخرة يشهد على نفسه في الدنيا، فإذا أقر بشيء من حقوق الله أو حقوق الآدميين أُخِذَ بإقراره ونفذ في حقه. تقرير: أن العذر لا ينفع يوم القيامة؛ لأن الله أعذر عباده في الدنيا ليعملوا وليتوبوا إذا أذنبوا، فإذا قدموا عليه انتفى العذر منهم ويبقى الحساب كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[4]. ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ

---

(١) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٤ .

(٣) سورة النور الآية ٢٤ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٢٣ .

أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[1]. وفوق كل ذلك تبقى رحمة الله وعفوه لمن كان في قلبه شيء من إيمان.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ في هذا تربية لرسول الله ﷺ ولأمته، فقد علَّم الله نبيه الطريقة التي يتلقى بها الوحي بالقرآن من الملك، بحيث يستمع له والله هو الذي ييسره لفهمه كما أنزله عليه فأمره ألا يعجل بقراءة القرآن؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان حريصا على فهمه ولا يفوته منه شيء فقال الله عز وجل له ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: في قلبك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: إذا قرأه جبريل فاستمع له وكان عليه الصلاة والسلام يستمع لجبريل كما أمره الله فإذا ذهب جبريل أعاد قراءته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: بيان ما فيه من الأحكام التي قد تشكل عليك ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ لما بيَّن الله لرسوله ما يجب عليه

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٤ .

من تلقي القرآن ذكر حال المكذبين به وبالقرآن وأن الذي دفعهم إلى ترك الآخرة وعدم الاستعداد لها بالأعمال الصالحة هو حبهم للدنيا وتفضيلهم لها على الآخرة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: بهية مشرقة يوم القيامة جزاء إيمانها بالله وطاعته وتفضيلها الآخرة على الدنيا ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إليه يوم القيامة وذلك حين يتجلى لعباده المؤمنين، فلا يتمنون شيئا في الجنة أفضل من نظرتهم إلى ربهم ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي: كالحة مسودة والمراد بها وجوه الكفار ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: توقن أنها هالكة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التأني في قراءة القرآن حتى يمكن تدبر ألفاظه ومعانيه. ولا حجة للذين يريدون الإسراع في القراءة رغبة في الإكثار من ختم القرآن، إذ العبرة في فهم أحكامه وليس في عدد ختمه. ذم: التهافت على الدنيا وتناسي الآخرة أو التغافل عنها. تقرير: البشرى للمؤمنين بأنهم يأتون يوم القيامة ووجوههم مشرقة ويرون ربهم عيانا؛ لما ورد أن أناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟**) قالوا: لا. قال: (**فإنكم ترون ربكم كذلك**)[1]. تقرير: أن الظلمة يأتون يوم القيامة ووجوههم عابسة كالحة والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٣٠ .

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ (٢٨) وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣) أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ (٣٥) أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ (٤٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ في هذا تذكير من الله بحالة الاحتضار وقرب الموت، وما ينتج عنه فيما بعد من البعث والحساب الذي يكذب به المجرمون والمراد ﴿كَلَّآ﴾ أي: حقا سوف تبلغ النفس عظام الحلق لكي تخرج من الجسد ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ أي: يقول أهل المريض هل من طبيب أو راق يرقيه ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ وفي تلك المرحلة من الاحتضار يوقن أنه مفارق للدنيا ومفارق للأهل والأحبة ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: التفت عندئذ ساقا المريض من شدة الكرب لفراق الدنيا والأهل وكرب الإقبال على الآخرة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ أي: المرجع والمآب ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ المراد به أبو جهل، وكل كافر كان في الدنيا معرضا عن الحق متبعا لهواه فلم يزكِّ ماله ولم يتصدق منه ولم يصلِّ ما فرض الله عليه ﴿وَلَٰكِن

﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذب بما جاءه من الحق وأعرض عنه ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: تبختر معجبا بنفسه وماله ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ هذا تهديد ووعيد وقيل: المراد به أبو جهل فقد روي أنه أقبل يتبختر في مشيته فأخذ رسول الله ﷺ بيده فقال ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئا إني لأعز من بين جبليها، فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال: لا يعبد الله بعد هذا اليوم أبدا، ولكن الله ضرب عنقه وقتله شر قتلة(١).

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: أيظن الإنسان أن يترك مهملا لا يؤمر بأمر، ولا يُنْهَى عن نهي، ولا يبعث ولا يحاسب، كلا إنه لن يكون كذلك سوف يموت ويبعث ويحاسب على كل صغيرة وكل كبيرة ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي: ألم يكن من قطرة مني صغيرة تراق في الرحم ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي: قطعة دم ثم مضغة إلى أن يستوي في خلقه وتركيبه بإذن ربه كما قال تعالى ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي: خلق من هذه النطفة إما ذكرا وإما أنثى حسب حكمته وإرادته ثم زاوج بينهما ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: أليس الذي خلق وكون هذا الإنسان من قطرة ماء بقادر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١١٥ .

على إعادة هذا الإنسان للبعث والحساب ونقول كما قال رسول الله ﷺ: (**سبحانك اللهم بلى**)[١].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن حال الاحتضار مقدمة للموت ومن ثم البعث والحساب ومن الأحكام: تقرير مشروعية الرقية للمريض، ففي حديث حميد بن قيس المكي أنه قال: دخل على رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب فقال لحاضنتهما: (**مالي أراهما ضارعين**)[٢] فقالت حاضنتهما: يا رسول الله إنه تسرع إليهما العين، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنّا لا ندري ما يوافقك من ذلك فقال رسول الله ﷺ: (**استرقوا لهما فإنه لو سبق شيء القدر لسبقته العين**)[٣]. والرقية يجب أن تكون بالقول أو الفعل المشروع كقراءة القرآن أما إن كانت خلاف ذلك فهي محرمة كعلاج السحر بالسحر.

ومن الأحكام: تحريم الكبر والعجب بالنفس. تقرير: أن الإنسان لم يخلق عبثا كما قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٤]. تقرير: أن من المشروع أن يقول من يسمع قول الله ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (**سبحانك اللهم بلى**).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٤٥٣.

(٢) الضارع: النحيف الضاوي الجسم. النهاية في غريب الحديث ج٣ ص٨٤.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ص٦٧١، في كتاب الجامع، باب الرقية من العين، برقم (١٧٠٣).

(٤) سورة المؤمنون الآية ١١٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإنسان

مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ ﴿هَلْ﴾ تأتي بمعنى (قد) والمراد بالإنسان هنا آدم فقد أتى عليه حين من الدهر أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وليس شيئاً، إنما هو طينة وقد يكون المراد بالإنسان في عمومه كما ذكره الإمام ابن كثير[1].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: تم خلق الإنسان من ماء الرجل وماء المرأة، حيث اجتمعا فتكونت من ذلك النطفة الأخلاط ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره بالسراء والضراء أو بالخير والشر ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعا يسمع به وبصرا يبصر به؛ ليكتمل بذلك تكليفه ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنا له طريق الهدى وطريق

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٤٥٣، والجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١١٩-١٢٠ .

الضلال ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: إنه في كلتا الحالتين قد عرف طريق الهدى من الضلال فإن اهتدى فذلك خير له وإن ضل فضلاله عليه ولا عذر له في ضلاله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير خلق الإنسان ابتداء من النطفة التي تنتج عن اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. تقرير: أن الله جعل له السمع والبصر ليكون على بينة فيما أمره به وما نهاه عنه. تقرير: أن الله بيَّن للإنسان طريق الهدى من الضلال فإن اهتدى فذلك خير له وإن ضل فقد أعذره الله بالبينات التي أرسلت له عن طريق رسله وكتبه كما قال عز وجل ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم

---

(١) سورة فصلت الآية ١٧ .

بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ لما ذكر عزوجل أنه بيَّن للإنسان طريق الهدى من الضلال حكم بأن من شكر واهتدى فله الجزاء الأوفى، ومن كفر فله العقاب وهو السلاسل والأغلال في عذاب السعير ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الأبرار هم: الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وأوفوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه، فهم يشربون من كأس مزاجها الكافور؛ لما فيه من طيب رائحته وصفاء لونه ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أي: أن هذا الشراب الذي يشربونه وقد مزج بالكافور مستمد من عين لا تنقطع ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ متى شاؤوا ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ أي: ومن صفات الأبرار أنهم لا يخلفون نذورهم، سواء في حق الله أو في حق عباده ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: يحذرون يوم القيامة وشره المستطير حين ينقلب الكون بإرادة الله فتنشق السماء وتنسف الجبال وتتخلى الأرض عما فيها وتفزع الملائكة من هول ذلك اليوم ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: يطعمون طعامهم رغم حبهم وشهوتهم له ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ يعني: مسكيناً أعياه الفقر، ويتيماً فَقَدَ عائله، وأسيراً أصبح تحت يد المسلمين، ولسان حالهم

يقول لمن يطعمونهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: رجاء فيما عنده من الثواب ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا نريد منكم جزاء تجزوننا به ولا أن تشكرونا عليه.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ اليوم العبوس هو اليوم الكالح من شدة هوله والقمطرير: شديد العُبوس، الطويلُ والمراد إنما فعلنا ذلك رجاء في رحمة الله لنا من هول ذلك اليوم وشدته وضيقه ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ وقد استجاب الله دعاءهم وحقق لهم أمنياتهم فوقاهم هول ذلك اليوم وعبوسه، فأشرقت وجوههم في نضرتها واكتست قلوبهم سرورا بما وجدوا من ربهم في جنات النعيم ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي: كافأهم على صبرهم على طاعته وترك محرماته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الوفاء بالنذر وفيه حديث رسول الله ﷺ: **(من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)**[١]. وهو بهذا على نوعين نذر يجب الوفاء به، ونذر يحرم الوفاء به. أما الواجب الأداء فهو نذر الطاعة كمن نذر أن يعتمر في رمضان، أو نذر أن يصوم تسعة من عشر ذي الحجة، أو نذر أن يتصدق وجب عليه الوفاء بما نذر. أما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان، باب النذر في الطاعة، برقم (٦٦٩٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٨٩ .

النذر الذي يحرم الوفاء به فهو نذر المعصية كمن نذر ألا يكلم أخاه، أو جاره، أو قريبه، أو نذر أن يبذل مالا في معصية فهذا كله محرم.

تقرير: فضل إطعام الطعام لمن يحتاجه كما قال عز وجل ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]. وقول رسول الله ﷺ: **(أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى)**[3].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ ما زال السياق في ذكر كرامة الله

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٧٧ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، برقم (١٠٣٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٨٣٨ .

للأبرار من عباده الذين من صفاتهم الوفاء بالنذر وإطعام الطعام والخشية من هول يوم القيامة فقال عز ذكره ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: متكئين في الجنة على السرر تحت الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: لا يرون في الجنة حرا كحر شمس الدنيا ولا يرون فيها كذلك بردا شديدا كبرد الدنيا ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي: قريبة لهم أغصان أشجار الجنة ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: سخرت لهم ثمار أشجارها تذليلا أي: تسخيرا ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يطوف الخدم على هؤلاء الأبرار بأكواب أي: كيزان من الفضة والذهب ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: هذه الأكواب من فضة وهي: صافية مثل صفاء القوارير وشفافيتها وبياض الفضة ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: قدَّرها لهم الخدم الذين يطوفون بها عليهم قدر ريِّهم دون زيادة أو نقص ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: يسقى هؤلاء الأبرار في هذه الأكواب كأسا من الخمر مزاجها من الزنجبيل ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ أي: في الجنة عينا تسمى السلسبيل والمراد به الشراب الطيب اللذيذ الذي يتصف بالسلاسة ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: يطوف على هؤلاء الأبرار ولدان على هيئة واحدة مخلدون في الجنة، لا يتغيرون حسان الوجوه والطباع، فمن يراهم يتصورهم

في حسنهم وبهائهم وجمالهم مثل اللؤلؤ المنثور في حسنه وصفائه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: إذا رأيت يا محمد ما هناك في الجنة رأيت ملكا عظيما، فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أي: لباسهم في الجنة السندس وهو: الثياب الرقاق مما يلي أجسامهم، واستبرق وهو الديباج الغليظ مما يلي ظاهر أجسامهم ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: يحلى الرجال بالأساور من الفضة أما النساء فيحلّين بالأساور من الذهب ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: سقاهم شرابا طهَّر قلوبهم وأجسامهم من الشوائب والأدران والضغائن ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: يقال لهم وهم في هذا النعيم إن هذا ثواب لكم على سعيكم في كسب أعمالكم الصالحة، وهذا السعي مشكور من قبل الله لكم، فقد تقبل طاعتكم وأثنى عليكم في الملأ الأعلى وغفر لكم جميع ذنوبكم، فأنتم اليوم في ولايته وجناته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما عند الله للأبرار من الثواب العظيم وهو دخولهم الجنة وتمتعهم فيها بألذ المطاعم والمشارب وتكريم الله لهم كما قال عزوجل ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. تقرير:

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٤٣ .

أن في الجنة للأبرار ما هو محرم عليهم في الدنيا ومن ذلك الخمر لقول الله عزوجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. وقول رسول الله ﷺ: (**من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة**)[2]. ومن محرمات الدنيا: لبس الذهب للرجال واستعمال أواني الذهب والفضة لقول رسول الله ﷺ: (**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**)[3]. ومن محرمات الدنيا: لبس الحرير للرجال.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ برقم (٥٥٧٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه برقم (٥٨٣١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٢٩٦.

بيان الآيات:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ أي: نزلنا عليك القرآن من عندنا فلم تقله من عندك ولم يأتك من أحد غيرنا كما يدعيه المشركون كذبا وزورا ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر على أذى المشركين وهذا قبل نزول آية القتال، واصبر كذلك على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله، وسوف ينصرك على أعدائك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع من طبع الإثم على قلبه، وكل كافر يريد الصد عن سبيل الله. وقيل: إن هذه الآية نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة المخزومي فقد جاءا إلى رسول الله ﷺ يعرضان عليه الأموال، وعرض عليه عتبة بن ربيعة إحدى بناته وقال: إنهن من أجمل نساء قريش، أما الوليد فقال: سأعطيك من الأموال ما ترضى به حتى تترك ما تقول[1]. فنزل قول الله تعالى يحذره من طاعتهما ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: قم بعبادة الله وطاعته في أول النهار وفي آخره، فأوله صلاة الفجر، وآخره صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ المراد صلاة المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ المراد به صلاة التطوع في الليل ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ المراد بهم أهل مكة فهم بكفرهم وتكذيبهم لرسول الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١٤٩ .

قد فضلوا الدنيا على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: تركوا الإيمان بيوم الآخرة، وسيكون يوما ثقيلا عليهم يعانون فيه من العسر والشدة ما لا يطيقون ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ أي: خلقنا أباهم آدم من طين لازب ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: أحكمنا خلقهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: لو أردنا لغضبنا عليهم ثم جئنا بمن هم أفضل وأخلص منهم في طاعة الله.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: عظة وعبرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: من أراد سلك طريقا يوصله إلى مرضاة الله ومغفرته ثم قال عز وجل ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ما تقدرون على سلوك هذا الطريق إلا بمشيئة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليما بأعمالكم حسنها وسيئها علنها وسرّها، حكيما في تدبيره وتصرفه فيكم ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: يدخل الله في رحمته من يشاء من عباده لعلمه بسريرته وإيمانه ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ أي: أعد لكل ظالم فاجر عذابا شديدا لقاء ظلمه وفجوره.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله أنزل القرآن على نبيه ورسوله محمد ﷺ

والآيات في هذا كثيرة منها قوله تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]. وقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٢]. وقوله ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٣]. وفي هذا دحض لافتراءات المشركين ومن سار على نهجهم من الملحدين والمفترين. ومن الأحكام: تحريم طاعة أولي الإثم من الظلمة في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[٤]. ومنها: وجوب ذكر الله في الصلاة فرضا كانت أو نفلا، والترغيب في صلاة النوافل في الليل، والتنديد بالذين يحبون الدنيا على الآخرة. ومن الأحكام: وجوب رد المشيئة إلى الله عزوجل فلا حول إلا به ولا قوة إلا به، ولا تدبير إلا تدبيره، ولا يسير إلا ما يسره كما قال عز وجل ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[٥] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٦].

---

(١) سورة السجدة الآية ٢ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٦ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٥) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٦) سورة الكهف من الآية ٢٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات

مكية وآياتها خمسون آية

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)﴾.

بيان الآيات:

بدأت هذه السورة بقسم الله عز وجل بعدد من آياته العظام، والقسمُ في ذاته ينبئ عن أمر عظيم، ويكون هذا القسم أكبر وأعظم في القلوب إذا كان المقسِم هو الله عز وجل فهو مقدّر الأقدار، وخالق الخلائق، ومسير الكون ومصرفه فقسمه تعظيم لأمره وأمره كائن لا محالة؛ لأنه يقول للشيء كن فيكون.

قوله ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هي الرياح الهادئة المتتابعة ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ أي: الرياح الشديدة الهبوب وقد تكون مهلكة ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ أي: الملائكة الموكلين بنشر السحب لإنزال المطر ﴿فَالْفَارِقَاتِ

فَرْقًا﴾ المراد بهم الملائكة، ينزلون بالوحي للفرق بين الحق والباطل ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تلقي بالوحي إلى أنبياء الله ورسله. ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: تلقي الملائكة بالوحي إعذارا من الله أو إنذارا لخلقه مما قد يحيق بهم من العذاب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا هو جواب القسم والمعنى: إنّ ما توعدون من أمر القيامة واقع بكم بلا ريب. ثم بيَّن عز وجل وقت هذا الواقع بقوله ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: انتهى ضوؤها ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي: شقت وفتحت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي: تبددت فصارت هباء ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي: جُعِل لها وقتٌ معين للفصل بينها وبين الأمم ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: أخرت ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ أي: هو اليوم الذي يفصل فيه الله بين الناس بأعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: ما تدري ما يوم الفصل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: فيه الويل والعذاب للمكذبين بالله وآياته ورسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يقسم بمن يشاء من خلقه، وليس للعباد أن يقسموا إلا به وحده. تقرير: وقائع الكون عند قيام الساعة وما يكون من انطماس النجوم وذهاب ضوئها وتشقق السماء واقتلاع الجبال

وحضور الرسل والملائكة ليوم الفصل بين العباد. تقرير: أن الويل سيكون في ذلك اليوم للذين كذبوا بالله وآياته ورسوله.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما سينال المكذبين به وآياته ورسوله من الويل والخزي يوم الفصل قال في استفهام تقريري: ألم نهلك الأولين أي: الأمم السابقة التي كذبت رسلها مثل قوم نوح وقوم هود وغيرهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: نلحق الآخرين المكذبين بالله وآياته ورسوله، فنهلكهم كما أهلكنا الأولين ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما أهلكنا المكذبين الأولين نفعل ذلك بالمشركين في مكة وقد تحقق هذا في معركة بدر فقتل صناديدهم ومجرموهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثم قال تعالى في استفهام تقريري

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ألم نخلقكم من ماء حقير هو النطفة التي امتزجت بماء أمهاتكم ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: جعلنا هذا الماء في مكان حصين هو الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: إلى وقت الولادة ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ أي: قدرنا خلقكم وصورناه مرحلة مرحلة حتى اكتمل بشرا سويا، فنعم القادرون على خلقكم وتصويركم الذي لا يقدر عليه إلا ربكم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: لهم خزي وعار وعذاب يوم القيامة .

ثم ذكر عز وجل في استفهام تقريري منته على خلقه بأن جعل الأرض حافظة لهم في حياتهم ومماتهم ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: ضامَّة لهم وجامعة ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ سواء في جمعها لهم أحياؤهم وأمواتهم فهم من الأرض وعلى الأرض وإلى الأرض. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي: جعلنا في الأرض الجبال الثابتات الطوال ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي: أنعمنا عليكم بالماء العذب الذي تشربون منه وتسقون منه زروعكم وأنعامكم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الحقائق الإلَهية في خلق الإنسان ومراحل خلقه وكون الأرض تضمه حيا وميتا ومافيها من الحقائق كالجبال والمياه من الأنهار

والبحار، وفي هذا توكيد لقدرة الله في وقوع يوم القيامة للفصل بين الخلائق ومحاسبتهم على عملهم في الدنيا.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ما زال الذكر في وقائع يوم القيامة ففي ذلك اليوم يقال للكفار: اذهبوا إلى العذاب الذي كنتم تكذبون به فهو ماثل أمامكم ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أي: اذهبوا إلى دخان يتفرع إلى ثلاث شعب ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي: ليس كالظل الذي تتقون منه حر الشمس ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: لا يدفع عنكم شيئا من لهب جهنم ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ الشرار: ما يتطاير من النار إذا أوقدت، والقصر: المبنى العالي والمراد أن جهنم تقذف شررا يشبه في حجمه القصور ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ أي: لونه

مثل الإبل السود ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: خزي وعار وعذاب للذين يكذبون بآيات الله ورسوله.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: في هذا اليوم أي: يوم القيامة لا يتكلم الكفار ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ أي: لا يسمح لهم بالاعتذار؛ لأن الحجة قد قامت عليهم بما جاءتهم به الرسل، وما نزل عليهم من الكتب ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: يخاطبون يوم القيامة فيقال لهم: هذا هو اليوم الذي يفصل فيه بين العباد فيتبين المؤمنون الذين يستحقون ثواب الله ويتبيَّن فيه الذين كذبوا به وآياته ورسوله وما يستحقونه من الجزاء بالعذاب ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ﴾ أي: إن كان لكم مفر من العذاب ﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: تخلصوا من عذابي الذي أجازيكم به اليوم لقاء كفركم وتكذيبكم لما جاءكم من الآيات ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: هلاك وخزي لهم في هذا اليوم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عذاب المكذبين بالله وآياته ورسوله يوم القيامة، وهذا العذاب على نوعين: عذاب نفسي يتم فيه توبيخهم وتبكيتهم لقاء استهزائهم بالمؤمنين والسخرية منهم حين كانوا معهم في الدنيا

كما قال تعالى في حق المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]. ومن العذاب النفسي للكفار عدم السماح لهم بالكلام وعدم قبول أعذارهم كما قال تعالى ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾[٢]. أما النوع الثاني: فهو عذاب جسدي وهو العذاب الذي يؤولون إليه بعد محاسبتهم وتوبيخهم كما قال تعالى ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٣].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ هذا وعد من الله لعباده

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٩.

(٢) سورة النمل الآية ٨٥.

(٣) سورة النحل الآية ٢٩.

المتقين أنهم يكونون يوم القيامة في ظلال أشجار الجنان وعيون الماء وهذا خلاف المجرمين الذين يقال لهم: اذهبوا إلى الدخان المتشعب قوله ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ أي: وللمتقين ما يتمنونه من الفواكه وأطايب الطعام والشراب ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: استمتعوا بطعامكم وشرابكم، واهنؤوا برضا ربكم الذي جازاكم خير الجزاء على أعمالكم في الدنيا ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: نجازي الذين آمنوا بالله وآمنوا بآياته ورسوله وما جاءهم به من الهدى فهم بعملهم هذا أحسنوا إلى أنفسهم فأحسن الله إليهم.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لمشركي مكة حين يقال لهم ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ أي: ألهوا في دنياكم وتمتعوا فيها مدة قليلة إلى أن تحين المدة التي حددت لهلاككم وعذابكم ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ أي: إذا قيل لهم: اركعوا أي: صلوا لا يركعون أي: لا يصلون قيل: إن هذه الآية نزلت في ثقيف فلما قال لهم رسول الله ﷺ: (**أسلموا وصلوا**) قالوا: لا ننحني فإنها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام: (**لا خير**

في دين ليس فيه ركوع ولا سجود)[١]. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: هلاك وخزي لهم، ولكل مكذب بآيات الله ورسوله إلى يوم الدين. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إذا كان هؤلاء المشركون لا يصدقون بالقرآن، ولا يصدقون بنبوة رسول الله ورسالته فبأي شيء يؤمنون.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وعد الله للمتقين بالمقام الأمين في جنات النعيم؛ جزاء إحسانهم إلى أنفسهم في الدنيا، حيث آمنوا بالله وآياته وصدقوا رسله وأحلوا ما أحلوه وحرموا ما حرموه. تقرير: أن الله صدق وعده في نصر نبيه ورسوله والمؤمنين حيث توعد مشركي مكة بالهلاك إذا لم يؤمنوا بما جاءهم به رسول الله من البينات، وقد حدث هلاك رؤسائهم في معركة بدر. بيان: أن من صفات الكافرين عدم ركوعهم وسجودهم وهو كناية عن تركهم الصلاة لقول رسول الله ﷺ: **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)**[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج، باب ما جاء في خبر الطائف، برقم (٣٠٢٦)، سنن أبي داود ج٣ ص٩٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم (٢٦٢١)، سنن الترمذي ج٥ ص١٥، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، برقم (٤٦٢)، سنن النسائي ج١ ص٢٥٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النبأ

مكية وآياتها أربعون آية

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾.

بيان الآيات:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري ينكر فيه الله على المشركين تكذيبهم بالبعث والمراد عن أي شيء يسأل فيه المشركون بعضهم بعضا ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أي: عن البعث والحساب والجزاء ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أي: يختلفون في وقوعه فبعضهم يصدقه وبعضهم يكذب به وقيل: إن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء

كثيرة فنزلت هذه الآية[١]، وقد يكون المراد أنهم يتساءلون عن القرآن وعن نبوة رسول الله ﷺ، ولعل الأظهر أنهم يتساءلون عن البعث ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد، والمراد سوف يعلمون صدق ما جاء به محمد ﷺ عن البعث والحساب والجزاء وعن القرآن ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ توكيد للتهديد والوعيد. ثم بيَّن عز وجل قدرته العظيمة على البعث والنشور بقوله ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: ألم نجعل الأرض ممهدة مستوية للعيش فيها ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: جعلنا فيها الجبال لترسيتها وتثبيتها عن الاضطراب ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: جعلناكم ذكورا وإناثا لمنافعكم وسكنكم إلى بعضكم كما قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٢]. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لكم من التعب والنصب والسبات بمعنى المد أو التمدد ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: راحة وسكنا عندما يغشى الكون بظلمته فيكون كاللباس ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: وقتا للعمل لطلب المعيشة من المطاعم والمشارب ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ أي: صنعنا فوقكم سبع سماوات قويات محكمات في صنعها ﴿وَجَعَلْنَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١٧٠ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢١ .

سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أي: جعلنا الشمس تتوهج ضياء لكم ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ المعصرات: الرياح التي تعصر السحاب فيمطر، وقد يراد بها السحب ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ أي: صبابا متتابعا ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ أي: لنخرج بهذا الماء الحب الذي منه غذاؤكم كالحنطة والشعير والذرة وسائر النباتات الأخرى ذات الحبوب ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: طعاما لحيواناتكم ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: بساتين ملتفات أشجارها لكثرتها وتمايل أغصانها على بعضها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قدرة الله عز وجل في تمهيد الأرض وترسيتها بالجبال وتكوين البشر من زوجين مختلفين في كينونتهما، ورحمته بخلقه في توقيت وقت معين لنومهم وراحتهم، ووقت لطلب معاشهم، ورفع السماء فوقهم، ووضع الشمس لمنافعهم وغير ذلك من مظاهر قدرته العظيمة. وفي ذكر هذه المظاهر التي يراها الإنسان عيانا يؤكد عزوجل أن من قدرته بعث الخلق ونشورهم وعودتهم إليه ليفصل بينهم حسب أعمالهم التي أمرهم بها وهيأ لهم كل الأسباب على الأرض لكي يأتمروا بها.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ

أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ لما بيّن عز وجل قدرته العظيمة في بعث الخلق ومعادهم إليه للفصل بينهم أخبر عن موعد هذا الفصل وأن له وقتاً معلوماً لا يتقدم ولا يتأخر، ولكن لا يعلم حدوثه إلا هو ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: يوم ينفخ إسرافيل في القرن سوف تأتون زُمَراً زُمَراً أو أمما، كل أمة مع إمامهم ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: جعلت مسالك لنزول الملائكة كما قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾[1]. ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: نسفت من قواعدها فأصبحت كالسراب يظنه الرائي ماء فلا يجده شيئا

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢٥ .

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي: مرصدة أعدت وهيئت لتكون مآبا للطغاة والفجرة كما قال تعالى ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أي: مقيمين فيها فترات لا تنقطع كلما انتهت حقبة جاءت حقبة أخرى إلى أن يشاء الله ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي: لا يجدون فيها طعاما ولا شرابا يبرد قلوبهم وأجسامهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الحميم: هو الماء الحار الشديد الحرارة، والغساق صديد أهل النار وعرقهم، والعياذ بالله من حال أهل النار.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي: هذا الذي صار لهم من العذاب إنما هو جزاء كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسوله والبعث والحساب كما قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لم يصدقوا بأنهم سيحاسبون ويجزون على أعمالهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بالدار الآخرة، بل قالوا: وما يهلكنا إلا الدهر ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي: كذبوا بكل ما جاءهم من الحق ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ أي: أحصينا في كتاب الأعمال كل أفعال العباد حسنها وسيئها كثيرها وقليلها ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: يقال لأهل النار: ذوقوا هذا العذاب

الذي أنتم فيه فلن تجدوا إلا زيادة فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الفصل يوم القيامة له وقت محدد، لا يعلمه إلا الله كما قال تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[١]. تقرير: أنه بعد نفخ إسرافيل في الصور يتغير الكون فتتفتح السماء، وتسير الجبال، وتستقبل جهنم الطغاة والمجرمين والمكذبين لآيات الله ورسله. تقرير: أن أعمال العباد محصاة عليهم كما قال عز وجل ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٢) سورة الكهف الآية ٤٩ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ هذا بيان من الله ووعد منه أن للمتقين يوم القيامة فوزاً بالنعيم المقيم، وقد فُسِّر هذا الفوز بأنه ﴿حَدَآئِقَ﴾ أي: بساتين ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ أي: كروماً ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ والمراد بالكواعب النساء الناهدات في الجنة، أما الأتراب فهن الأقران في السن ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: كأس خمر مملوءة من خمر الجنة ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة قولا باطلا ولا كذبا ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي: أعطاهم وجازاهم جزاء كثيرا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل التقوى وما للمتقين الأبرار من الكرامة عند الله.

ومن الأحكام: تحريم اللغو وقول الباطل، وقد ذكر الله بأن من صفات المؤمنين الأبرار إعراضهم عن اللغو كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[١]. ومنها: تحريم الكذب وفيه قول رسول الله ﷺ: **(ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)**[٢].

(١) سورة الفرقان من الآية ٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٣٦ .

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هذا بيان من الله عن عظيم جلاله وسلطانه، وأنه رب السموات والأرض وما بينهما خلقهما على غير مثال سابق وكوَّنهما بقدرته وعظيم صنعه وهو الرحمن الذي خلق الكون كله وقدَّره وأحكم صنعه ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا أحد يسأله إلا إذا أذن له ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ المراد بالروح: ملك من أعظم الملائكة يأتي يوم القيامة وحده صفا، وسائر الملائكة صفا ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: لا تشفع الملائكة إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال قولا صوابا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ذلك اليوم الذي يكون فيه الفصل هو اليوم الذي لا مرية فيه ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أي: طريقا ومرجعا يرجع

به إليه ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ هذا خطاب لكفار قريش والمشركين الذين يكذبون بالبعث إن العذاب سيحل بهم قريبا إذا لم يتركوا شركهم ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ أي: في ذلك اليوم يعرض على كل امرئ ما عمله من خير أو شر ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ أي: يتمنى الكافر أن يكون ترابا، وذلك حين يحكم الله بين الحيوانات بالعدل فيأخذ للشاة الجلحاء حقها من الشاة القرناء ثم يقول الله لها كوني ترابا فتكون ترابا، فحينئذ يغبطها الكافر ويتمنى أن يكون مثلها فيتخلص من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير شدة الموقف يوم القيامة حين تَصفُّ الملائكة وأمامها الروح، ولا يستطيعون الشفاعة لأحد إلا أن يأذن له الرحمن. تقرير: أن ذلك اليوم هو اليوم الحق الذي لا مراء فيه، وأن للعبد فرصة في الدنيا أن يتخذ طريقا إلى الله، وذلك بعبادته وتوحيده وطاعته ليكون ذلك ذخرا له في يوم الفصل بين الخلائق ومحاسبتهم على أعمالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النازعات

مكية وآياتها ست وأربعون آية

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ هذا قسم من الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار بشدة فتغرقها أثناء النزع ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ هم الملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين وهم في أمان وراحة ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ أي: الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ قيل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة وبأرواح الكافرين إلى النار ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قيل: هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بإذن الله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ الراجفة هي النفخة الأولى التي

تميت كل شيء بإذن الله ثم ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ وهي النفخة الثانية التي تحيي كل شيء بإذن الله تعالى وقيل: بينهما أربعون سنة كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[1].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: خائفة من هول ما ترى وتسمع ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة منكسرة ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: يقول المشركون والكفار المنكرون للبعث هل نرد بعد موتنا إلى ما كنا عليه فنرجع أحياء؟ يقولون ذلك على سبيل الإنكار كقولهم ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[2]. ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ أي: كنا عظاما بالية هل نعود إلى الحياة وهذا أيضا إنكار منهم للبعث ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: إذا عدنا إلى الحياة مرة أخرى سوف نخسر وندخل النار كما قيل لنا.

ثم ذكر عز وجل سهولة البعث عليه ورجوع الناس إليه فقال عز ذكره ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: نفخة واحدة ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ أي: فإذا جمع الخلائق قائمون أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

---

(١) سورة المزمل الآية ١٤ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٩٨ .

(٣) سور الإسراء الآية ٥٢ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير: أن الملائكة ينزعون أرواح بني آدم فيذهبون بها إلى ما شاء الله، فيجد المؤمن راحة عند نزع روحه ويقال له ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[(١)]. ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[(٢)]. ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾[(٣)]. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[(٤)]. تقرير: جهل المشركين وسفاهتهم في إنكارهم للبعث، ثم يقولون عند مشاهدة ما وعدوا به من الجزاء ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٥)].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ (٢٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (٢٦)﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ لما كان رسول الله ﷺ يعاني من

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٧.

(٢) سور الفجر الآية ٢٨ .

(٣) سورة الفجر الآية ٢٩ .

(٤) سورة الفجر الآية ٣٠ .

(٥) سورة الأنعام من الآية ٢٧ .

تكذيب قومه له بيّن الله له أن موسى قد عانى من قبله من فرعون، وهذا كان أشد قوة من مشركي مكة وقد أخذه الله والمراد هل بلغك حديث موسى مع فرعون ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أي: كلمه بالواد المقدس أي: المطهر واسم هذا الوادي: طُوى كما سبق ذكره ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: اذهب إليه بالرسالة فقد تكبر وعتى وجاوز القدر في الكفر ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: أليس لك أن تتوب إلى الله وتطيعه وتترك الطغيان والعناد ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ أي: أدلك على طاعة ربك فتخافه وتتقيه حتى تسلم من العذاب ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: أراه العصا التي تحولت إلى ثعبان ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ ولكن فرعون كذب ما قاله له موسى وعصى الله جهرا ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ أي: أعرض عن الحق وسعى في الأرض بالفساد ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ أي: جمع الناس في بلاده ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: لا رب لكم سواي، وكان قد قال لهم من قبل ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾[1]. ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: عذبه لادعائه الربوبية والألوهية. وقد يكون المراد أن الله عذبه في الدنيا بالغرق ويعذبه في الآخرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾

---

(١) سورة القصص من الآية ٣٨ .

أي: عظة وذكرى لمن يخشى الله عز وجل ويخافه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير تسلية الله لرسوله محمد ﷺ بأن رسوله موسى قد عانى من قبله من فرعون. وفيها: لطيفة هي: دعوة الله لرسوله إلى الصبر على معاناة قومه حتى يحين الأجل الذي حدده الله لنصره عليهم. وفيها: إثبات كلام الله لموسى عليه السلام كما قال عزوجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1]. وفيها: أن الله عذب فرعون عذابين عذابا لادعائه الألوهية، وعذابا لادعائه الربوبية أو يكون المراد أن الله عذبه في الدنيا بالغرق وضياع ملكه كما يعذب بعرضه على النار كما قال تعالى ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[2].

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٤٦ .

بيان الآيات:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ المخاطب هنا: منكرو البعث كمشركي مكة وغيرهم من الملحدين، والمراد هل خَلْقكم بعد الموت أصعب في زعمكم من خلق السماء والأرض؟ فالذي خلقهما وخلق الكون كله قادر على إعادتكم بعد موتكم لا تساوون شيئا مما خلق كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾(١). وقوله عز ذكره ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢). قوله ﴿بَنَىٰهَا﴾ أي: رفعها فوقكم تظلكم ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي: أعلى صنعها ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: جعلها كاملة الخلق مستوية لا عيب فيها كما قال تعالى ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(٣). ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: جعل ليلها مظلما وجعل نهارها مضيئا ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: بسطها وأوسعها لسكن الخلق فيها ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ أي: أخرج من الأرض العيون التي تتفجر بالماء وأنبت فيها مختلف النبات لمنفعة الإنسان والحيوان ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أي: ثبتها في الأرض وأرساها ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ والمراد أن

---

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة يس الآية ٨١ .

(٣) سورة الملك من الآية ٣ .

الله عزوجل لما بسط الأرض ويسرها لسكن خلقه جعل فيها العيون والأنهار، وأنبت فيها النبات بأنواعه إنما كان لمنافع الإنسان في سكنه وفي طعامه وشرابه وحيواناته التي جعلها منفعة له يركبها وينتفع من منتوجاتها ولحومها، فما أكفر الإنسان وهو يرى هذه النعم تتوالى عليه في كل لحظة من لحظات حياته، ثم ينكر على ربه قدرته في إعادته إلى الحياة مرة أخرى، وهو يعلم أنه الخالق الذي لا خالق غيره والقادر الذي لا قادر إلا هو.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وقوع البعث وكفر من ينكر ذلك كما قال تعالى ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[1]. تقرير: فضل الله على عباده بما هيأ لهم من المنافع والأسباب في حياتهم. وبما بيَّنه لهم من الأحكام والبراهين؛ لكي يهتدوا فلا يؤاخذهم بالعذاب.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا

(١) سورة التغابن الآية ٧.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٢﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٤﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: القيامة التي تسبقها النفخة الثانية فتطم كل شيء لهولها ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: يتذكر ما عمله من خير وشر لمعرفته أنه سوف يحاسب عليه في ذلك اليوم كما قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[1]. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي: أُظهرت بارزة؛ ليعرفها الناس، فيرى فيها الكافر مآله، ويرى المؤمن نعمة الله التي أنعم بها عليه فنجاه منها ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ أي: عتا وأعرض عن الحق ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: قدمها على الآخرة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: إن مصيره ومقامه في جهنم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: خاف وقوفه بين يدي الله عز وجل ومنع نفسه من اتباع شهواتها وهواها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: فإن الجنة ستكون مصيره ومقامه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ المراد أن كفار مكة سألوا

---

(١) سورة الفجر من الآية ٢٣ .

رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة، استهزاء وسخرية فكان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة فأنزل الله عز وجل هذه الآية[١]. وقوله ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: ليس لك السؤال عنها لأن منتهى علمها عند الله فلا تسأل عنها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي: إنما أنت مبلغ ومنذر للذين يؤمنون بها كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[٢]. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: كأن الكفار حين يرون القيامة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر عشية أو قدر الضحى.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الإنسان يتذكر في يوم القيامة ما قدمه من عمل يشفع له عند الله من هول ذلك اليوم، فالكافر يرى النار قد ظهرت له فيغتم بسبب سوء مصيره ومقامه، وأما المؤمن فيحمد الله على حسن مقامه بعد أن نجاه منها. تقرير: سوء عاقبة الطغاة الذي آثروا شهوات أنفسهم ونسوا أمر ربهم، تقرير: حسن عاقبة المؤمنين الذين منعوا أنفسهم من أهوائها وشهواتها. بيان: أن الله اختص نفسه وحده بعلم الساعة كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٠٩ .
(٢) سورة يس من الآية ١١ .
(٣) سورة لقمان من الآية ٣٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة عبس

مكية وآياتها ثنتان وأربعون آية

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾.

بيان الآيات:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ هذا عتاب فيه لطف من الله لرسوله محمد ﷺ، وسببُ هذا العتاب أن قوما من زعماء قريش كانوا عند رسول الله ﷺ، وكان يرغِّبُهُم في الإسلام طمعا في إسلامهم وإسلام من وراءهم من أتباعهم، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم وهو أحد المهاجرين وابن خال خديجة رضي الله عنها يسأل عن أمر من أمور دينه ورسول الله منشغل مع نفر من زعماء قريش يحادثهم وكان ابن أم مكتوم يقطع حديثه؛ لأنه لم ير من يحدث بسبب عدم رؤيته للحال التي كان عليها رسول الله

ﷺ مع زعماء قريش فتشاغل عنه رسول الله ﷺ وكره قطعه لحديثه فأعرض عنه، فلما ذهب عليه الصلاة والسلام إلى بيته نزل عليه قول الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[1] أي: قطب في وجهه وأعرض عنه ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ المراد به عبدالله بن أم مكتوم ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: بما كان يريد سماعه منك من تعليمه أمرا من أمور دينه ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ أي: يتعظ فتنفعه الموعظة ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي: من كان له مال وغنى فأنت تصغي له وتحادثه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: ليس عليك أمر هدايته، فما أنت إلا رسول وعليك البلاغ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ أي: يطلب الهداية ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي: يخاف الله ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي: تعرض وتتشاغل عنه ﴿كَلَّآ﴾ كلمة ردع أو نهي، والمراد لا تفعل مثل ما فعلت ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: هذه السورة أو آيات القرآن تذكرة وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: اتعظ به ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: هذا القرآن الذي ينزل عليك يا محمد مدوَّن في صحف مكرمة عند الله في اللوح المحفوظ، وهي مرفوعة عند الله أي: رفيعة القدر عنده ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ أي: مصونة من الدنس والعبث ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ أي: بأيدي الملائكة الذين ينسخون

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٠٧ .

هذه الصحف من اللوح المحفوظ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أي: كرمهم ربهم لصدقهم وطاعتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عتاب الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ عتابا لطيفا وفي هذا تعليم لأمته في وجوب المساواة بين الناس، وأن دين الإسلام دين العدل والمساواة لا فرق بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وسيد ومسود إلا بالتقوى لقوله عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١). وقول رسوله محمد ﷺ: **(لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)**(٢). تقرير: أمانة رسول الله ﷺ وصدقه حين بيّن عتاب ربه له كما نزل عليه دون زيادة أو نقصان. وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع مثال في الأدب والاستجابة لتوجيه ربه، فقد كان يدني ابن أم مكتوم ويقول له: **(مرحبا بالذي عاتبني فيه ربي)** وقد ولاه على المدينة مرتين(٣).

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ

---

(١) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٤١١، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨ ص٨٤ .

(٣) تفسير البغوي ص١٣٨٢، والجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢١٣ .

أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أي: لعن الإنسان المكذب بالبعث، وقيل: المراد عتبة بن أبي لهب فكان قد آمن، فلما أنزلت سورة النجم قال: آمنت بالقرآن كله إلا النجم فلُعِنَ لكفره بالقرآن[1] ولعل المراد عموم الإنسان حين يكفر بآيات الله ويكذب رسوله قوله تعالى ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي: من أي شيء كان خلق هذا الكافر حتى يتكبر ويكفر فقد خلقه الله من نطفة، وهي ماء مهين، ثم قدَّر تكوينه وخلقه ورزقه، ويسر له الخروج إلى الدنيا بعد أن أصبح بشرا سويا وهيأ له أسباب الحياة وهو معنى قوله تعالى ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ قوله ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي: بعد أن تكامل خلقه واستوفى أجله جعل له قبرا يستر عورته ويوارَى فيه، وفي هذا كرامة له وتمييز له عن الحيوانات ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢١٧ .

أي: يحييه بعد موته كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]. ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي: لم يفعل هذا الكافر ما أُمِر به من توحيد الله وطاعته ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ لما بيَّن عز وجل إنكاره على الإنسان الذي يكفر بآيات الله ويكذب رسوله رغم ما أنعم الله به عليه من نعمه أمره أن يتفكر فينظر إلى طعامه الذي لم يكن ليحصل عليه لولا قدرة الله ونعمته عليه وتيسيره له ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ أي: أنزلنا المطر الكثير ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ أي: شقت بالحرث شقا ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي: قمحا وغيره من أنواع الحبوب ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ العنب معروف والقضب القت لكونه يقضب أي: يقطع عدة مرات ﴿وَزَيْتُونًا﴾ أي: الزيتون المعروف ﴿وَنَخْلًا﴾ أي: النخيل المعروفة ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ أي: بساتين عظيمة الأشجار ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ أي: ثمار شجر العنب والتين وغيرهما من أنواع الفاكهة ﴿وَأَبًّا﴾ أي: تبنا لطعام البهائم ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ أي: هذه النباتات التي خلقها الله جعلها طعاما لكم ولحيواناتكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعم الله على الإنسان منذ أن كان نطفة إلى أن يصبح

---

(١) سورة الروم من الآية ٢٧.

بشرا سويا ثم يستوفي أجله. ومن هذه النعم: تيسير سبل الحياة له، ودعوته للنظر والتأمل في نعم الله عليه، كإنزال المطر وإنبات النبات لطعامه وحيواناته. تقرير: عجب الله من هذا الإنسان الذي يعرف نعم الله عليه ثم يجحدها، فيكفر بآيات الله ويكذب رسوله وينكر البعث كما قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[1]. ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾[2].

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ لما ذكر الله عز وجل نعمه على الإنسان ذكَّره بما سيؤول إليه عند مجيء الصاخة وهي النفخة الثانية، حيث تصِخُّ الآذان فتصمها لهولها وعظمها ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ أي: يوم تجيء الصاخة يهرب المرء من موالاة أخيه ﴿ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴾

(١) سورة يس الآية ٧٧ .

(٢) سورة يس الآية ٧٨ .

﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: لكل منهم شأن يشغله عن أقرب الناس إليه وأعزهم عنده. وقيل: في تقديم الأخ هنا في الفرار على الأبوين والزوجة والولد أنه للمبالغة. أي: أن المرء يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه[1]. ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ أي: مضيئة ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أي: مسرورة ومستبشرة بعدما علمت بنجاتها من هول ذلك اليوم وما أعد لها من النعيم ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ أي: يغشاها دخان وغبار ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أي: تغشاها ظلمة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ أي: هؤلاء هم الذين كفروا وفجروا في الدنيا فاستحقوا ما ينالهم من الذل والهوان والعذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حالة الإنسان يوم تقوم الساعة وانشغاله بنفسه فلا ينظر إلى من هم أقرب الناس إليه في الدنيا؛ لأن كل واحد منهم منشغل بنفسه، فلا يسأل عن الآخر. تقرير: أن الإنسان يكون في ذلك اليوم على قسمين إما مستبشر بما أنعم الله به عليه من الكرامة؛ جزاء عمله في الدنيا ورحمة الله له، وإما ذليل تعلوه الكآبة لما يراه من مصيره لقاء كفره وفجوره في الدنيا.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج٣١ ص٦٥، وتفسير البيضاوي ج٢ ص٥٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكوير

مكية وآياتها تسع وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: أظلمت وذهب ضياؤها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: تهاوت على الأرض ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: اضطربت وأزيلت عن مواقعها فأصبحت هباء منثورا ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: النُّوق الحوامل أهملها أهلها وتركوها ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت للحشر كما قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1]. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: تأججت نارا

(١) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ أي: قرنت كل نفس بقرينها، فيقرن المؤمن مع المؤمنين لقوله تعالى ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾[١]. ويقرن الكافر مع الكافرين كما قال تعالى ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾[٢]. وقوله ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾[٣]. قوله ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ الموءودة: هي الجارية التي كان العرب في جاهليتهم يدفنونها حية خشية العار فتسأل يوم القيامة: لماذا قتلت؟ أو هي تسأل: لماذا قتلها أهلها؟ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ أي: بسطت صحائف الأعمال فيعرف كل امرئ عمله ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ أي: قلعت ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ أي: أوقدت للكافرين ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ أي: دنت وأعدت للمتقين الأبرار ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ هذا هو الجواب أي: إذا حدثت هذه الوقائع من تكور الشمس وغيرها من آيات الكون، فحينئذ تعلم كل نفس ما عملته من خير أو شر وأحضر لها لتراه كما هو كما قال تعالى ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾[٤].

---

(١) سورة الواقعة الآية ٨ .

(٢) سورة الصافات الآية ٢٢ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٩ .

(٤) سورة آل عمران من الآية ٣٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الوقائع الكونية التي تحدث عند بداية وقوع القيامة وفي ذكر هذه الوقائع تحذير للإنسان من الشرك والمعاصي وأنواع الظلم للأبرياء. وفيها: حث لذوي العقول والبصائر أن يعرفوا أن هذه الوقائع مقدمة ليوم شديد، لن ينفع المرء فيه إلا عمله الذي عمله في الدنيا.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ لما ذكر الله عز وجل الوقائع الكونية التي ستكون مقدمة ليوم القيامة قال عز ذكره ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ أي: أقسم و(لا) للردّ على ما يعتقده المخاطب و(الخنس) النجوم التي تخنس بالنهار وتظهر في الليل ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ أي: التي تظهر

في الليل ثم تستتر في مغيبها وقيل: (الخنس الجوار الكنس) هي: الكواكب الخمسة زُحَل، والمشتري، وعطارد، والمريخ، والزهرة؛ لأنها تخنس في مجراها وتكنس أي: تستتر ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ أي: أقبل ظلامه أو أدبر ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: أضاء وأصبح نهارا ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ هذا هو جواب القسم والرسول الكريم جبريل والمراد أن هذا القرآن الذي نزل على محمد هو تبليغ من رسول كريم هو جبريل ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ أي: ذو قوة شديدة وهو عند الله مكين أي: ذو مكانة ومنزلة ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ أي: مطاع في السموات وهو مؤتمن على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ المراد به محمد ﷺ وهذا تكذيب للمشركين الذين اتهموه بالجنون ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي: رأى محمد ﷺ جبريل الذي يأتيه بالوحي على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ أي: ليس محمد بمتهم فيما أنزله الله إليه من الوحي والقرآن ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ أي: ما هذا القرآن بقول شيطان رجيم كما تزعمون أيها المشركون، وإنما هو كلام الله أنزله من اللوح المحفوظ وحرسته الملائكة من الشياطين ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ أي: فأين يذهب تفكيركم وعقولكم فيما تقولون عن القرآن وعن محمد من الكذب ثم قال تعالى ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: أن

هذا القرآن موعظة وهدى للعالمين وزجرٌ لهم عن المعاصي ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: من يشاء أن يتبع الحق ويهتدي، فعليه أن يهتدي بالقرآن، ثم بيَّن أن الهداية منه عز وجل وليست بيد أحد من خلقه كما قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله عز وجل بآياته ومخلوقاته، وقسمه عظيم في ذاته وفي المقسم عليه. ومن الأحكام: تقرير نبوة ورسالة رسول الله ﷺ، ومنها: تنزيه رسوله محمد ﷺ عما يفتريه المشركون. ومنها: تقرير رؤية رسول الله ﷺ لجبريل على هيئته التي خلقه الله عليها وهي الرؤية الأولى كما قال تعالى ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1]. ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[2]. ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[3]. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[4]. ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[5]. أما الرؤية الثانية فكانت عندما عرج به عليه الصلاة والسلام إلى السماء لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[6].

(١) سورة النجم الآية ٥ .

(٢) سورة النجم الآية ٦ .

(٣) سورة النجم الآية ٧ .

(٤) سورة النجم الآية ٨ .

(٥) سورة النجم الآية ٩ .

(٦) سورة النجم الآية ١٣ .

﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾[١]. ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾[٢]. تقرير: أمانة رسول الله ﷺ فيما أوحاه الله إليه لإبلاغه إلى الناس كافة. بيان أن القرآن كلام الله الذي أنزله من اللوح المحفوظ محروسٌ من الشياطين، وأن الله أنزله ذكرا وهداية للعالمين لمن أراد منهم أن يهتدي به إلى الطريق القويم ويستقيم عليه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الانفطار

مكية وآياتها تسع عشرة آية

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾.

---

(١) سورة النجم الآية ١٤ .

(٢) سورة النجم الآية ١٥ .

بيان الآيات:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت عند قيام الساعة ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أي: تساقطت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: اختلط بعضها ببعض ففارت مياهها ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: قلبت وأخرج من فيها من الأموات ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي: بعد انفطار السماء وانتثار النجوم، وتفجر البحار، وتبعثر القبور تعلم كل نفس حينئذ ما قدمت من العمل وما أخرته منه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ المخاطب بهذا منكر البعث والحساب والمراد ما هو الذي جعلك تغتر فتكفر بربك ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ من نطفة ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ أي: كونك في بطن أمك ﴿فَعَدَلَكَ﴾ أي: جعلك سوي الخلق وأسبغ عليك نعمه ثم تكفر به ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أليس هو الذي صوَّرك في أحسن صورة وجعل لك شبها بأمك أو أبيك أو خالك ولو شاء لجعلك في أسوأ الصُّور وأقبحها، أليس هذا هو الله الذي يستحق أن يطاع ويعبد ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون بأنه ليس هناك بعث ولا نشور ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: إن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها ويحصونها عليكم فلا يخفى عليهم منها شيء فلا تؤذوهم بالأعمال السيئة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الوقائع الكونية وقت قيام الساعة وما يترتب على ذلك من بسط صحائف الأعمال؛ لترى كل نفس ما قدمته من عمل كان واجبا عليها وما أخرته منه. التنديد: بالغرور والتنكر لنعم الله على العبد في خلقه من العدم، وفي تسويته وتصويره في أحسن الصور. التحذير: من التكذيب بيوم القيامة، تقرير: وجود الملائكة الذين يحفظون ويكتبون أعمال العباد ويحصونها وما يجب من إكرامهم وعدم إيذائهم بالأعمال السيئة. وفي ذلك: روي أن رسول الله ﷺ قال: **(أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الخراءة أو الجماع فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو بغيره أو ليستره أخوه)**[1].

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ هذا وعد من الله للأبرار بالنعيم وهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٤٨، والدر المنثور ج٥ ص٥٣٥ .

الذين وحدوا الله وعبدوه وأطاعوه واجتنبوا معاصيه ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ وهذا وعد آخر للفجار بأن لهم الجحيم وهم الذين عصوا الله واتبعوا أهواءهم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يصلون الجحيم يوم الحساب والجزاء ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ أي: لن يغيبوا عن هذا العذاب لحظة واحدة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ هذا تعظيم لشأن هذا اليوم وما فيه من الأهوال ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يملك أحد نفعا لأحد، فلا يشفع قريب لقريبه ولا صديق لصديقه؛ لأن الأمر يومئذ بيد الله وتحت مشيئته وتدبيره وتصرفه كما قال عز وجل ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الناس يوم القيامة فريقان: الفريق الأول: الأبرار، وهؤلاء أصحاب النعيم؛ لأنهم أطاعوا الله وعبدوه واجتنبوا معاصيه. أما الفريق الثاني فهم الفجار وهم على النقيض من الأبرار؛ لأنهم عصوا الله وكفروا بآياته وكذبوا رسوله. تقرير: وجوب تعظيم يوم الدين؛ لما فيه من نشر الأعمال وحساب العباد. وأن أحدا لا ينفع أحدا يوم القيامة فلا يشفع قريب لقريبه، ولا صديق لصديقه؛ لأن الأمر كله بيد الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين

مكية وآياتها ست وثلاثون آية

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في الكيل: بخسه، فالمطفف يزيد في الكيل إن كان له، وينقص منه إن كان لغيره، قيل: إن أهل المدينة كانوا فيما مضى من أسوأ الناس كيلاً، فكان لأحدهم مكيالان، مكيال يبيع به، ومكيال يشتري به، فلما نزلت هذه الآية أصبحوا من أفضل الناس في تعاملهم إلى هذا اليوم ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: إذا اكتالوا من الناس استوفوا منهم بالزيادة ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: إذا كالوا أو وزنوا لغيرهم أنقصوهم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ هذا تهديد ووعيد والمراد ألا يظن أولئك الذين يبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن أنهم مبعوثون ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: يوم الحساب والجزاء فيقتص كل مظلوم من

ظالمه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: ألا يخافون من ذلك اليوم الذي يقف فيه العباد بين يدي ربهم للحساب والجزاء، وكل واحد منهم يتمنى أنه ما عمل من سوء.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: تحريم التطفيف في الكيل أو الوزن، أو في كل عمل يتعامل به الناس مع بعضهم كما قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾[1]. تقرير: التهديد والوعيد لكل من ينقص الكيل أو الوزن. تقرير: هول يوم القيامة وعِظَمِه حين يقف العباد بين يدي ربهم حفاة عراة غرلا كما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **(حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه)**[2].

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) سورة الرحمن الآية ٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، برقم (٤٩٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٦٥.

لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ السجين: المكان الضيق، وقيل: هو أسفل الأرض السابعة وكلمة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: كتاب تدون فيه أعمال الفجار وأقوالهم السيئة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم مما سوف يصيرون إليه من الضيق كما قال تعالى ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[١]. قوله ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: ويل للذين لا يصدقون بيوم القيامة ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: ما يكذب بهذا اليوم إلا فاجر وظالم ومعتد على حرمات الله وآثم في فعل المعاصي. قيل: المراد بهذا الوليد بن المغيرة وأبو جهل[٢] وهو عام في كل من كانت هذه صفته ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إذا يتلى عليه القرآن قال: هذا أحاديث القرون الأولين وأباطيلهم.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كلا ليس القرآن أساطير

---

(١) سورة الفرقان الآية ١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٥٩ .

الأولين كما زعموا كذبا، وإنما ران على قلوبهم أي: غطاها أثر معاصيهم وخطيئاتهم التي كسبوها ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي: حقا إن هؤلاء الفجار محجوبون عن رؤية ربهم يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: مقيمون فيها ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم: هذا هو العذاب الذي كنتم تستهزئن به وتكذبون رسل الله بما ينذرونكم به.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أنّ كتاب الفجار في سجين، تكتب فيه أقوالهم وأعمالهم السيئة. تقرير: الويل للذين يكذبون بيوم القيامة، وأنه لا يكذب بهذا اليوم إلا كل معتد على حرمات الله آثم في أعماله وأقواله. تقرير: أن الخطايا والذنوب تحجب القلوب عن قبول الحق، وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله تعالى**) ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1]. تقرير: رؤية الله عز وجل يوم القيامة لأهل الجنة الأبرار، ويحرم منها أهل الشقاوة والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٧٤)، من سورة المطففين، برقم (٣٣٣٤)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٠٤، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، برقم (٤٢٤٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤١٨ . وسُقِلَ أو صُقِلَ قلبه معناهما واحد أي: نقِّيَ قلبه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ﴿كَلَّآ﴾ أي: حقا إن كتاب الأبرار لفي عليين، والأبرار: هم الذين خافوا الله واتقوه، فكانت كل أعمالهم برا وطاعة له، فكتابهم في المنزلة العليا قيل: هي السماء السابعة وقيل: الجنة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تعظيم لشأنه ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ أي: معلَّم بأسمائهم ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشهد المقربون في كل سماء عملهم فيحفظه الله لهم حين يلقونه ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ هذا توكيد لما للأبرار من النعيم المقيم يوم يقدمون عليه ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: على السرر تحت الحجال ينظرون إلى ربهم، خلافا للفجار الذين حجبتهم سيئاتهم وخطاياهم عن رؤية ربهم ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: تعرف في وجوههم إذا رأيتهم علامات السرور والفرح بما أكرمهم به ربهم في ذلك المقام العظيم ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ أي: تكون سقياهم

من الرحيق وهو خمر الجنة ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ أي: آخر طعم هذا الشراب المسك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي: في هذا النعيم الذي أعده الله للأبرار، فليبادر المتبادرون الذين يحبون أن تكون لهم هذه الكرامة العظيمة ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ أي: مزاج الرحيق من شراب يسمى تسنيماً وهو أشرف شراب أهل الجنة ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشرب منها المقربون صرفا بدون مزج.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما أعد الله للأبرار وهم أهل الطاعة والصدق والإخلاص من الكرامة العظيمة ومن ذلك: نظرهم إلى وجه ربهم وهو أعظم ما يتمناه أهل الجنة. التوكيد: على حقيقة البعث والحساب والجزاء. وأن الأعمال الصالحة تحقق لأصحابها النعيم، وهذا يقتضي التنافس في العمل الصالح للوصول إلى تلك الدرجة العظيمة درجة الأبرار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ هذا بيان من الله عن نفر من كفار قريش، كانوا يستهزئون بالمؤمنين وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وعقبة ابن أبي معيط والأسود بن عبد يغوث والعاص بن وائل السهمي وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث والعاص بن هشام[١] ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ أي: كانوا يستهزئون ويسخرون من أصحاب رسول الله ﷺ كخباب وصهيب وبلال وعمار[٢] ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ أي: إذا رأوهم يذهبون إلى رسول الله ﷺ تغامزوا بينهم استهزاء بهم ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ﴾ أي: إذا ذهبوا إلى أهلهم وأصحابهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ أي: يتفكهون بالاستهزاء والسخرية بالمؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ ﴾ أي: إذا رأى هؤلاء المجرمون أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي: في إيمانهم بالإسلام واتباعهم لرسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ أي: لم يوكَّلوا بمراقبتهم، وإنما هدفهم إيذاؤهم والتنقص منهم ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: برسول الله ﷺ وصدقوه واتبعوه ﴿مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ أي:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٦٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٦٧ .

يضحكون بما يصيبهم من العذاب والمهانة مقابل ما كان يسخرون منهم ويستهزئون بهم في الدنيا ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينظرون إلى الله الذي رضي عنهم وأرضاهم وأكرمهم في دار كرامته ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أي: هل تم الجزاء للكفار مقابل ما كان يفعلونه من السخرية بالمؤمنين ؟ والجواب: نعم وذلك بما أعده الله لهم من العذاب المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الوعيد للمجرمين الذين كانوا يستهزئون بالمؤمنين وهذا حكم عام لكل من يسخر أو يستهزئ بأولياء الله المتقين فيتنقصهم في دينهم أو يؤذيهم. تقرير أن الجزاء من جنس العمل فالمجرمون الذين يضحكون من المؤمنين في الدنيا سوف يضحك منهم المؤمنون في الآخرة؛ لأن الله جازاهم بالنعيم؛ لقاء صبرهم وتحملهم لأذى الفجار كما قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[١]. تقرير: أن المؤمنين ينظرون يوم القيامة إلى ربهم خلافا للكافرين الذين يحجبون عنه.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٩.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

مكية وآياتها خمس وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ أي: تصدعت وانفطرت وذلك عند قيام الساعة وتغير الكون ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي: استجابت لأمر ربها وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه فهو الذي أوجدها وصنعها ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ أي: بسطت وزادت سعتها ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾ أي: أخرجت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم بعد أن كانت تضمهم ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي: استجابت لأمر ربها

في إلقاء ما فيها من الموتى وحق لها أن تفعل؛ لأنه الذي أوجدها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ أي: يا ابن آدم إنك تسعى إلى الله، إما بالخير الذي أمرك به، أو بالشر الذي نهاك عنه وسوف يجزيك على عملك بحسبه خيرا أم شرا، فاختر أيهما شئت ثم قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ والمراد به المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: حسابا غير شاق بل يسأل مجرد سؤال فيعترف بفضل الله عليه فيؤتى كتابه بيمينه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا ومغتبطا بهم وبما أنعم الله عليه من إدخاله دار كرامته ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ أي: تقسر يده وراء ظهره فيأخذ كتابه بشماله ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ أي: يدعو بالويل والثبور ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: يصلى بحَرِّ النار ولهيبها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: كان في الدنيا بين أهله لا يفكر في أمر ولا نهي ترك أوامر الله وراء ظهره واتبع هواه ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: زعم أنه لن يبعث بعد موته فيحاسب ويجازى بكل عمل عمله ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: ليس الأمر كما يتصور هذا المنكر للبعث، بل سوف يحور أي: يرجع إلى الله ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي: عالما به، فهو الذي خلقه وهو الذي يميته ثم يعيده إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن الإنسان سوف يلاقي ربه لا محالة، وفي هذا حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (**قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه**)[1]. تقرير: أن المؤمنين يحاسبون حسابا يسيرا، لا نقاش فيه؛ لما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**ليس أحد يحاسب إلا هلك**) قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: (**ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك**)[2]. تقرير: أن الذين يتنعمون في الدنيا ويتركون ما أمرهم الله به سوف يؤتون كتبهم بشمائلهم يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يدعون بالويل والثبور ندما على فعلهم وتفريطهم.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره، ج٤ ص٤٨٩، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١٠ ص٢١٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ج١ ص٤٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٩٣٩ .

﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ الشفق: الحمرة في السماء خاصة عند غياب الشمس والمراد أقسم و(لا) صلة ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي: ما جمع، ولأن الليل يضم ما كان منتشرا في النهار ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ أي إذا ابتدر نوره ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ والمراد لتركبن حالا بعد حال أي: الموت بعد الحياة ثم الحياة بعد الموت أي يوم البعث ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي فما للناس لا يؤمنون بيوم القيامة، وقد جاءتهم الآيات والنذر والرسل فكل هذه مدعاة لهم أن يؤمنوا لكي يسلموا من العذاب ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أي ومالهم أيضا إذا سمعوا القرآن يتلى عليهم وفيه المواعظ والدلائل لا يسجدون أي لا يخضعون لعظمة الله وما أمرهم به ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾

أي يكذبون بآيات الله ويكذبون رسوله محمدا ﷺ ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: يعلم ما يخفونه في قلوبهم من التكذيب وقول الباطل ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: اخبرهم بأن لهم عذاباً أليماً سيلاقونه يوم القيامة وتبشيرهم هنا للسخرية منهم. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة يا نبينا محمداً ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۢ﴾ أي: ليس فيه انقطاع أو نقص.

أحكام ومسائل الآيات:

أقسم الله العظيم بأن الإنسان يمر منذ كينونته بحال بعد حال إلى أن ينتهي إلى ربه، فيجازى حينئذ بعمله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر. تقرير: العجب من أولئك الذين لا يؤمنون ويستكبرون عن الصلاة وعن الخضوع لله، وقد جاءتهم الآيات والنذر. البيان بأن الله يعلم خفايا قلوب العباد، وهذا يقتضي من ذوي القلوب الواعية والبصائر النافذة أن يدركوا أنهم محاسبون على كل كبيرة وصغيرة وأن الحياة الدنيا هي ميدان العمل الذي يدخر ليوم لا ريب فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البروج

مكية وآياتها ثنتان وعشرون آية

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هذا قسم من الله عز وجل وقسمه أعظم قسم في الوجود. والبروج قيل: هي النجوم وتسير الشمس في كل برج منها شهراً، وهي: الحَمَل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، ويسير القمر في كل برج منها يومين وثلث اليوم، وذلك ثمانية وعشرون يوما، ثم يستتر ليلتين. وقيل: البروج قصور السماء، والعرب

تقول للقصور البروج كما قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١].

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة وقد أقسم الله به ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ هذا جواب القسم وقتل بمعنى: لُعِن والأخدود: الحفر، وهذا بيان عن قوم من الكفار قيل: إنهم كانوا في نجران في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ كان بينهم مؤمنون فقهروهم وأرادوا منهم الرجوع عن إيمانهم فأبوا فحفروا لهم أخدودا وجعلوا فيه نارا وألقوهم فيه[٢] فلعنهم الله ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ أي: أحرقتهم النار ذات الوقود وهي الالتهاب ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ المراد بهم الذين شَقُّوا الأخدود ووضعوا فيه المؤمنين ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: كانوا يحضرون إلقاء المؤمنين في الأخدود إذا لم يرجعوا عن دينهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما نقم هؤلاء الكفار من الذين وضعوهم في الأخدود إلا أنهم آمنوا بالله وصدقوا آياته ﴿الْعَزِيزِ﴾ أي: الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ أي: المحمود في كل حال وزمان ومكان ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: المالك لهما المتصرف فيهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالم بأحوال خلقه وشاهد عليها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٨٣، والآية في سورة النساء من الآية ٧٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٩٥-٤٩٦ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي: أحرقوهم في الأخدود ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ من سوء عملهم ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بسبب إصرارهم على الكفر ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي: لهم في الآخرة عذاب وحريق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: هؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوا بآياته وصبروا على ما نالهم من عذاب قومهم الكفار ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: أخلصوا في أعمالهم ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ﴾ أي: بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ أي: تجري من تحتها أنهار المياه واللبن والخمر والعسل المصفى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: هذا هو الفوز العظيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل يوم الجمعة، ففي الحديث: (**ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه**)[1]. تقرير: فضل يوم عرفة وفيه: قول رسول الله ﷺ: (**ما رُئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة**)[2]. تقرير: ما قد يتعرض له المؤمنون من العذاب؛ بسبب

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٧٦)، من سورة البروج، برقم (٣٣٣٩)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٠٦.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب جامع الحج، برقم (٩٥٤) ص٢٩١.

صبرهم على دينهم كما هي حال المؤمنين الذين ألقوا في الأخدود فكانت عاقبة صبرهم الجنة.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ هذا جواب آخر لقسمه عز وجل والمراد أنه ينتقم من الظالمين والفجار الذين يكذبون بآياته ويؤذون المؤمنين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدأ خلق الخلق ثم يميتهم ثم يعيدهم إليه ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده ويسترها وهو ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ الذي يحب أولياءه ويغفر لهم ذنوبهم ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ أي: خالق العرش ومالكه وهو المجيد أي: العظيم في خلقه وتدبيره ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: يفعل ما يشاء بإرادته وحكمته ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أي: قد أتاك يا محمد نبأ الكفرة الذين كذبوا أنبياءهم ورسلهم وكفروا بالله وآياته، وفي مقدمتهم فرعون الذي جاءته الآيات فكذب بها واستكبر، وثمود

الذين أرسلت لهم الآية وهي الناقة فعقروها وكذبوا رسولهم ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾ أي: أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بما جئت به يكذبونك، مثلهم في ذلك مثل من سبقهم من الكافرين ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ أي: قادر على أن يفعل بالذين كذبوك مثل ما فعل بفرعون وثمود من إهلاكهم بالعذاب ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ أي: قرآن عظيم في آياته ومعانيه، وهذا رد على المشركين الذين قالوا: إنه سحر، أو شعر، أو كَهانة، ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ أي: حفظه الله من وصول الشياطين إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن الله ينتقم في الدنيا والآخرة من الظلمة الذين يكذبون بآياته ورسله. تقرير: البعث والحساب والجزاء. تقرير: أن الله يتودد إلى أوليائه فيرحمهم ويغفر ذنوبهم، وتسلية رسول الله ﷺ بأن تكذيب قومه له لم يكن بدعا، بل سبقتهم أمم في تكذيبهم لرسلهم كفرعون وقومه وثمود قوم صالح. الحكم: بأن الله محيط بما يفعله المكذبون لرسوله وقادر على أن يهلكهم بالعذاب كما أهلك من كان قبلهم من المكذبين . تقرير: عظمة القرآن، وأن الله قد أودعه عنده في اللوح المحفوظ، فلا تمسه ولا تقربه الشياطين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق

مكية وآياتها سبع عشرة آية

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذا قسم من الله بالسماء وما فيها من الكواكب والطارق النجم وقد فسره الله بقوله عز وجل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أي: النجم المتوهِّج وقيل: إنه الذي يرى في الليل ويختفي في النهار ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا هو جواب القسم والمراد أن كل نفس عليها حافظ يحفظ عملها ويحصيه؛ لكي تجازى عليه. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي: يجب أن يتدبر الإنسان حقيقة وجوده، وليعلم أن الذي خلقه من العدم إلى الوجود قادر على أن يبعثه بعد مماته فقوله ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام، وجوابه قوله تعالى ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي: من المني الذي يخرج دفقا أي: صبا من الرجل والمرأة

فيستقر في رحم المرأة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: يخرج هذا الماء من الظهر بالنسبة للرجل ومن الترائب وهي عظام الصدر بالنسبة للمرأة ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ أي: إن الله الذي خلقه من هذه النطفة وكوَّنه وجعله بشرا سويا لقادر على إعادته بعد موته ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تكشف السرائر وتظهر الحقائق في ذلك اليوم يوم القيامة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي: ليس للإنسان من قوة تعينه أو ناصر ينصره، وإنما هي أعمال تحصى ويجزى أصحابها بما عملوا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن كل نفس عليها حافظ يحصي أعمالها أو يحفظها من الآفات، وأن الله الذي خلق الإنسان قادر على بعثه بعد موته. تقرير: أن أعمال العباد محصاة عليهم ويوم القيامة تكشف السرائر؛ لما ثبت عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان بن فلان**)[١].

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، برقم (٦١٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٧٨ .

بيان الآيات:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ هذا قسم من الله بالسماء ذات الرجع أي: ذات المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ وهذا قسم آخر بالأرض التي تتصدع عن النبات والثمار والأشجار ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ هذا جواب القسم والمراد أن القرآن حق منزل من عند الله، يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي: ليس باللغو أو الباطل، فحاشاه من ذلك لأنه كلام الله ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ أي: إن أعداء الله المكذبين بآياته يمكرون برسوله وأصحابه ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ أي: سوف أجازيهم بالاستدراج جزاء كيدهم ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: أنظرهم ولا تستعجل عليهم ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ أي: قريبا، وقد نسخت هذه الآية بآية القتال في قوله تعالى ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القرآن حق منزل من عند الله، وقد فصل فيه بين الحق والباطل، وجعله هداية لمن يريد اتباع الحق، وفصل فيه الحلال والحرام

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٥٣٥، والآية في سورة التوبة من الآية ٥ .

فمن آمن به وصدقه واتبع مافيه فقد نجا، ومن خالفه فقد ضل، لما رواه علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله)**[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأعلى

مكية وآياتها تسع عشرة آية

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾.

بيان الآيات:

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، برقم (٢٩٠٦) سنن الترمذي ج٥ ص١٥٨، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، برقم (٣٣٣١)، سنن الدارمي ج٢ ص٥٢٦ .

ينزه ربه عن الأضداد والأنداد، وأن يعظمه ويمجده ويذكره في خشوع و خضوع وأمر الله لرسوله بتسبيحه أمر لأمته فتكون ملزمة باتباعه كما التزم بها رسوله ﷺ. قوله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: أتقن خلقه وصنعه ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: الذي قدَّر الأقدار ودوّنها وهدى كل من أراد له الهداية ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: جعل للحيوانات ما تأكله من النبات ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ أي: جعله هشيما بعد أن كان مخضَرّاً ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: سنقرئك يا نبينا محمداً القرآن، فلا تنسى ما يلقى إليك؛ ذلك أن رسول الله ﷺ كان يتلقى القرآن من جبريل فيحفظه، مع أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ وهذا من خصائصه ومعجزاته عليه الصلاة والسلام ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: يستثنى من ذلك ما شاء الله أن ينساه؛ لأنه أنزله ثم نسخه لحكمة أرادها وقدر قدره ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه في أنفسهم، فلا يغيب عنه شيء من أقوالهم وأعمالهم ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نوفقك للشريعة اليسرى التي لا تثقل عليك ولا على أمتك وقد صدق عز وجل، فجعل شريعة الإسلام أيسر وأرحم شريعة وجدت على الأرض ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: ادع قومك بالموعظة، سواء نفعتهم الموعظة أم لم تنفعهم؛ لأنك رسول مبلغ، أما الهداية فبيد الله وتوفيقه.

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: سيذكر من يخاف الله ويتقيه ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ أي: يتجنب الموعظة الذي كتب الله عليه الشقاوة؛ بسبب سوء عمله ﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ أي: نار الآخرة وما فيها من الأهوال ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أي: لا يموت موتا أبديا فيستريح من العذاب، ولا يحيا حياة يتلذذ فيها وإنما هو في عذاب أبدي.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب تسبيح الله في السر والعلن، وهذا يقتضي تنزيهه عن الاضداد والأنداد وتعظيمه وتمجيده، ومن المشروع عند الابتداء بسورة الأعلى أن يقول القارئ (سبحان ربي الأعلى)؛ لأن رسول الله ﷺ كان يقولها عند قراءته لها. ومن الأحكام: أن الله يسر الشريعة التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قول الله عز وجل ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1]. وقوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[2]. وأما السنة فقول رسول الله ﷺ: (**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**)[3]. ومن مسائل هذه الآيات: فضل سورة الأعلى فقد قرأها

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة التغابن من الآية ١٦ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٦١٢ .

رسول الله ﷺ في الركعة الأولى من صلاة العيدين وكان يقرؤها يوم الجمعة وفي الوتر.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: فاز بجنات الله ونعيمه من حصَّن نفسه بتوحيد الله وطاعته وطاعة رسوله وطهرها من المعاصي والأدران والأخلاق الفاسدة ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ أي: استذكر اسم ربه في كل لحظة من لحظات حياته، كأنه يراه ويراقبه وصلى الصلوات الخمس المفروضة وصلى النوافل ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إنكم أيها الناس أو أكثركم تفضلون الحياة الدنيا ومفاتنها وبريقها الفاني على الآخرة ونعيمها الباقي كما قال تعالى ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: إن معنى قوله عز وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ وما بعدها مدون في الصحف الأولى وهي ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ أي: الكتب المنزلة عليهما وهي عشر صحف نزلت على إبراهيم والتوراة على موسى.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وعد الله ووعده الحق بالفوز بالجنة والنجاة من النار لمن حصن نفسه بطاعة الله وزكاها من الرذائل، واستذكر اسم ربه عند نومه وعند يقظته وفي لحظات حياته وصلى الصلوات بفرائضها ونوافلها مطيعا لله ينتظر ثوابه ويخاف عقابه. التنديد: بإيثار الحياة الدنيا واللهو فيها عن الآخرة وفي هذا: قال رسول الله ﷺ: **(من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى)**[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الغاشية

مكية وآياتها ست وعشرون آية

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ أي: هل جاءك يا نبينا محمداً حديث الغاشية أي: القيامة التي تغشى الناس بأهوالها وأفزاعها

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٤١٢، والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ ص٣٧٠ .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أي: يكون يوم القيامة وجوه ذليلة فزعة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: مرهقة من العذاب ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: تقاسي وتعاني من لهيب النار وحرارتها ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي: تشرب من عين بلغ ماؤها أشد الحرارة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ الضريع شجر له شوك أي: ليس لأصحاب هذه الوجوه الخاشعة في النار إلا طعام خبيث الطعم، كريه الرائحة قبيح اللون ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ أي: أن أكل هذا الطعام لا يسمن صاحبه ولا يغنيه من جوع يعاني منه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة البعث وواقعة الجزاء والحساب يوم الغاشية أي: يوم القيامة. تقرير: واقعة العذاب للكافرين وما سيكون عليه شرابهم وطعامهم.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ لما بيَّن الله عز وجل حال الكفار وما ينالهم

يوم القيامة من العذاب، بيَّن حال المتقين، وأن وجوههم ناعمة أي: منضرة في ذلك اليوم؛ بسبب أعمالهم في الدنيا وطاعتهم لله ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: راضية في الآخرة؛ لعملها الذي عملته في الدنيا حيث أصبحت مكانتها في الآخرة ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أي: لا تسمع في هذه الجنة لغوا أو كذبا أو قولا باطلا ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي: تتدفق بكل أنواع الشراب اللذيذ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ أي: عالية بهيَّة ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أي: أباريق وأوان جميلة ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد متناسقة ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: بسط متفرقة معدة لجلوسهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذين سعوا في الدنيا بالأعمال الصالحة يرضون عن أنفسهم يوم القيامة، ويرضون بما أعطاهم ربهم من النعيم المقيم.

تقرير: ما أعد الله للمتقين من النعيم المقيم في الجنة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لما بيَّن الله عز وجل مآل الأشقياء ومآل السعداء يوم القيامة، استغرب المشركون العرب ذلك وكذبوه، فأراد الله أن ينبههم إلى أشياء من خلقه وصنعه يعرفونها ويعايشونها، ولما كانت الإبل معروفة عندهم، بل هي أغلى شيء عندهم، فهم يركبونها ويحملون عليها أمتعتهم في أسفارهم ويأكلون لحومها ويشربون ألبانها، فنبههم جل شأنه إلى أنه هو الذي خلقها وسخرها لهم، فهي على قوتها وشدتها وصلابتها تنقاد بسهولة، فمن كان قادرا على خلق هذا الحيوان العجيب فهو قادر عقلا على بعث الموتى ومجازاتهم وصيرورتهم، إما إلى الجنة، وإما إلى النار. ثم نبه جل شأنه إلى أمر آخر محسوس لهم هو خلق السماء فقال ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: أفلا ينظرون إلى السماء كيف رفعت فوق رؤوسهم بلا عمد ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: كيف وضعت على الأرض لتثبتها، فيشاهدونها لا تتحرك ولا تضطرب ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: كيف مدت وبسطت فصارت سهلة لسكنهم عليها. وفي ذكره عز وجل لهذه المخلوقات دلالة حسية للمشركين الذين كانوا لا يفكرون إلا من خلال إحساسهم بما يشاهدونه أو يعيشونه، فهم يركبون الإبل ويعرفون فوائدها، ويعرفون السماء قائمة فوقهم ويرون الجبال شاهقة أمام أعينهم ويعيشون على الأرض آمنين فأحرِ

بهم أن يصدقوا بآيات الله وقدرته العظيمة على موتهم ثم بعثهم ثم محاسبتهم على أعمالهم.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: ذكّر قومك يا محمد وعلِّمهم وعِظهم لعلهم يهتدون ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: لست بمتسلط أو جبار عليهم، فما عليك إلا موعظتهم وتخويفهم ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ أي: من أعرض عن الذكر والوعظ ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ أي: يعذبه بنار جهنم، وقد يكون المراد أن من أعرض عن الحق الذي جئت به، فعليك أن تجاهده، فإن لم يسلم فسوف يعذبه الله بعد ذلك العذاب الأكبر ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: عودتهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ أي: سوف نحاسبهم على أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من وسائل الدعوة تقريب الأمر إلى ذهن المدعو من خلال ما يعرفه ويعيشه، فالمولى عز وجل ذكَّرهم بخلق الإبل؛ لأنهم يعرفونها ولم يذكرهم بخلق الفيلة مثلا؛ لأنهم لا يعرفونها. ومن الأحكام: أن مهمة الداعي إبلاغ المدعوين بما يدعوهم إليه، وليس من مهمته السيطرة عليهم وحسابهم على الله كما قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[1]. بيان: أن مآل بني آدم إلى الله يوم القيامة، وسوف يحاسبهم ويجزي كلا منهم بما عمل.

---

(١) سورة الرعد من الآية ٤٠ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفجر

مكية وآياتها ثلاثون آية

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾ هذا قسم من الله بالفجر، وقيل: المراد به فجر كل يوم أي: صبحه وقيل: المراد به فجر يوم النحر ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ أي: عشر ذي الحجة ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ الشفع: الاثنان، والوتر: الفرد، وقيل: الشفع يوم النحر؛ لأنه العاشر من الليالي العشر، والوتر يوم عرفة؛ لأنه التاسع منها ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ هذا قسم آخر حيث أقسم عز وجل بالليل وقوله ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾ أي: يذهب ويأتي ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي أقسمنا به ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: مقسم به، جدير بالتعظيم لذوي العقول

وجوابه قد يكون في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أي: ألم تعلم يا محمد بما فعله ربك بقوم عاد حين كذبوا نبيهم هوداً عليه السلام، قوله ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أي: (إِرَمَ) هو جدهم، وقد سمي القوم باسمه والمراد بالعماد أصحاب القوة والبأس ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ وذلك لطول أجسامهم حيث كان طول الرجل منهم على ما قيل: اثنى عشر ذراعا وشدة بأسهم وقوتهم فلم يخلق مثلهم في زمانهم ومع ذلك أهلكهم الله ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ المراد بهم قوم صالح ومعنى جابوا أي: قطعوا الصخور لتكون بيوتا لهم ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ المراد به فرعون مصر، وكان له أربعة أوتاد يشد إليها أيدي وأرجل الذين يخرجون عليه فيعذبهم بتلك الطريقة ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ أي: عاد وثمود وفرعون، والمراد أنهم تمادوا في طغيانهم وفسادهم، وتجاوزوا في عدوانهم وظلمهم ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ أي: أفسدوا في الأرض وآذوا وتمردوا ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: ألقى عليهم العذاب المهلك، فمنهم من أخذته الرجفة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أخذه الغرق ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ أي: يرصد خلقه ويحصي عليهم أقوالهم وأفعالهم ثم يحاسبهم عليها فيجزي كلا بما عمل بعدله ورحمته فلا يظلم أحدا منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل الليالي العشر الأول من ذي الحجة، وقد ثبت عن ابن عباس مرفوعا قال رسول الله ﷺ: **(العمل في العشر أفضل من العمل في هذه)** قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **(ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء)**[1].

بيان الله لرسوله محمد ﷺ أنه قد أهلك المكذبين لرسلهم وأن هلاك قومه سهل عليه، وأنه ينظرهم لعلهم يرجعون إلى الله، وقد أنجز الله وعده لرسوله فأهلك رؤساء المشركين في موقعة بدر، وهدى الله من هدى منهم حين فتح مكة لنبيه ودخل الناس في دين الله أفواجا. تحذير الله لبني آدم بأنه يرصد أقوالهم وأفعالهم، وأن العاقبة الحسنى ستكون للذين يخشونه ويتقونه.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، برقم (٩٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٥٣٠ .

بيان الآيات:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ هذا بيان من الله جل ثناؤه ينكر فيه على العبد عدم فهمه لما أنعم الله به عليه من النعم، فإذا رزق مالا أو ولدا ونعما زعم أن ذلك كرامة له من الله، بينما أن ذلك امتحان له ليشكر أم يكفر بنعم الله فلا يحمده عليها. وقيل: المراد به أميَّة بن خلف وأبو حذيفة بن المغيرة والمعنى عام فيمن كان هذا شأنه ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ أي: إذا ابتلاه بأن ضيق عليه في رزقه أو ابتلاه بأيِّ نوع من أنواع البلاء زعم أن ذلك إهانة له، لهذا قال عز وجل ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء وهؤلاء فليس الغِنى دليلا على فضل الغنيِّ ولا الفقر دليلا على هوان الفقير كما جاء في الحديث: (**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب**)[1] ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ هذا بيان عما كان يفعله أهل الجاهلية من منع اليتيم حقه في الميراث ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: لا تحبون إطعام المسكين ولا يحث بعضكم بعضا على الإحسان إلى المساكين المحتاجين مع قدرتكم على هذا الإحسان ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: تأكلون ميراث الأيتام ظلما لهم وعدوانا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج١ ص٣٨٧ .

عليهم ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: حبا شديدا متناهيا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل الإنسان وضيقه فهو في غناه ينسى فضل الله عليه، فيزعم أن هذا إكرام من الله له، وينسى حمده وشكره على ما أنعم به عليه. وهو في فقره يضيق ويتصور أن الله ابتلاه بهذا الفقر إهانة له، مع أن الله أكرم وأعظم من أن يفعل ذلك، فهو يبتلي بالغنى ويبتلي بالفقر ليعلم - وهو العليم - من يشكر من عباده ومن يكفر منهم.

ومن الأحكام: تحريم أكل أموال اليتامى من ميراث وغيره، وقد حث رسول الله ﷺ على الإحسان إليهم بقوله: (**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**) قال بإصبعيه السبابة والوسطى[1]. التنديد: بالتهالك على حب المال وخاصة عندما يكون سببا في الظلم وبخس الحقوق.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، برقم (٦٠٠٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٥٠ .

بيان الآيات:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ أي: ليس الأمر كما تفعلون من الاستئثار بالدنيا والتفاني في حبها وترك أمر الآخرة، فإن من كان هذا عمله سوف يندم، وذلك حين تندك الأرض فتسوى وتمهد دكا دكا أي: مرة بعد مرة ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء لفصل القضاء بين الخلائق بعد أن يشفع لهم في ذلك الموقف العظيم سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ أي: الملائكة يجيئون صفوفا ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ أي: يؤتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، قوله ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: يتذكر الكافر عمله في ذلك الموقف العظيم ويندم على تفريطه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: من أين له أن يكون كذلك، وقد انتهى العمل في الدنيا فلم يبق في ذلك الموقف إلا الحساب والجزاء ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ أي: يندم على أنه لم يقدم لنفسه عملا صالحا ينفعه في الآخرة ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ أي: ليس هناك من عذاب أقوى وأشد من عذاب الله للذين عصوه في الدنيا واستكبروا عن توحيده وطاعته ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ أي: لا أحد يوثق مثل وثاقه وقبضته على المجرمين وذلك حين يسحبون في النار على وجوههم وهم مصفَّدون بالسلاسل والأغلال، هذه هي حال

الكافر الذي نسي ربه في الدنيا. أما المؤمن الذي عرف ربه وعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه فتقول الملائكة له عند موته ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: يا أيتها النفس التي آمنت بالله وصدقت آياته واتبعت رسوله ارجعي إلى جوار ربك ﴿رَاضِيَةً﴾ عن الله وعما نالها من ثوابه ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ أي: قد رضي الله عنك ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ أي: بهذا تخاطب الروح عند الاحتضار كما تخاطب به يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حسرة الكافرين وندمهم يوم القيامة حين يرون الحقائق واضحة أمام أعينهم كما قال تعالى عنهم ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[1]. ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2]. ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3]. ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4]. تقرير: البشرى للمؤمن عند احتضاره ويوم معاده إلى الله.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٦ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٧ .

(٣) سورة الزمر الآية ٥٨ .

(٤) سورة الزمر الآية ٥٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البلد

مكية وآياتها عشرون آية

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾.

بيان الآيات:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: أقسم بالبلد الحرام مكة، وهذا القسم تعظيم وتشريف لها ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: والحال أنك يا محمد حل بمكة تقاتل وتقتل فيها وذلك أنهم كانوا يحرمون فيها القتل فأجازه الله تعالى لنبيه يوم فتح مكة، ولهذا قتل فيها ابن خطل(١) ومقيس بن صبابة(٢) ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ وهذا قسم أيضا بآدم وذريته

---

(١) اسمه عبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب، إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيسا فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً. السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٤ .

(٢) مقيس بن صبابة إنما قتله لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مشركاً. السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٤ .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ هذا هو جواب القسم والمراد أن الإنسان يكابد ويعاني من شدة عناء الدنيا منذ ولادته حتى وفاته، فهو يكابد منذ ولادته وفطامه عن رضاعه، ثم يكابد ما قد يصيبه من مرض أو فقد والديه أو أحدهما، وقد يكابد ما يصيبه من الفقر والشدة والكبر ومصائب الدنيا، وهكذا يتعب وينصَبُ إلى أن ينتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة، وفي هذا تسلية للمؤمنين بأن الدنيا دار نصب وعناء لا تصفو لأحد، وأن الجنة هي الدار التي لا يحزن أهلها ولا يضارون ولا يعانون ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن ابن آدم أن الله لن يعاقبه بسبب سوء عمله ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: أنفقت مالا كثيرا وقيل: إن أبا الأشدَّين[1] يقول أنفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو كاذب فيما قال ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن أن الله لا يراقبه ويعلم أنه لن ينفق شيئا من ماله في سبيل الله ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يتكلم به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ لمساعدته على الكلام والطعام وجمالا لصورة وجهه ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: بينا له طريق الخير والهداية وطريق الشر والغواية حتى يكون على بينة من أمره فيما يختاره منهما.

---

(١) اسمه كلدة بن أسيد بن خلف. من أقواله: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، قال السهلي وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته وقال إن صرعتني آمنت بك فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٤٤٤ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل مكة وحرمتها وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد بها شجرة ولا يختلى خلاها وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب**)(١).

تقرير: أن الإنسان قد يقول ما لا يفعل فيقول أنفقت مالا وصليت وزكيت ويظن أن الله لا يعلم عنه، وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**يوقف العبد يوم القيامة فيقال: ماذا عملت في المال الذي رزقتك؟ فيقول: أنفقته وزكيته فيقال: كأنك إنما فعلت ذلك ليقال سخي فقد قيل ذلك ثم يؤمر به إلى النار**)(٢). تقرير: أن الإنسان منذ ولادته يعاني من متاعب الحياة ومصاعبها ومصائبها إلى أن ينتقل إلى الدار الآخرة، فأسعد الناس يومئذ من كان طريقه إلى الجنة، فهناك المكان الوحيد الذي يستريح فيه الإنسان. تقرير: أن الله قد بيَّن للإنسان طريق الخير وطريق الشر بما بيَّنه له في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، برقم (١٣٥٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٦٥٠-٣٦٥١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٦٤ .

وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ أي: فما اقتحم (أبو الأشدين) العقبة ثم فسر تعالى العقبة بقوله ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أي: اعلم ما هي العقبة ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أي: تخليصها من الأسر أو الرق ﴿ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ أي: الإطعام في وقت المجاعة وهو أكثر ما يكون الناس حاجة فيه إلى الطعام ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي: إطعام في هذا اليوم يتيما ذا قرابة له ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أو إطعام فقير ذي فقر شديد ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: أنه مع هذه الأعمال الجليلة مؤمن بالله متبع لأوامره متجنب

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

لنواهيه ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: كان مع المؤمنين الذين يتواصون بالصبر على طاعة الله واجتناب محارمه كما يتواصون بالرحمة فيما بينهم ثم وصفهم الله بقوله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي: أصحاب اليمين الذين يؤتون كتبهم يوم القيامة بأيمانهم وعاقبتهم الجنة، ثم لما ذكر هؤلاء وصفاتهم الحسنة قال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: أصحاب الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمالهم وعاقبتهم العذاب ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي: مطبقة عليهم لا منفذ ولا مخرج لهم منها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد من ينفق ماله في المعاصي والآثام؛ لأن المال مال الله، ويحرم أن ينفق مال الله في غير سبيله وهذا يقتضي أن من أنفق ماله في معصية الله، فقد ارتكب إثمين هما: تعديه على مال الله بغير حق، وإنفاقه في غير سبيله. تقرير: فضل عتق المأسور أو الرقيق لقول رسول الله ﷺ: (**من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه**)[١]. تقرير: فضل الإطعام في زمن الحاجة للأيتام والفقراء والمساكين والمحاويج وفيه: قول رسول الله ﷺ: (**أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، وأي الرقاب أزكى ؟ برقم (٦٧١٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٦٠٧ .

بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من موجبات الرحمة: إطعام المسلم السغبان)**[٢]. تقرير: وعيد الله للذين يكفرون بآياته.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشمس

مكية وآياتها خمس عشرة آية

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالشَّمْسِ﴾ هذا قسم من الله عز وجل بأحد مخلوقاته ﴿وَضُحَاهَا﴾ المراد به أول النهار وارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٤٢)، برقم (٢٤٨٥)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٦٢، وابن ماجة في كتاب الإقامة، باب ما جاء في قيام الليل، برقم (١٣٣٤)، سنن ابن ماجة ج١ ص٤٢٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٦٩، وأخرجه البرهان فوري في كنز العمال، برقم (١٦٣٧٢)، ج٦ ص٤٢٤ .

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ أي: إذا غابت الشمس تبعها ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ أي: أظهرها لمن يراها ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ أي: حين تغيب ويقبل الليل فتظلم الآفاق ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ أي: السماء والذي بناها وهو الله عز وجل وقد تكون (ما) مصدرية فيكون المعنى والسماء وبنائها ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ أي: الذي بسطها ومهدها ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ أي: خلقها وكونها سوية سليمة في أعضائها وفطرتها ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ أي: بيَّن الله لها طريق الخير وطريق الشر أو طريق الهداية وطريق الضلال ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ هذا هو جواب القسم والمراد لقد فاز من طهر نفسه بالطاعة وجنبها الأدناس والأرجاس ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: خسر من دنّس نفسه بالمعاصي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله عز وجل بعدد من آياته العظام بأن من زكى نفسه بالطاعة وجنبها المعاصي والآثام فقد فاز برضا الله وثوابه، وأن من دنَّس نفسه بالمعاصي والآثام قد خسر وخاب وتعرض لعقاب الله، وهذا يقتضي الدعوة إلى الإيمان بالله ابتغاء مرضاته واجتناب سخطه وعقابه.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ

رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ هذا بيان من الله عز وجل عن تكذيب قبيلة ثمود لنبيها صالح بسبب طغيانها وفسادها وعدم قبولها توحيد الله وطاعته ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ المراد أشقى هذه القبيلة وهو قدار بن سالف الذي عقر الناقة كما قال تعالى ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[١]. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أي: صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء كما أخبر الله عنه بقوله ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[٢]. قوله ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: اتركوا لها ماءها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: كذبوه فيما دعاهم إليه من توحيد الله وطاعته وعدم الاعتداء على الناقة التي أخرجها الله لهم من صخرة صماء فكانت تسقيهم لبنا خالصا ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: أطبق عليهم العذاب الأليم فأهلكهم

---

(١) سورة القمر الآية ٢٩ .

(٢) سورة هود الآية ٦٤ .

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: جعل العقاب عليهم سواء ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي: لا يخاف تبعة من إهلاكها فحاشاه ذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن فلاح الإنسان في الآخرة يقتضي تقوى الله، وذلك بتطهير نفسه من المعاصي والذنوب وأن تعاسته في الآخرة تترتب من عصيانه لأمر الله والإشراك به والتعدي على حدوده. تحريم: الطغيان والفساد في الأرض؛ لأن عاقبته الهلاك والعذاب كما حدث لقوم صالح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الليل

مكية وآياتها إحدى وعشرون آية

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ هذا قسم من الله عز وجل بالليل إذا يغشى

أي: إذا غطى الآفاق بظلامه ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: إذا ظهر بضيائه ونوره ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى فهذا قسم بنفسه عز وجل ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا هو جواب القسم والمراد أن أعمالكم ومساعيكم مختلفة، فهناك فاعلون للخير وآخرون على خلافهم ثم قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: صدق بما وعد الله به من الخلف على المنفق في سبيله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: ندله على أسباب الخير والصلاح قيل: إن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، فقد كان يعتق على الإسلام العجائز والنساء[١]، والحكم عام. ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي: بخل بما عنده من المال واستغنى به عن ربه عز وجل ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: المراد به تكذيبه بأن الله لن يخلف له ما أنفقه في سبيله وقد يكون المراد تكذيبه بالجزاء يوم القيامة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ فإن الله يمنع عنه أسباب فضله وخيره ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: لا يغني عنه ماله شيئا إذا مات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من أنفق من ماله في سبيل الله واتقى الله وصدق بما وعد الله به المُنفقين من الخَلَف عليهم في مالهم، فإن الله يدله على أسباب الخير. وشاهده ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**ما من يوم**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٨٢ .

يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا)[١]. ومن الأحكام: أن من يبخل ببذل ما يجب عليه في ماله من زكاة وغيرها ويستغني عن فضل ربه، فإن الله يمنع عنه أسباب الفضل والخير.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال والحق من الباطل ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: لنا ملك الدنيا وملك الآخرة، أو يكون المراد ثوابهما، فمن ابتغاهما من غيرنا فقد خاب وخسر كما قال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[٢]. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: حذرتكم نارا تلتهب وتتوقد ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أي: لا يلاقي حرها إلا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾، برقم (١٤٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٥٧ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٣٤ .

الشقي التعس ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ رسولَ الله ﷺ وعصاه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: أعرض عن دين الله واتبع هواه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ أي: سيبعد عنها التقي الذي خاف من الله فأحل حلاله وحرم حرامه ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: سيتجنبها التقي الذي يزكي ماله كما أمره الله بذلك لا يبتغي جاها أو ثناء من أحد أو جزاء منه وإنما يبتغي وجه الله كما قال عز وجل ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ثم قال تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: سوف يرضى بالجزاء والثواب من الله، وكما ذكر فهذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه كان يشتري العبيد من مواليهم فيعتقهم لوجه الله[١].

أحكام ومسائل الآيات:

بيان الله لعباده طريق الحق من الباطل فقد أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب وبيَّن لهم أسباب السعادة وأسباب الشقاوة. تقرير: أن من تولى عن الحق وأعرض عنه سوف يلاقي العذاب، وأن التقي الذي زكى ماله وطهّره لا يبتغي إلا وجه ربه سوف يرضى بما أعد الله له من الثواب والأجر تصديقا لوعده الحق في قوله عز وجل ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٢٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الضحى

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ المراد به بداية النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها قيد رمح إلى الزوال ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: اشتدت ظلمته ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ هذا هو الجواب، فقد أقسم الله - وقسمه الحق- أنه ماترك نبيه رسوله محمدا ﷺ ولا أبغضه، والأصل فيه: أن جبريل عليه السلام أبطأ على رسول الله ﷺ بالوحي فقال المشركون: لقد قلاه ربه وودعه فنزلت الآية بهذا القسم العظيم[1] ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: أن الدار الآخرة خير لك من دار

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٢٣ .

الدنيا، ولهذا كان رسول الله ﷺ أشد الناس زهدا فيها، فكان يعاني أحيانا من الجوع ويبيت الليالي وما في بيته إلا الماء أو قليل من التمر، مع أنه لو أراد لبسط الله له نعم الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ هذا وعد من الله بأنه سيعطي نبيه في الآخرة ما يرضيه من الثواب وما سيعطيه لأمته من الفضائل على سائر الأمم حيث ستكون شاهدة عليها يوم القيامة ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ هذه منة من الله على رسوله وهو أنه ولد يتيما فقد توفي أبوه وهو في بطن أمه ثم توفيت أمه وعمره ست سنوات فكفله جده عبد المطلب، ثم توفي وعمره ثمان سنوات، ثم تولى كفالَته عمُّه أبو طالب فأحسن كفالته ورعايته ودافع عنه وآزره حينما بعثه الله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي: كان يعيش في مكة لا يعرف من شرع الله شيئا إلى أن بعثه الله وعلمه الدين بعد أن عصمه من الشرك وجهل الجاهلين من قومه ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ هذه هي المنة الثالثة من الله على رسوله والمراد أنه كان فقيرا فأغناه الله ورزقه كفاف عيشه فصبر على ما ناله من الفقر وشكر على ما أصابه من نعمة ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: كما كنت يتيما فأحسن إلى الأيتام فلا تقهرهم ولا تذلهم وأحسن إليهم كما أحسن الله اليك في يتمك ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: كما كنت لا تعرف شيئا من أمور الشرع قبل أن ينزل

عليك الوحي والعلم فلا تنهر من يريد الهداية ويطلب العلم فكن له مرشدا ومعينا ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: تحدث بنعمة الله عليك حيث هداك للإيمان واختارك لرسالته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله -وقسمه الحق- أنه ما ترك نبيه ولا أبغضه، وذلك إبطالا لكيد المشركين وظنونهم الفاسدة في أن الله ترك نبيه لما ابطأ عليه الوحي. تقرير: أن الله سيعطي نبيه ورسوله مايرضيه في نفسه فيكون شفيع الخلائق يوم القيامة بعد أن يعتذر الأنبياء والمرسلون عن هذه الشفاعة، كما أنه عز وجل سيعطيه ما يسره في أمته حيث يجعل لها المنزلة العالية بين الأمم، ومن ذلك: شهادتها عليهم. تقرير: نعم الله على نبيه فقد هيأ له أسباب كفالته حين يتمه وعلمه شرعه بعد أن كان لا يعرف منه شيئا كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]. كما هيأ له غناه عن خلقه بأن أغناه على قدر حاجته فكان في فقره صابرا وشاكرا، وكان في غناه حامدا وشاكرا. ومن الأحكام: توجيه الله لرسوله محمد ﷺ بالرفق باليتامى والسائلين، والتحدث بنعم الله عليه وأولها: نعمة الإيمان ونعمة الرسالة.

---

(١) سورة الشورى من الآية ٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشرح

مكية وآياتها ثمان آيات

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهام تقريري والمراد أننا شرحنا صدرك ونورناه بالإيمان وبالوحي والعلم ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: غفرنا لك ذنبك قبل النبوة كما قال تعالى ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]. وقد يكون المراد أزلنا عنك ثقل أيام الجاهلية ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقله فيكون المراد تبعات الجاهلية قبل النبوة وكونه لم يعبد الله حق عبادته في تلك الفترة ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلن الله ذكره فيذكر مع ذكره في الأذان والإقامة والتشهد وعلى المنابر وفي الجمع والأعياد وغيرها ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: إن مع الضيق والشدة والفقر سعة وغنى ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ توكيد للحكم ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ أي: إذا فرغت

---

(١) سورة الفتح من الآية ٢ .

من الصلاة فاجعل نفسك في ذكر الله وعبادته، وقد يكون المعنى إذا فرغت من أمور الدنيا وقمت إلى عبادة الله فاجتهد فيها. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ أي: أخلص النية والرغبة في طاعة ربك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كرامة الله ومحبته لنبيه ورسوله محمد ﷺ فقد شرح صدره للإيمان كما قال تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[1]. وكما شرح صدره غفر له ما كان له قبل نزول الوحي عليه، مع أن الله عصمه من شرور الجاهلية وإنما كان عليه الصلاة والسلام يتمنى أنه عبَد الله حق عبادته في تلك الفترة التي لم ينزل عليه فيها الوحي. كما غفر له ربه فقد رفع ذكره فيذكر مع ذكره عزوجل في الصلاة والإقامة والتشهد. تقرير: أن مع العسر يسرا وفيه قول رسول الله ﷺ: **(إنه لن يغلب عسر يسرين)**[2]. تقرير: منهج رسالة رسول الله ﷺ في الحياة، ومن ذلك: أنه إذا فرغ من أمر من أمور الدنيا وجب عليه أن يفزع إلى عبادة ربه، وإذا فرغ من عبادة ربه وأمامه أمر من أمور الدنيا وجب عليه القيام به وهكذا تكون حياته عملا بين أمور الدين وأمور الدنيا.

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٢٥ .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، برقم (٩٦٩)، الموطأ ص٢٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التين

مكية وآياتها ثمان آيات

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ التين: فاكهة معروفة، وكذلك الزيتون فالأول من أجود أنواع الفواكه وأطيبها، والزيتون كذلك ومنه يستخرج الزيت كما قال تعالى ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[1]. وقد ورد في تفسير هذه الآية أقوال منها: أن مقتضى السياق يدل على أن التين والزيتون مكانان؛ ذلك أن الله جل وعلا لما قرن هذين الاسمين بطور سيناء والبلد الأمين -مكة- دل على أن المراد بالتين مسجد نوح الذي بني على الجودي -الجبل- وسمي هذا الجبل بالتين؛ لأن شجر التين كان يكثر فيه. أما الزيتون فيطلق على الجبل الذي بني عليه المسجد الأقصى في القدس، وأن القدس

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٢٠ .

من الأماكن التي يكثر فيها الزيتون. أما ظاهر الآية فيدل على أنهما الفاكهتان المعروفتان للناس كما ذكر.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ المراد به الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو معروف في أرض مصر ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ أي: مكة وقد أقسم الله بهذه الأسماء من مخلوقاته، أما جواب القسم فهو قوله عز ذكره ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: جعلناه في أحسن صورة وتهيأت له أسباب الحياة في جسمه وعقله كما قال تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1]. وقد يكون المراد الإنسان في عمومه أو المراد به الإنسان الكافر المنكر للبعث ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي: إلى أرذل العمر أو إلى النار بالنسبة للكافر منكر البعث ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لما ذكر عز وجل أن الإنسان قد يرد إلى أرذل العمر استثنى المؤمنين، فهؤلاء لا ينقطع أجرهم إذا مرضوا أو شاخوا، فلم يستطيعوا القيام بالعمل الذي كانوا يعملونه في حال صحتهم وشبابهم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ هذا خطاب للكافر منكر البعث والمراد إذا عرفت وأنت تعرف أيها الإنسان أن الله هو الذي خلقك من

---

(١) سورة غافر من الآية ٦٤ .

عدم، وصورك فأحسن صورتك وهيأ لك أسباب الحياة وأنه بعد شبابك سيردك إلى أرذل العمر ثم يميتك فلماذا تنكر بعثك وأنت تعرف أن الذي خلقك وأماتك هو الذي سيبعثك ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي: ألم يكن الله أحكم الحاكمين الذي أوجدهم من عدمهم وأحسن خلقهم؟ بلى وكل المخلوقين على ذلك من الشاهدين، فلا أحد أعدل منه في حكمه وقضائه، فقد قضى بالحق وحرم الظلم على نفسه وبين عباده، فله الحمد والمنة في كل حال.

أحكام ومسائل الآيات:

ذكر الله التين والزيتون، وهما الفاكهتان المعروفتان، وهذا دليل على خصائصهما الغذائية، فما من فاكهة أو غذاء يذكره الله إلا وفيه المنافع التي قد لا يعرفها الإنسان. تقرير: علو مكانة مكة وشرفها. تقرير: نعم الله على الإنسان. ومنها: أنه كوَّنه وصوَّره في أحسن صورة وجعل خلقه أحسن خلق. ومن هذه النعم أنه إذا كان يعمل عملا صالحا ثم مرض أو شاخ لم ينقطع عمله الذي كان يعمله وهو صحيح. ومن مسائل الآيات: أنه ينبغي لمن قرأ هذه السورة أن يقول بعد قوله عز وجل ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ بلى وإنا على ذلك من الشاهدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العلق

مكية وآياتها تسع عشرة آية

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ هذه الآية والآيات الأربع بعدها أول ما نزل من القرآن في أشهر الأقوال. وقد دلت الأحاديث على أن النبوة أول ما بدأت لرسول الله ﷺ كانت الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها حتى فاجأه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: (اقرأ) فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (اقرأ). قلت: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (اقرأ). قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ﴾ فرجع رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمِّلوني زملوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالي لقد خشيت على نفسي.. الحديث[١].

قوله ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ أي: اقرأ يا نبينا محمداً ما أنزل الله إليك من القرآن فاقرأه وأنت مستفتح باسم ربك ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: خلق كل شيء في الكون في علوه وسفليه ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ أي: الذي خلق ابن آدم من دم متجمد بعد أن كان نطفة من ماء امتزج من زوجين مختلفين في تكوينهما ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ أي: اقرأ ما أنزل إليك واعلم أن ربك الكريم العظيم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ أي: علم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ المراد بالإنسان هنا آدم فقد علمه الله الأسماء كما قال ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير نزول الوحي على رسول الله ﷺ بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق. ومن الأحكام فيها: وجوب افتتاح قراءة سور القرآن باسم الله باستثناء سورة التوبة. تقرير: أن بداية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب من سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، برقم (٤٩٥٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٨٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٣١ .

خلق الإنسان من النطفة ثم يتدرج إلى علقة ثم إلى مضغة. وبيان أن الله عز وجل هو الكريم الذي أكرم عباده بالحكم عليهم ورحمتهم إذا اتجهوا إليه بقلوبهم. وفي الآيات: تقرير فضل الله على الإنسان حين علمه الكتابة بالقلم؛ لأن الإنسان ماعلم من علم إلا وقد علّمه الله كما قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1].

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ هذا بيان من الله وبيانه الحق أن الإنسان إذا لم يؤمن بالله سوف يتجاوز الحدود في سلوكه وتصرفه فيظلم ويبطش ويفعل كل منكر، ومثل ذلك ما كان يفعله أبو جهل في محاربته لشريعة الله التي أرسلها الله إلى رسوله؛ ليبلغ بها الناس ويخرجهم بها من الضلال فقد استغنى

(١) سورة البقرة من الآية ٣١ .

هذا الكافر بقومه وأنصاره وأعوانه قوله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي: إلى الله المرجع والمعاد وعنده الحساب والجزاء ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ المراد به: أبو جهل، فقد كان يأتي إلى الحرم فيهدد رسول الله ﷺ ويتوعده إن رآه يصلي ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ أي: أرأيت أيها الكافر الطاغية إن كان هذا المصلي محمد ﷺ على الهدى والحق الذي يؤدي من اتبعه إلى السعادة في الدارين كما يأمر غيره بالتقوى؛ لكي ينجو من العذاب هل تعاديه وهو لم يفعل إلا ما فيه خيركم ونجاتكم من العذاب؟

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ المراد به: أبو جهل فقد كذب بكتاب الله وأعرض عن الإقرار برسالة رسول الله ﷺ ثم قال عز وجل ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: ألم يعلم هذا الطاغية أن الله يراه ويعلم كفره وطغيانه واستكباره عن الحق ومعاداته له، فكان يحلف أمام قومه باللات والعزى أنه لو رآه يصلي لوطئ على رقبته وعفر وجهه بالتراب، ولما أتى رسول الله ﷺ ليفعل ما قال رجع خائفا فقال رسول الله ﷺ: **(لو دنا مني لاختطفته الملائكة)**[1]. ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي:

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ برقم (٢٧٩٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٧٧ .

إذا لم ينته أبو جهل من إيذاء رسول الله ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنأخذنه بناصيته فيسحب إلى جهنم ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: المراد بها ناصية أبي جهل فهي كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي: فليدع قومه وعشيرته ويرى هل ينفعونه والجواب لن ينفعوه ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ أي: الملائكة الغلاظ الذين سيجرونه إلى النار.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ هذا أمر من الله لرسوله يقول فيه: لا تطع أبا جهل فيما يطلب منك من ترك صلاتك فاسجد لله واقترب من ربك بطاعته وعبادته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير طغيان الإنسان إذا لم يهتد بما أمره الله به وهذا هو ما حدث بالنسبة لكفار قريش وعلى رأسهم أبو جهل، فقد أعماهم الهوى عن اتباع الحق، وقد توعد الله من لم يؤمن منهم بالعذاب في الدنيا والآخرة، وقد حدث هذا بالفعل لعدد من رؤسائهم حين قتلوا في معركة بدر شر قتلة، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب. ومن الأحكام: مشروعية السجدة بعد نهاية قراءة هذه السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القدر

مكية وآياتها خمس آيات

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ المراد بالمنزَّل في هذه الليلة القرآن أي: كان نزوله في ليلة القدر جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وقد أملاه جبريل على الملائكة الكتبة ثم صار يقوم بتنزيله على رسول الله ﷺ منجَّماً ثلاثاً وعشرين سنة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا توكيد وتعظيم لشأنها وهي ليلة الحكم وسميت بهذا الاسم؛ لأن الله يقدر فيها ما يشاء من أمره والمراد أن كل أمر قدره الله وقضاه مكتوب في اللوح المحفوظ، وفي ليلة القدر يعطي الملائكة ما قدره الله في تلك السنة ليجري نفاذه بأمر الله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي:

تهبط فيها الملائكة من كل سماء وذلك لفضلها ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ المراد به جبريل ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ أي: بأمره وإرادته ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ أي: بكل أمر قضاه الله وقدره في تلك السنة إلى السنة القادمة ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: أنها ليلة سلام وبركة ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أي: وقتها من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن القرآن نزل في ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ، ثم أنزل على رسول الله ﷺ منجَّماً، وكانت بداية نزوله في رمضان كما قال تعالى ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[1]. ومن الأحكام: تقرير فضل ليلة القدر وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عزوجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم**)[2]. ويندب قيام تلك الليلة والدعاء فيها، ابتغاء قبول الدعوة فيها. وقد حث رسول الله ﷺ على التماسها في العشر الأواخر من رمضان.

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢٣٠، والنسائي في كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه، برقم (٢١٠٥)، سنن النسائي ج٤ ص٤٣٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البينة

مدنية وآياتها ثمان آيات

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، والمراد بالمشركين عبدة الأوثان والأصنام ﴿مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: لن يكونوا منتهين عن كفرهم وضلالهم حتى أتتهم البينة وهي رسول الله ﷺ ومعه القرآن ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: مبعوث من الله ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ أي: أن ما يتلوه من القرآن العظيم مطهر من الباطل ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: كتب مستوية محكمة في مضمونها ومنهجها والمراد بالكتب هنا الأحكام المفروضة ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أي: ما تفرق اليهود والنصارى إلا من بعدما جاءهم رسول الله ﷺ، فقد كانوا قبل بعثته مؤمنين بنبي في آخر الزمان يجدد دين الله، فلما بعث عليه الصلاة والسلام، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر به حسدا وكرها، مع علمهم بنبوته ورسالته ثم قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ أي: ما أمروا في دينهم وعلى لسان رسلهم إلا بالإخلاص في عبادتهم لله، فلا يشركوا به شيئا، وأن يكونوا حنفاء أي: مائلين إلى دين الإسلام، ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: يقيموا الصلاة في أوقاتها وأركانها وشروطها ويؤتوا الزكاة كما أمرهم الله بإخراجها طيبة بها نفوسهم ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ أي: هذا هو دين الملة الصائبة الخيرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الديانات التي كانت قبل الإسلام وهي: اليهودية والنصرانية قد تعرضت للتحريف والتبديل من الذين تعاقبوا عليها، واتبعوا أهواءهم فيها، فكان من قضاء الله وقدره أن يختار الإسلام ليكون الدين الخاتم للبشرية. ومن الأحكام: أن أهل كلْتَى الديانتين كانوا يؤمنون بمجيء رسول الله ﷺ ليجدد دين الله

الذي تعرض للتحريف وكانوا يقرؤون مجيئه في كتبهم، فلما بعث عليه الصلاة والسلام وجاء معه بالقرآن آمن به بعضهم، وكفر به البعض الآخر، وما زال هذا البعض منذ ذلك الوقت إلى هذا اليوم يعادي هذا الدين ويكفر به ويفعل كل ما يصد الناس عنه تارة بالإغراء وتارة بالإكراه. ومن الأحكام: أن هؤلاء وغيرهم لم يؤمروا إلا بعبادة الله وحده والتبرئ من الشرك به ووجوب الالتزام بدين الإسلام، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة؛ لأن ذلك هو دين الملة المستقيمة الصحيحة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لما ذكر عزوجل أن دين الإسلام هو: الملة القيمة بيَّن عاقبة الذين كفروا أو يكفرون به من أهل الكتاب أو المشركين أو من كان على ملتهم ﴿فِى نَارِ

﴿جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ أي: أن النار مصير هؤلاء؛ لأنهم شر الخليقة، ثم بيّن عز وجل نقيضهم وهم المؤمنون فقال عز ذكره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وكتابه وعملوا الصالحات هم خير الخليقة ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: سوف يجازيهم يوم القيامة ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ أي: جنان دائمة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من المياه والعسل والخمر ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ أي: لا يخرجون منها ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بسبب توحيدهم وطاعتهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بما أعد لهم من الثواب ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: أن هذا الجزاء الذي وعدهم الله به هو: جزاء لمن خشي الله واتقاه.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن النار ستكون جزاء من كفر بدين الإسلام، سواء من أهل الكتاب أو من غيرهم، وأن الجنة بما فيها من النعيم المقيم ستكون جزاء لمن آمن بالإسلام والتزم به قولا وعملا فأحل ما أحله وحرم ما حرمه، وأن الخشية من الله سبب يوصل إلى رضوانه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الزلزلة

مدنية وآياتها ثمان آيات

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ أي: إذا تحركت واضطربت بقيام الساعة ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ أي: أخرجت ما فيها من الأموات؛ ليقوموا إلى يوم المعاد عند رب العالمين ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: استغرب المآل الذي آلت إليه من الحركة والاضطراب بعد أن كانت ساكنة مستقرة ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ أي: في ذلك اليوم العظيم الذي انقلب فيه الكون تتحدث الأرض عما حدث فيها من طاعة الله من قبل المؤمنين وما حدث فيها من معصية الله من قبل العاصين، فتشهد على كل من عمل فيها خيرا أو شرا ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ

﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها أن تتحدث بما كان عليها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: في ذلك اليوم العظيم ينتهي العباد أشتاتا أي: أنواعا من موقف الحساب، فهذا سعيد يذهب إلى الجنة، وذلك شقي يذهب إلى النار -والعياذ بالله- ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: يروا حينئذ نتائج أعمالهم في الدنيا، فيفرح المؤمن بما عمله ويحزن الكافر لما عمله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ أي: أن من يعمل في الدنيا وزن ذرة، فلن يبخسه الله، بل يجازيه عليه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ وكذلك من يعمل وزن ذرة من شر يجزى عليه ولكن الله يعفو عن المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات: تقرير ما يحدث في الأرض من الحركة والاضطراب عند النفخة الثانية فتخرج الأرض ما فيها من الأموات ويكونون قياما لرب العالمين كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1]. وفيها: أن الناس بعد الحساب يتفرقون إلى فرق، فمنهم: آخذ كتابه بيمينه إلى الجنة، ومنهم: آخذ كتابه بشماله إلى النار. وفيها: أن الله لا يظلم أحدا من خلقه كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا﴾[2]. فدل هذا على أن

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٨ .

(٢) سورة النساء من الآية ٤٠ .

كل عمل يعمله المرء من خير أو شر يجزى عليه، فمن تصدق بالكثير جزي عليه ومن تصدق بالقليل جُزي عليه، كما قال رسول الله ﷺ: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)**[١]. هذا بالنسبة للمسلم، أما بالنسبة لغيره فقد ذكر عن ابن عباس أنه ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيريه الله حسناته وسيئاته فيغفر له من سيئاته ويثيبه على حسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، برقم (١٤١٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٣٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٥ ص٢٦٨، وتفسير البغوي ص١٤٢٧، والدر المنثور ج٦ ص٦٤٧.

بيان الآيات:

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ هذا قسم من الله تعالى بالعاديات وهي الخيل تعدو في سبيل الله فتضبح أي: يكون لها صوت من أنفاسها في حال عَدْوها ويسمى الحَمْحَمَة ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾ الموريات هي الخيل توري النار بحوافرها ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ أي: الخيل حين تغير على العدو في الصبح وقت سكونه كما قال تعالى ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[1]. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ المراد أن الخيل تثير الغبار؛ بسبب قوة عدوها في مكان إغارتها ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ أي: توسطت جمع العدو لقتاله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا هو جواب القسم والمراد أن الإنسان لربه لكنود أي: جحود لنعم الله عليه إلا من رحم الله بأن هداه للإسلام ونور قلبه به ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: أن الله عز وجل شهيد على هذا السلوك في الإنسان كما أن الإنسان سيكون شهيدا على نفسه وذلك حين تنطق جوارحه بما عمل ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ المراد بالخير هنا المال كما قال تعالى ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ الآية[2]. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: أثير وأخرج ما فيها

---

(١) سورة الصافات من الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٠ .

من الأموات ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: أبرز ما كانت القلوب تخفيه وتسره ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: عالم بأقوالهم وأفعالهم، وسوف يجازي كلا بما عمل كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات بيان أن الإنسان إذا لم يهتد بنور الإسلام، وينشرح صدره بالإيمان، يكفر بنعم الله، وينسى فضله، ويستغني عنه، فلا يتذكر ولا يندم إلا عند الحساب أو الجزاء أو عندما تصيبه مصيبة أو تنزل به نازلة كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الآية[٢]. وفيها: أن الإنسان يلهث وراء المال ويحاول الاستكثار منه بأي وسيلة كما قال تعالى ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٣]. وفيها: أن الله جل ثناؤه شهيد على أعمال العبد وأقواله كما أن العبد شهيد على نفسه كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٨ .

(٣) سورة الفجر الآية ٢٠ .

(٤) سورة النور الآية ٢٤ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القارعة

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ القارعة: من أسماء يوم القيامة، وسميت قارعة؛ لأنها تقرع القلوب بما فيها من الهول والفزع ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ استفهام لتعظيم أمرها، ثم فسر الله القارعة بقوله ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ أي: مثلهم في انتشارهم وتفرقهم وترددهم في ذهابهم وإيابهم مثل الجراد الذي ينتشر في الجو ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ أي: مثل الجبال في تمزقها وتفتتها بعد انقلاب الكون مثل الصوف الذي تنفشه الأيدي وتمزق ما يتجمع منه ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾

أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: سيكون مصيره الجنة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ﴾ أي: من رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي: سيكون مسكنه ومقامه في الهاوية، ثم فسر عز وجل الهاوية بقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: نار تتلظى فيهوي فيها الكافر على رأسه وفيه قول رسول الله ﷺ: (**نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم**) قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية؟ فقال: (**إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً**)[1].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حال يوم القيامة وما فيه من الأهوال والفزع الأكبر، ومن ذلك: انتشار الناس مثل الجراد كما قال تعالى ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[2]. ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ الآية[3]. تقرير: أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق رجحت حسناته على سيئاته، فهذا يأخذ كتابه بيمينه، وفريق رجحت سيئاته على حسناته، فهذا يأخذ كتابه بشماله.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب ما جاء في صفة جهنم، برقم (١٨٢٥)، الموطأ ص٧٠٣.

(٢) سورة القمر من الآية ٧.

(٣) سورة القمر من الآية ٨.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر

مكية وآياتها ثمان آيات

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي: شغلكم حب المال والاستكثار منه ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: جاءكم الموت، فصرتم في المقابر لا تملكون لأنفسكم إلا ما قدمتم من العمل الصالح، أما المال فلم يعد ينفعكم إلا إذا كنتم قد بذلتموه في سبيل الله ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ليس الحال كما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر بالمال، وإنما سوف تعلمون عاقبة لهوكم وانشغالكم بالمال ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند الاحتضار، وفي القبر، وفي الدار الآخرة، إن ما وعدتكم به من مجازاتكم على أعمالكم حق وصدق ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو علمتم ما سيكون لكم عند احتضاركم وفي قبوركم ويوم بعثكم لما ألهتكم

أموالكم ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أي: لترُون الجحيم يوم القيامة عِيانا بأبصاركم ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: ترونها يقينا وتشاهدونها بلا لبس ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: سوف تسألون عما كنتم عليه في الدنيا من طيب الطعام والشراب والكساء والصحة والأمن.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المال يكون وبالا على صاحبه إذا ألهاه عن طاعة الله وعبادته، كما يكون وبالا على صاحبه إذا أنفقه في غير سبيل الله. تقرير: عذاب القبر، وقد مر رسول الله ﷺ بقبرين وقال: (**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**)[1]. تقرير: واقعة الحساب والجزاء لأعمال العباد يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾[2]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[3]. تقرير: أن العبد سوف يسأل عن النعم التي أنعم الله بها عليه في الدنيا، فإن كان قد شكر الله وحمده عليها وحافظ عليها فقد فاز ونجا، وإن كفر بها عذب بها يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، برقم (٢١٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٣٨٥ .

(٢) سورة الغاشية الآية ٢٥ .

(٢) سورة الغاشية الآية ٢٦ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العصر

مكية وآياتها ثلاث آيات

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ المراد به الدهر، وهذا قسم من الله بالدهر كله وما فيه من الآيات الدالة على صنعه عز وجل ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ هذا جواب القسم والمراد أن الإنسان في عمومه في خسران ونقص وشر، ثم استثنى الله من هذا الخسران المؤمنين الصادقين الذين عملوا الصالحات فأدوا ما فرض الله عليهم من صلاة وصيام وزكاة كما قال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ثم أضاف جل ثناؤه صفتين أخريين إلى صفاتهم وهما: التواصي بالحق أي: أوصى بعضهم بعضا بتوحيد الله وطاعته وتواصيهم بالصبر أي: الصبر على طاعة الله وعلى الكف عن محارمه والصبر على ما ينالهم من النوائب والمقادير كما قال تعالى ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر على طاعة الله سبب للفوز برضا الله، وأن من فقد ذلك فهو في خسران وهلاك، وهذا يقتضي من المسلمين أن يتواصوا بالحق وهذا يشمل التمسك بدينهم والدفاع عنه خاصة تجاه الهجمة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وعم فيه الظلم وابتلي فيه المؤمنون بالعديد من الفتن والمحن، وأن يتواصوا كذلك بالصبر على ما قد يتعرضون له بسبب دينهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الهمزة

مكية وآياتها تسع آيات

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الويل: معناه الخزي والعذاب،

والهمزة: من يهمز بالقول فهو هماز، واللمزة من يلمز بالفعل والمراد من يتنقص الناس ويؤذيهم بلسانه، فيمشي بينهم بالنميمة وسوء القول، فيفسدهم ويشتت جمعهم ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: جمع ماله وعرف عدده ومن حرصه عليه انشغل في عده عن طاعة الله في ليل أو نهار ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: يظن أن جمعه للمال وحرصه عليه سيخلده في الدنيا ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي: ليطرحن في الحطمة ويلقى فيها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ هذا تعظيم لهولها وشأنها فقال عز وجل مفسراً لها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي: التي أوقدت أعواما طويلة فهي دائمة الوقود ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي: تحرق من فيها فتحرق قلوب من فيها وأجسامهم ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مغلقة ومطبقة لا يخرجون منها ولا يستريحون من لهيبها ولظاها ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ أي: يعذبون فيها بأعمدة من حديد وتقول لهم الملائكة خزنة جهنم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الهمز واللمز واغتياب الناس والتنقص منهم أو إيذائهم وفي ذلك قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

---

(١) سورة القمر من الآية ٤٨ .

بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1]. وقال تعالى ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾[2]. وفيه قول رسول الله ﷺ: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**[3]. ومن الأحكام: التهديد والوعيد لمن يغتر بماله فيصده عن طاعة الله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفيل

مكية وآياتها خمس آيات

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ هذه الآية وما بعدها تبيِّن واقعة الفيل وما قدَّره الله فيها؛ لحماية بيته الحرام، وكانت تلك الواقعة قريبة من ولادة رسول الله ﷺ، وخلاصة هذه الواقعة

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٨ .

(٢) سورة القلم الآية ١١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، برقم (١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٦٩ .

أن اليمن كانت تتبع الحبشة، وكان واليها يسمى أبرهة، وكانت مكة مشهورة بالبيت الحرام فيحج إليها الناس ويتبادلون فيها التجارة، ففكر أبرهة أن يبني بيتا أي: كنيسة كبيرة في صنعاء بحيث يصرف الناس إليها، ومعهم تجاراتهم فعرض فكرته على ملك الحبشة فسرّ بها وأمره بتنفيذها، ولما بنى هذا البيت وسماه القُلَّيْس، وكان هذا بناء عظيما سمع به الناس، فجاء رجل من قريش فتغوط فيه ولطخ جدرانه بالعذرة، ولما عرف أبرهة بذلك استشاط غضبا وحلف أن يهدم الكعبة، فجهز جيشا عظيما يتقدمه الفيلة وكل ما مر في طريقه قوما أو حيا من العرب وأرادوا صده هزمهم. ولما وصل قريبا من مكة انضم إليه أبو رِغال ليدله عليها، فمات في الطريق فرجمت العرب قبره، ولما انتهى قريبا من مكة كان شيخها آنذاك عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ، فجَرَت بينه وبين أبرهة مفاوضات انتهت إلى أن يرد أبرهة إبل عبد المطلب التي كان قد استولى عليها، أما الكعبة فشأنه بها؛ ذلك أن عبد المطلب سأل أبرهة إبله فقال له: لقد أعجبتني حين رأيتك، ولكن زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك ولم تكلمني فيه فقال له عبد المطلب: أنا رب الإبل، والبيت له رب سيحميه. وتم جلاء أهل مكة إلى الجبال خشية ما سينالهم من الأذى بعد دخول جيش أبرهة مكة، ولما وصل جيشه إلى وادي مُحَسِّر نزلت عليه فرق من الطير ترسل عليه حجارة صغيرة وما

تسقط هذه الحجارة على جند من جنوده إلا أهلكته، فهلك الجيش وفرّ أبرهة راجعا إلى بلاده فهلك في الطريق، وكان هو ومن معه يسألون عن نفيل بن حبيب الخثعمي، وكان هذا أسيرا عند أبرهة ليدلهم على الطريق فلما رأى نفيل ما حل بهم قال:

حمدت الله إذ أبصرتُ طيراً وخفت حجارة تُلقى علينا

فكل القوم يَسأل عن نفيل كأن عليَّ للحُبْشان دينا[1]

قول الله جل ثناؤه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ أي: ألم تعلم يا محمد ماذا حدث ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ والمراد بهم: قوم أبرهة الذين جاؤوا ومعهم الفيلة لهدم الكعبة ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: ألم يجعل مسعاهم لهدم الكعبة في ضياع وخسران ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي: جماعات متتابعة ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي: تقذفهم بحجارة من طين متحجر ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ أي: جعلهم مثل ورق الزرع (التبن) الذي أكلته الدواب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة الفيل وما فيها من العبر التي تدل على قدرة الله وعظمته بإهلاك الظالمين والمتعدين على الحرمات. ومن المسائل: تذكير

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٥ ص٢٩٩-٣٠٣، والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٨٧-١٩٢.

قريش بما أنعم الله عليهم من حماية بيته وحمايتهم من غزو الحبشة لهم، ومن ثم تذكيرهم بأن الله قادر على معاقبتهم إذا استمروا في تكذيبهم لرسوله محمد ﷺ. ومنها: أن الذين يتآمرون مع العدو لا يفلحون، فقد كان أبو رغال دليلا لجيش أبرهة مقابل عفوه عن قومه، فكانت عاقبة أمره هلاكه في الطريق، وقد دلت الدلائل والعبر أنه ما من فرد أو قوم أو جماعة مالؤوا العدو على هتك حرمات الله إلا أهلكهم الله في الدنيا ولهم سوء العاقبة في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

مكية وآياتها أربع آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ قيل: إن هذه السورة متصلة في المعنى بسورة الفيل أي: إن الله أهلك أصحاب الفيل، لكي تأتلف قريش أو لكي تأمن رحلتيها في الشتاء والصيف، وذلك إكراما للبيت الذي

تعيش قريش حوله. وقيل: إن المراد تذكير الله لأهل مكة نعمه وفضله عليهم فيما فعل بجيش الحبشة ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ أي: الرحلتان هما: رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وذلك للاتجار مع أهل هذين البلدين وجلب الطعام إلى مكة؛ لكونها بلداً غير ذي زرع كما قال إبراهيم عليه السلام في مناجاته لربه ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[1]. ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ أي: لما بيّن الله حمايته لبيته وامتنانه على أهله أمرهم أن يشكروه بما يقتضي عبادته وطاعته؛ لأنه هو الذي هيأ لهم أسباب الرزق وجعل مقامهم عند بيته الحرام آمنا كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ أي: ما كان هذا ليكون لهم إلا بفضل الله وامتنانه عليهم حيث كانت الأرزاق تصلهم بسهولة وكان من حول مكة من العرب يعظمون البيت ويحترمون أهله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعمة الله على قريش وأمر الله لها بشكر هذه النعمة، فلما لم تشكر انتقم ممن كفر منها بهذه النعمة فتوالى عليهم الجدب سنوات حتى رفعه الله بفضل دعاء نبيه ورسوله محمد ﷺ. ومن

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٣٧ .

الأحكام: وجوب شكر الله على نعمه، ولا يكون هذا الشكر إلا بحمد المنعم وعبادته وطاعته.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الماعون

مكية وآياتها سبع آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

بيان الآيات:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل: في أبي جهل وقيل: في الوليد بن المغيرة وقيل: نزلت في أبي سفيان، فكان ينحر في كل أسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه[1] والمراد أرأيت يا محمد الذي يكذب بدين الله ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفع اليتيم وينهره ولا يعطف عليه؛ بسبب بخله ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٤١ .

﴿ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ أي: لا يحث نفسه ولا غيره على إطعام الفقراء والمساكين احتقارا لهم وتكبرا عليهم فكانوا يقولون ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾[1]. ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ قيل: إن هذه الآيات نزلت في المنافقين في المدينة[2] ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ أي: إنهم لا يصلون بالكلية، أو لأنهم يؤخرونها عن أوقاتها ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ أي: يصلون مراءاةً ونفاقا وتقية، فلا يصلون إيمانا بوجوب الصلاة عليهم، وإنما يصلون كذبا ليقال إنهم يصلون ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون إعارة أي شيء من حاجات المؤمنين كأواني العمل أو الطبخ، وذلك لأنهم كانوا لا يودون المؤمنين ولا يحبونهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كفر من يكذب بدين الله كُلاًّ أو بعضا، ويشمل ذلك من يستهزئ به همزا أو لمزا. ومن الأحكام: تحريم أكل أموال اليتامى أو هضم حقوقهم. ومنها: تحريم ترك الصلاة أو تأخيرها عن أوقاتها. والتنديد بمن يمنع العارية لمن يحتاجها إذا كان غير محتاج إليها.

---

(١) سورة يس من الآية ٤٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٢١٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكوثر

مكية وآياتها ثلاث آيات

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ وفي معنى الكوثر عدة أقوال منها: أنه نهر في الجنة ومنها: أنه حوض النبي ﷺ التي ترد عليه أمته يوم القيامة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ لما بيَّن الله نعمته على رسوله ﷺ أمره أن يعبد الله وحده ويخلص له الدين وأن يقيم الصلاة المفروضة في أوقاتها وأن لا ينسى كذلك صلاة النوافل، وإذا نحر فليذكر اسم الله عليه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ قيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي لما توفي ابن رسول الله ﷺ عبد الله أو القاسم قال العاص: إن محمدا أبتر، فإذا هلك انقطع أثره، ومعنى الأبتر: المقطوع النسل أو الأثر[1].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير محبة الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ وإكرامه إياه حين أعطاه

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٤٣ .

الكوثر، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: لما عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: (**أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوَّف فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر**)[١]. ومن الأحكام: وجوب عبادة الله وأداء ما فرضه على عباده من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحر وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأن تكون هذه العبادة خالصة لله.ومنها: أن يكون النحر باسم الله وحده، فكل نحر لا يذكر عليه اسم الله لا يحل أكله كما قال تعالى ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢]. وقوله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٣]. ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكافرون

مكية وآياتها ست آيات

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (١) من سورة الكوثر، برقم (٤٩٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦٠٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

(٤) سورة الأنعام من الآية ١٦٣ .

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ وقد أمره الله أن يقول لكفار قريش وكل كافر أيا كان زمانه أو مكانه ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد ما تعبدونه من الأصنام؛ ذلك أن كفار قريش ومنهم العاص بن وائل السهمي وأمية بن خلف والأسود بن عبد المطلب دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة ويشترك معهم في أمرهم فأنزل الله عليه هذه الآية[1] ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: الله وحده لا شريك له ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ توكيد فيه نفي وجزم بأنه لن يعبد آلهتهم والفطر السليمة والعقول الرشيدة لا تعبد المخلوق، بل تعبد خالق المخلوق، ولهذا قال لهم رسول الله ﷺ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم دينكم الكفر ولي دين الإسلام، وشتان بين هذا وهذا؛ فالكفر سبب يوصل إلى النار، والإسلام سبب يوصل إلى الجنة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سفه وجهل المشركين حين طلبوا من رسول الله ﷺ عبادة آلهتهم، وقد أمره الله أن يقول لهم: إنه لن يعبد أصنامهم؛ لأنه لا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٤٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٥ ص٣٣١.

يعبد إلا الله وحده الذي خلقهم وخلق أصنامهم، وقد يئس رسول الله ﷺ من هدايتهم، ولهذا قال فيما حكاه الله عنه ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فجزم بعدم إيمانهم في المستقبل؛ لإصرارهم على الشرك حتى أهلكهم الله في موقعة بدر وفي مكة. تقرير: أن الكفرة والمشركين لا يلتقون مع المؤمنين بأي حال. تقرير: أن التكرار في هذه السورة للتأكيد في نفي طلبهم عبادة رسول الله ﷺ لأصنامهم لأن من معاني التكرار التأكيد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النصر

مدنية وآياتها ثلاث آيات

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ أي: قد جاء نصر الله، وقد نزلت هذه السورة بعد فتح مكة[1] ودلت على أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٤٧ .

﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ أي: يتتابعون جماعات جماعات، والمراد أنه إذا جاءك نصر الله ففتحت مكة وانتصرت في معاركك ودعوتك إلى الدين ورأيت الناس من حولك يدخلون في دين الله جماعات متعددة فعندئذ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: اشكره على ما هيأه لك من النصر والفتوح وسيادة الدين واندحار المشركين ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي: اطلب مغفرته وقيل: المراد استغفر لأمتك، والأول أصح ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده ويتقبل توبتهم واستغفارهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه يجب على العبد أن يشكر الله على نعمه؛ لأن في ذلك زيادة للشاكر من نعم الله كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ الآية[1]. ومن الأحكام: وجوب الاستغفار وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستغفار، فكان يقول بين ركوعه وسجوده: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**)[2]. وفي حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يكثر من قول: (**سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه**) قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: **أخبرني**

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (١) من سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، برقم (٤٩٦٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦٠٥.

ربي إني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المسد

مكية وآياتها خمس آيات

﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ ﴾.

بيان الآيات:

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ أبو لهب هو عم رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، ويكنى بأبي عتبة وقيل: سمي بأبي لهب؛ لحسن وجهه، وكان من ألد أعداء رسول الله ﷺ، فلما نزل قول الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٦٩٩ .

﴿ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[(١)]. خرج -كما سبق ذكره- إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: **(يا صباحاه)** فاجتمعت إليه قريش فقال: **(أرأيتكم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟)** قالوا: نعم. قال: **(فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)** فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله هذه الآية[(٢)] ﴿وَتَبَّ﴾ أي: هلك وخسر ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن أبا لهب قال: إن كان ما يقول ابن أخي حقا، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي[(٣)] ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ أي: سيلاقي ناراً تشتعل وتلتهب ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ هي أم جميل العوراء واسمها أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت هذه تؤذي رسول الله ﷺ فتضع الشوك في طريقه، وقيل: إنها كانت تحمل الحطب على ظهرها من شدة بخلها ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ أي: في عنقها حبل من ليف النخل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير إهلاك الله للظلمة المكذبين لآياته ورسوله، وقد أهلك أبا

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٤٩، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، برقم (٤٩٧٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦٠٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٥٦٩.

لهب بالعدسة بعد وقعة بدر، وهي بثرة تؤدي إلى الموت وأهلك امرأته بحبلها، كما أهلك كل الذين أقاموا على شركهم وتكذيبهم لرسول الله ﷺ. تقرير: أن المال والولد لا يغني عن العبد شيئا يوم القيامة كما قال عزوجل ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[١] ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الاخلاص

مكية وآياتها أربع آيات

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سبب نزول هذه الآيات أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك فنزلت هذه الآيات[٣] والمراد أخبر يا نبينا محمداً الذين سألوك أن الله هو الواحد الأحد الذي لا مثيل له ولا نظير، ولا ندّ ولا شبيه له في ذاته ولا في أسمائه ولا

(١) سورة الشعراء الآية ٨٨ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٩ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٥١ .

في صفاته، هو الذي يعبد وحده بحق فلا إلَه إلا هو، ولا رب إلا هو، الكامل في جميع أسمائه وصفاته المدبر لخلقه والمتصرف فيهم، العليم بأقوالهم وأفعالهم في سرهم وعلانيتهم لا يعزب عنه شيء من أحوالهم في أزمانهم وأماكنهم أحاط بعلمه كل شيء ووسعت رحمته كل شيء يغفر لمن تاب إليه ويتجاوز عن خطيئات من استغفره ويجازي بعدله من تعدى على حرماته ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي: هو الرب والإلَه الذي تصمد خلائقه إليه في حاجاتها ونوازلها والعظيم: الذي كمل في عظمته، والرحيم: الذي كمل في رحمته، والعليم: الذي كمل في علمه، والحكيم: الذي كمل في حكمته.

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة فحاشاه أن يكون كذلك؛ لأنه بائن عن مشابهة المخلوقين في كل شيء ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: ليس له شبيه يشبهه، أو مثيل يماثله، أو نظير يناظره؛ بل هو متميز عن خلقه في كل شيء من ذاته وأسمائه وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وحدانية الله في ذاته العلية، وفي أسمائه، وفي صفاته. تحريم نسبة الولد إليه لقوله عز وجل ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ وَقَالُوا۟

(١) سورة الأنعام من الآية ١٠١ .

﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾[(١)]. ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾[(٢)]. ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾[(٣)]. ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾[(٤)]. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[(٥)]. ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[(٦)]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**قال الله عزوجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد**)[(٧)].

ومن الأحكام: فضل هذه السورة فقد روى أبو سعيد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: (**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟**) فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: (**الله الواحد الصمد ثلث القرآن**)[(٨)].

---

(١) سورة مريم الآية ٨٨ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٩ .

(٣) سورة مريم الآية ٩٠ .

(٤) سورة مريم الآية ٩١ .

(٥) سورة مريم الآية ٩٢ .

(٦) سورة مريم الآية ٩٣ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (١١٢)، من سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، برقم (٤٩٧٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦١١ .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، برقم (٥٠١٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦٧٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفلق

مكية وآياتها خمس آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق: الصبح كما قال تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾[1]. والمراد أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يعتصم ويستجير برب الصبح وهو المولى عز وجل الذي لا يستعاذ ولا يستجار ولا يستغاث إلا به ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: أستجير وأتحصن بالله عز وجل من شر مخلوقاته جنِّها وإنسها وحيواناتها وجمادها في ظاهر الأرض وباطنها وما فوقها، ما أعلم منها وما لا أعلم ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: أتعوذ وأتحصن وأستجير بك يا رب من الليل في ظلامه؛ ذلك أن الليل مدعاة للخوف لما يجن فيه من المخاطر ككواسر الحيوانات، واللصوص، والخلاس، وغير ذلك مما يخبئه

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٩٦ .

الليل في ظلامه ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ أي: أتحصن وأستجير بك يارب من شر الساحرات اللاتي ينفثن سحرهن في العقد ليفرقوا بين الزوج وزوجته، ويؤذين من أردن إيذاءه؛ لقاء عرض من الدنيا كما يفعل السحرة ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً أستجير وأتحصن وأستعيذ بك يا رب من شر الحاسد الذي يبتغي زوال النعمة، أو يستكثرها، أو تتطلع نفسه إليها.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستعاذة بالله من شرور المخلوقات من الإنس والجن والحيوان والجماد وكل ما على ظهر الأرض وما بطن منها والاستعاذة كذلك من ظلام الليل وما قد جن فيه من الشرور والمصائب والمخاطر. ومن الأحكام: تحريم النفث في العقد وهذا يشمل كل أنواع السحر والكهانة كما قال تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾[1]. ومنها: تحريم الحسد فقد كان سبباً في قتل ابن آدم لأخيه والحسد: يعني تمني زوال نعمة العبد عنه، وهذا يدل على نفس شريرة واعتراض على إرادة الله كما قال تعالى ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ الآية[2].

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء من الآية ٥٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الناس

مكية وآياتها ست آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هذا أمر من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتعوذ بصفاته الثلاث وهي الربوبية المطلقة والملك المطلق والألوهية المطلقة ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: رب كل ما في الوجود المالك لكل ما هو موجود، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: الإلَه لكل ما هو موجود فكل ما في الوجود تحت ملكه وتصرفه، وكل المخلوقات ملكه وعبيده والمراد قل يا نبينا محمداً إني أستعيذ وأستجير وأتحصن بك ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: من أي موسوس من الجن ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس أي: يتوارى إذا ذكر العبد ربه ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يعمل على إفسادهم وإلهائهم في الدنيا وتزيين الباطل لهم والدخول عليهم في

صلاتهم، وفي غفلاتهم كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**)[١]. ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي: وأعوذ بك من شيطان الإنس والجن، فشيطان الجن يوسوس في الصدور بالأباطيل، ويجري من العبد مجرى الدم وأما شيطان الإنس فيأتي علانية.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب استعاذة العبد بالله من شياطين الإنس والجن، فإن شياطين الجن لا يزالون بالعبد يوسوسون له في صلاته وعند منامه وفي يقظته وفي كل أموره، وقد ثبت قول رسول الله ﷺ: (**ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن**) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (**وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**)[٢]. وشياطين الجن: يأتون إلى العبد حتى يحدث نفسه بما لا يعتقده ولا يريده وفي ذلك: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخِرَّ من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. فقال رسول الله ﷺ:

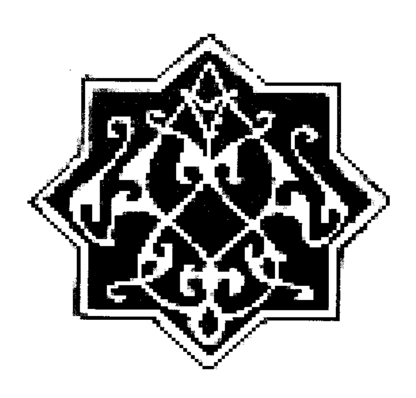
---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٨٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، برقم (٢٨١٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٠٦.

(الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)[١]. أما شياطين الإنس فيأتون إلى العبد علانية، فمنهم: من يفعل المنكر ويزينه لغيره، ومنهم: من يمشي بين الناس بالإفك والبهتان. ومنهم: من يزين لهم القطيعة، ومنهم من يزين لهم الشر بكل أنواعه من الفواحش والمنكرات، فلهذا وجب أن يتعوذ العبد من الشياطين بذكر الله والاستعانة به، والاستعاذة به فهو الحافظ والواقي والمعيذ لا إلَه إلا هو العزيز الحكيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٣٥، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، برقم (٥١١٢)، سنن أبي داود ج٤ ص٣٦٥ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.
أما بعد:

فقد انتهى تفسير كتاب الله عز وجل في هذا اليوم صباح الجمعة الموافق التاسع من شهر ذي الحجة من عام ألف وأربعمائة وسبعة وعشرين للهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يا رب إن كتابك المنزل على عبدك ورسولك محمد ﷺ أعظم كتاب أنزلته على عبادك فيه بيان أحكامك، تهدي به المهتدين، وترشد به الحائرين، وتنير به المستنيرين، وتنذر به العاصين؛ فمن فسره أو تحدث عنه لا يقدر - بأي حال - أن يحيط بما فيه من الأحكام والأنباء والأسرار؛ لأن التفسير علم من علوم البشر، وكل البشر أضعف وأقل من أن يعلموا علماً، أو يتبينوا بياناً إلا ما علمته لهم، أو بينته لهم.

فلك الحمد والمنة - يا رب - على ما أنعمت به وتفضلت على عبدك الفقير إليك، ولا يسعني في هذه اللحظات إلا أن أسألك بكل أسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تتجاوز عني فيما كتبت، فإني إذ أعترف بخطئي وقصوري ونسياني أرجو عفوك ورحمتك، فاجعل ما كتبته خالصاً لوجهك الكريم، واغفر لي ولوالديَّ وأولادي وأخواتي وإخواني ومشايخي وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، إنك أنت ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

فهرس المجلد التاسع

تفسير سورة القلم ١٩١

حرف الألف

طرف الحديث أو الأثر .. الراوي ج/ص

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

مطابع دار البحوث الرياض
٤٨٥٢٦٦٣